إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية

لمقاصد وأهداف الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم

من سورة العنكبوت (46) إلى سورة لقمان (21)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب/ة: محمد ممدوح الشريف

Signature: التوقيع: محمد

Date: التاريخ: 21 أكتوبر 2015

الجامعة الإسلاميــة – غزة
عمــادة الدراســـات العليـا
كليـــة أصـــول الديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم

من سورة العنكبوت (46) إلى سورة لقمان (21)

إعـداد الطـالبة

محمـد ممـدوح الشـريـف

إشـراف

أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ - 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم Ref .....
2015/08/24م
التاريخ Date .....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد ممدوح محمد الشريف** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم من سورة العنكبوت (46) إلى سورة لقمان (21)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 09 ذو القعدة 1436هـ، الموافق2015/08/24م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مشرفاً و رئيساً	.....
د. إبراهيم عيسى صيدم	مناقشاً داخلياً	.....
د. ماجد رجب سكر	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

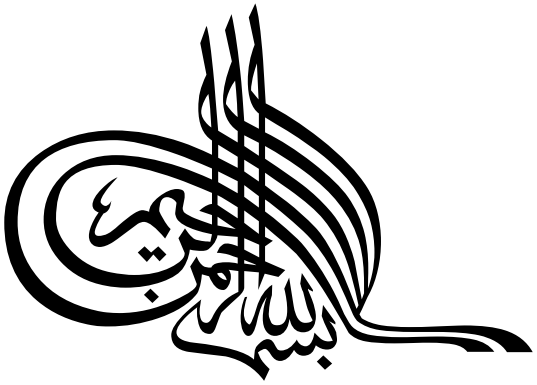
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢]

الإهداء

أُهدي هذا الجهد المتواضع إلى الرحمة المهداة، إلى من اشتاقت الروح للقياه، إلى رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وإلى والدَيِّ الكريمين العزيزين، وإلى إخواني وأهلي أجمعين. وأخص بالذكر شيوخي وأساتذتي، ومن حفز هِمَّتي إلى العلوم الشرعية، ووجهني إلى العمل والدعوة إلى الله ﷻ، وإلى الذي بذل ما في وُسْعه تربيةً لي وتعليماً. وأيضاً أخص العلماء وطلبة العلم الربانيين، حاملي لواء الذب عن الدين، وأهديه إلى المجاهدين المخلصين الذين أرادوا عزة هذا الدين، وإلى الغرباء في زمن الغربة القابضين على الجمر، وفي مسك الختام لا أنسى إخواني المحبين الذين لم يألوا جهداً في عوني ومساعدتي علمياً، ومعنوياً، ومادياً فأسأل الله لهم التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

الباحث

شكر وتقدير

﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النمل: ١٩]

أحمد الله ﷻ ذي الآلآء، وأشكره سبحانه أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، سراً وعلانيةً، فهو القائل: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧]، ثُمَّ إنَّه لمَّا كَانَ شُكْرُ أُولِي العِرْفَانِ شُكْرًا لِلْخَالِقِ المنَّانِ كما في قول النبي العدنان ﷺ " **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"[١] فإني أتوجه بالشكر إلى شيخي وأستاذي ومشرفي المبارك **الأستاذ الدكتور**: زكريا ابراهيم الزميلي "حفظه الله"، فما عرفت منه إلا الصبر والحلم عليّ، وقد أفادني بتوجيهاته السديدة، وإرشادته القيمة، وما بخل يوماً في نصحي وتقويم بحثي طوال فترة الإشراف فجزاه الله خير الجزاء، وبارك له في علمه وعمله.

كما وأشكر الأستاذين الفاضلين المناقشين لهذا البحث:

الدكتور: إبراهيم عيسى صيدم "حفظه الله"

الدكتور: ماجد رجب سكر "حفظه الله"

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، وإثرائه بالملحوظات القيمة.

وأشكر كليتي كلية أصول الدين، وخصوصاً قسم التفسير وعلوم القرآن رئيساً وأعضاء تدريس، الذين طالما بذلوا لنا أوقاتهم، ومنحونا علمهم، وأحاطونا بعنايتهم فجزاهم الله خير الجزاء، وبارك فيهم، ونفع بهم.

وأخص بأجزل الشكر صرح العلوم، ونبع المعرفة، ورائدة العطاء، وجامعة العلماء الجامعة الإسلامية بغزة التي فتحت لنا أبوابها لننهل من معينها، ونزداد من علمها.

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (١٦/ ٣٢)، برقم(٩٩٤٤)، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأتوجه أيضاً بالشكر والعرفان لوالدتي الغالية التي لطالما شجعتني على مواصلة علمي، وكثيراً ما خصتني بدعوات صالحات صادقات، وأشكر والدي الغالي الذي كان لي سنداً وعوناً بعد الله ﷻ يشد أزري، ويذب عني.

ولا أنسى أن أخص بالشكر الجزيل لكل من مد يد العون والمساعدة سواء بالدعم المادي، أو المعنوي، أو العلمي وهم كثر لا أستثني منهم أحداً.

فأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون عملاً صالحاً لي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأصلي وأسلم على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، وأيده ربه وأكرمه بالقرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المعجزة الخالدة الباقية إلى قيام الساعة، فنحمد الله ﷻ على هذه النعمة التي بين لنا الله فيها أخبار الأولين والآخرين، والمهتدين والضآلين، والمؤمنين والكافرين، والمواعظ والأمثال، والأخلاق والآداب، والعقائد وسائر الأحكام، والحجج القاطعات الظاهرات في الدلالة على أنه رب الأرض والسموات، وأنه المستحق للإفراد بجميع أنواع الطاعات، فلم يبين لنا الله ﷻ هذه الأمور إلا لأهداف ومقاصد عظيمة، لا يعرفها ولا يستنبطها إلا من كان من أهل التدبر في القرآن، وسلك في ذلك سبيل أهل العلم والحذق والإتقان؛ ليعالج بهذا الكتاب الكريم الواقع المحيط، ويقدم الحلول للمشكلات من خلال فهم مقاصد القرآن وأهدافه.

أما بعد

فمن نعم الله تعالى عليّ التي لا تعد ولا تحصى أن وفقني لأكتب في تفسير القرآن العظيم، وأن يكون لي بصمة في مشروع كلية أصول الدين في تفسير القرآن الكريم الذي هو عبارة عن دراسة تحليلية لأهداف ومقاصد القرآن العظيم، فكان نصيبي من هذا المشروع الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم.

أولاً: أهمية الموضوع

١. شرف العلم من شرف المعلوم، وأي شرف أسمى من بيان مقاصد وأهداف كتاب الله ﷻ، النور الذي يضيء لنا الطريق، والمنهاج القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
٢. حاجة الأمة الملحة لفهم مقاصد القرآن وبيان أهدافه، مع بيان الأبعاد المعاصرة لها والتأصيل للمسائل المعاصرة في ظلال القرآن واستنباط حقائق قرآنية واقعية ومتكاملة تعالج الواقع المحيط.
٣. بيان كيفية مواجهة الفتن من خلال آيات سورة العنكبوت الأخيرة.
٤. بيان آيات الله الكونية والاقتصادية ومكانتها من خلال سورة الروم.
٥. بينت الآيات الأول من سورة لقمان منهجًا ربانيًا لتربية الأبناء.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع

١. ابتغاء وجه الله ﷻ ونيل ما عنده من الأجور.

٢. استجابة لأمر الله بتدبر كتابه الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد: ٢٤]، والوقوف على ما فيه من المقاصد والأهداف التي تحتاجها الأمة في بناء نهضتها وحضارتها.

٣. الاشتراك في إخراج سلسلة من المقاصد والأهداف للقرآن الكريم كاملًا، وذلك من خلال خطة وضعتها كلية أصول الدين بالجامعة الاسلامية بغزة على أن توزع هذه المقاصد والأهداف على طلاب الدراسات العليا ليكون نصيب كل باحث حزباً من القرآن يدرس مقاصده ويبين أهدافه ليخرج تفسير القرآن في ثوب جديد تحت مسمى (مقاصد وأهداف القرآن الكريم).

٤. خدمة كتاب الله ﷻ، وإثراء المكتبة الاسلامية بدراسات تحليلية لأهداف ومقاصد سور القرآن الكريم.

٥. توجيه شيخي وأستاذي ومشرفي أ.د: زكريا إبراهيم الزميلي "حفظه الله " للبحث في هذا الموضوع.

٦. ما لهذا البحث من أهمية ونفع كبير في بناء المجد للأمة الإسلامية في ضوء مقاصد القرآن.

ثالثًا: الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع في مراكز الأبحاث لم أقف على بحث أو رسالة علمية محكمة بهذا العنوان، حيث يعد هذا البحث جديداً من نوعه، فهو ضمن سلسلة علمية جديدة قامت بها كلية أصول الدين بالجامعة الاسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن، وكان نصيبي من هذه السلسلة الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم.

رابعًا: منهج البحث

١ – اتبع الباحث المنهج التحليلي والاستنباطي للسورة ومقاطعها للوقوف على المقاصد والأهداف.

٢ – استنباط المقاصد والأهداف للحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم، مع الربط بالواقع المعاصر ما أمكن، ومحاولة التأصيل واستنباط النظريات القرآنية.

٣ – تقسيم الدراسة إلى فصول ومباحث ومطالب.

٤ – عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية ، وإثباته في متن الدراسة .

٥ – تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية من كتب السنة فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى بتخريجه منهما، وإذا كان في غيرهما أخرجه مع بيان درجة صحته ما أمكن.

٦ – توثيق المعلومات التي أنقلها ببيان اسم الشهرة للكتاب واسم الشهرة للمصنف والجزء والصفحة، وفي فهرس المراجع بيانات الكتاب كاملة، إلا إذا اختلفت الطبعات أثبت هذا في الحاشية.

٧ – أذكر القراءات الصحيحة من مصادرها الأصيلة.

٨ – في حالة التصرف في النص أو الاقتباس أكتب (**انظر**).

٩ – أترجم للأعلام المغمورة.

١٠ – عند الإحالة إلى معلومة وردت سواء في متن الدراسة أو الحاشية أقول (تم الحديث عنه) مع بيان مكانه إن كان في المتن، أو (سبق الإشارة إليه)، وإن كان في الحاشية (سبق تخريجه) وأذكر رقم الصفحة.

١١ – بيان معنى المفردات الغريبة في الحاشية.

١٢ – عمل الفهارس اللازمة للرسالة.

خامسًا: خطة البحث

وتتكون الخطة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة وتشتمل على الآتي:

١ – أهمية الموضوع.

٢ – أسباب اختيار الموضوع.

٣ – الدراسات السابقة.

٤ – منهج البحث.

٥ – خطة البحث.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبيان متطلباتها

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف لغة واصطلاحا، وبيان أهميتها

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف

المطلب الخامس: أشهر المصنفات في مقاصد السور والآيات

المبحث الثاني: التعريف بسور العنكبوت والروم ولقمان

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت

المطلب الثاني: التعريف بسورة الروم

المطلب الثالث: التعريف بسورة لقمان

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة العنكبوت من آية (٤٦ – ٦٩)

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب، ومطالبهم التعجيزية

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب

المطلب الثاني: دلالة أمية النبي ﷺ في كون هذا القرآن من عند الله

المطلب الثالث: رغبة الكفار عما جاء به النبي ﷺ

المطلب الرابع: شهادة الله ﷻ على نبوة محمد ﷺ

المطلب الخامس: مطالب أهل الكتاب التعجيزية

المبحث الثاني: أمر المؤمنين بالهجرة وثواب الصابرين

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أمر المؤمنين بالهجرة لإقامة الشعائر الدينية

المطلب الثاني: ثواب الصابرين المتوكلين

المطلب الثالث: الله يرزق جميع المخلوقات

المبحث الثالث: اعتراف المشركين بقدرة الله

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: اعتراف المشركين بأن الله هو الخالق

المطلب الثاني: اعتراف المشركين بالإله المحيي

المبحث الرابع: حقيقة الدنيا وطبيعة الكفار فيها

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حقيقة الدنيا اللهو واللعب

المطلب الثاني: طبيعة الكفار المتناقضة

المطلب الثالث: طبيعة الكفار في مقابلة النعم

المبحث الخامس: عقاب الكافرين وجزاء المحسنين

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: عقاب الكافرين

المطلب الثاني: جزاء المحسنين

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الروم من الآية (١ – ٦٠)

أثر العقيدة في نهوض الأمم وانحدارها

ويشتمل على ستة مباحث

المبحث الأول: سنة الله في المجتمعات

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الوعد بالنصر والتمكين

المطلب الثالث: دعوة للتفكر في الخلق

المطلب الرابع: أخذ العبر والعظات من هلاك الأمم السابقة

المطلب الخامس: الهلاك عاقبة التكذيب والاستهزاء بآيات الله

المبحث الثاني: كمال قدرة الله وأحوال الناس يوم القيامة

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: قدرة الله على الخلق والإعادة

المطلب الثاني: هلاك المجرمين يوم القيامة

المطلب الثالث: التمايز بين أهل الكفر والإيمان يوم القيامة

المطلب الرابع: المؤمنون في الجنة يمتعون، والكافرون في النار يعذبون

المطلب الخامس: التنزيه والتحميد لله

المطلب السادس: قدرة الله على إحياء الموتى والأرض

المبحث الثالث: دلالة خلق الإنسان والكون على وجود الله قدرته

ويشتمل على سبعة مطالب

المطلب الأول: خلق الإنسان آية من آيات الله

المطلب الثاني: دلالة خلق الكون واختلاف الأنفس

المطلب الثالث: دلالة التدبير والتصرف في الكون

المطلب الرابع: دلالة خضوع الكون لإرادة الله، وقدرته على البعث

المطلب الخامس: ضرب المثل لتقرير الوحدانية

المطلب السادس: دلالة الفطرة

المطلب السابع: مظاهر افتراق المشركين في دينهم

المبحث الرابع: إرشادات وتوجيهات في النظام الاقتصادي

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: طبيعة المشركين في السراء والضراء

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان في الرخاء والشدة

المطلب الثالث: الحث على أداء الحقوق والنهي عن الربا

المطلب الرابع: إفراد الله بالخلق والرزق

المطلب الخامس: سبب ظهور الفساد الاقتصادي، وعاقبة المفسدين

المبحث الخامس: من دلائل التوحيد ونتائج الأعمال

ويشتمل ثمانية مطالب

المطلب الأول: الاستقامة سبيل النجاة يوم القيامة

المطلب الثاني: عاقبة الكفر وجزاء المؤمنين

المطلب الثالث: من دلائل وحدانية الله إرسال الرياح

المطلب الرابع: نتيجة التكذيب بآيات الله

المطلب الخامس: من دلائل وحدانية الله إنزال المطر

المطلب السادس: من دلائل وحدانية الله إحياء الموتى

المطلب السابع: التوفيق للهداية بيد الله وحده

المطلب الثامن: أطوار خلق الإنسان

المبحث السادس: نهاية المجرمين وصبر المؤمنين

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أحوال الناس يوم القيامة

المطلب الثاني: موقف الكفار من الآيات

المطلب الثالث: حض النبي ﷺ على الصبر

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة لقمان من الآية(١ – ٢١)

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: خصائص القرآن و صفات المحسنين

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: خصائص القرآن

المطلب الثاني: صفات المحسنين وثمارها الطيبة

المبحث الثاني: الجزاء من جنس العمل

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: إعراض الكافرين عن القرآن وجزاؤهم

المطلب الثاني: جزاء المؤمنين جنات النعيم

المطلب الثالث: الاعجاز في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله تعالى

المبحث الثالث: قصة لقمان ووصاياه لابنه

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: امتنان الله على لقمان بإيتاء الحكمة

المطلب الثاني: الوصية بالتوحيد والتحذير من الشرك

المطلب الثالث: الوصية بالوالدين

المطلب الرابع: كمال علم الله سبحانه وتعالى

المطلب الخامس: الوصية بالصبر.

المطلب السادس: الوصية بحسن الأخلاق وآداب معاملة الناس

المبحث الرابع: دلائل التوحيد والتحذير من دعوة الشيطان

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: مشاهد دلائل التوحيد في الكون

المطلب الثاني: التحذير من دعوة الشيطان

الخاتمة

وتشتمل على الآتي

أولاً: أهم النتائج

ثانيًا: أهم التوصيات

الفهارس

وتشتمل على الآتي

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المبحث الثاني: التعريف بسور العنكبوت والروم ولقمان

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبيان متطلباتها

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف لغة واصطلاحاً، وبيان أهميتها

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف

المطلب الرابع: أشهر المصنفات في مقاصد السور والآيات

المطلب الأول

تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبيان متطلباتها

يتكون هذا المطلب من أمرين وهما، التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، ومتطلبات الدراسة التحليلية.

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحًا

قبل الشروع في الدراسة يجدر بنا أن نفهم المعني اللغوي الاصطلاحي لهذا الموضوع، وإذا نظرنا للمصطلح الذي بين أيدينا نجده مصطلحًا مركبًا تركيبًا وصفيًا من مفردتين، وهما: (الدراسة)، و(التحليلية).

إذن لابد من تناول كل مفردة من هذا المصطلح على حدة، ومن ثم يتسنى التعريف بهذا المصطلح مركباً.

١ – المقصود بالدراسة لغة:

هي مصدر من الفعل (دَرَسَ)، درس الكتاب يدرسه درسًا، ودراسةً، ودارسه، من ذلك، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه. وقد قرئ بهما: ﴿ **وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، و[دَارَسْتَ]، وقيل: [دَرَسَتْ]، قرأت كتب أهل الكتاب، ودارست: ذاكرتهم، وقرئ: دَرَسَتْ ودَرُسَتْ، أي: هذه أخبار قد عفت وانمحت، ودرست أشد مبالغة. وأصل الدراسة الرياضة[١]، وأيضا من درس دراسة، ودارست فلاناً كتاباً لكي أحفظ[٢].

٢ – المقصود بالدراسة اصطلاحًا:

بعد قراءة مستفيضة يظهر للباحث أن المقصود بالدراسة اصطلاحًا، هي: **عبارة عن بحث وتحقيق لمسألة علمية أو أكثر وفق المناهج البحثية المعتبرة؛ للوصول إلى نتيجة معينة.**

---

(١) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٧٩/٦).

(٢) العين: للفراهيدي (٢٢٧/٧).

٣ – المقصود بالتحليلية لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (حَلَلَ)، تقول: حَلَلْتُ العُقْدةَ، أحُلُّها حلاً إذا فَتَحْتَها فانحَلَّت[١] ومأخوذة أيضا من مادة (حَلَّ)، تقول حَلّ العقدةَ يَحُلُّهَا حَلاً: فتحها ونقضها فانحلّت. والحَلُّ: حَلَ العقدة[٢] .

٤ – المقصود بالتحليلية اصطلاحًا:

التحليلية مأخوذة من التحليل **وهو: ((عمليّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه، وردّ الشّيء إلى عناصره))**[٣].

٥ – المقصود بالدراسة التحليلية اصطلاحاً:

والذي يظهر للباحث أن المقصود بالدراسة التحليلية **هو: تقسيم النص القرآني إلى أجزاء متناسقة والوقوف عليها، والنظر فيها بتدبر، والغوص في أعماقها؛ لاستنتاج المقاصد، والأهداف والحكم والأحكام.**

ثانيًا: متطلبات الدراسة التحليلية

عند خوض غمار أي بحث علمي يعود علينا بالنفع في الدنيا والآخرة، ونجني ثماراً يانعةً، لابد من متطلبات شخصية ذاتية، ومتطلبات علمية في الباحث، فكيف إذا كان هذا البحث يخدم العلوم الشرعية لاسيما التي تتعلق بكتاب الله ﷻ؛ لهذا يجب التعرف على هذه المتطلبات من قِبل الباحثين حتى يسيروا في ظلالها.

١ – متطلبات شخصية ذاتية:

أ- الإخلاص وتصحيح النية والقصد لله ﷻ، لا لأغراض دنيوية دنيئة حتى يكتب الله ﷻ لهذه الدراسة القبول ولكاتبها السداد، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥]، ويقول النبي ﷺ " **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ...**"[٤].

---

(١) **انظر**: العين: للفراهيدي (٢٧/٣).

(٢) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (١٦٩/١١).

(٣) **انظر**: معجم اللغة: لأحمد مختار (٥٥٠/١).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (٦/١)، برقم (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ، وأخرجه مسلم: كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنية"، بلفظ "إنما الأعمال بالنية"، (١٥١٥/٣)، برقم (١٩٠٧).

ب- صحة المعتقد بحيث تكون عقيدة السلف دليلاً مرشداً لنا؛ لأنها أسلم وأعلم وأحكم، كيف لا وهم قد عاصروا نزول الوحي، وهم أعلم بلغة القرآن وبمراد الله ورسوله فهم الرعيل الأول الذين تتلمذوا على يد المعلم الأول محمد ﷺ. فسلامة المعتقد وصحته تكون بترك الابتداع ورده، والابتعاد عن المناهج الكلامية والفلسفية التي ليس فيها إلا القيل والقال حتى أدت بكثير من أصحابها للشك بالله ﷻ .

ت- التجرد عن الأهواء؛ لأنها المهلكة في الدنيا والآخرة، ولا سبيل ولا مناص للنجاة في الدارين إلا بالتجرد والموضوعية، وترك الأهواء ليطيب الثمر .

ث- حسن الخلق والتواضع للحق وللخلق، وترك الكبر حيث يقول تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ج- البعد عن المعاصي والذنوب، وعدم الاصرار عليها، ومجاهدة النفس عن الوقوع فيها، حيث يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فإذا كان كتاب الله لا يمسه إلا طاهر كما في قوله تعالى ﴿ **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فأيضا فهم كتاب الله لا يعطى إلا لطاهر من الذنوب والمعاصي.

ح- تحقيق كمال الإيمان، والعمل على زيادته، وترك حب الدنيا والتعلق بها.

خ- الذكاء والفهم وهما نعمة من الله تعالى، يتفاوت فيهما الناس، ولكن إذا أقبل الإنسان على الله بصدق يفتح له ما استغلق عليه من أسرار العلم والوحي.

ويجمل لنا الإمام الزركشي – رحمه الله-[١] هذه المتطلبات الذاتية فيقول: ((واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها آكد من بعض)) [٢].

---

(١) **هو**: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، ولد (٧٤٥هـ)، وتوفي (٧٩٤هـ). له تصانيف كثيرة في عدة فنون. [**انظر**: الأعلام: للزركلي (٦٠/٦).]

(٢) البرهان (١٨٠/٢-١٨١).

٢ - **متطلبات علمية**[١]

أ- **علم اللغة:** لمعرفة معلومات الألفاظ بحسب الوضع العربي، ومعرفة الألفاظ المشتركة كالعين وشبهها، فإن لم يكن له إلمام بها فلا يجوز له الشروع فيه.

ب- **علم النحو والتصريف:** لمعرفة أحكام الكلمات العربية من حيث الاشتقاق والإفراد والتركيب والإعراب والبناء.

ت- **علوم البلاغة:** وهي "المعاني، والبيان، والبديع" : فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرب به وجوه تحسين الكلام.

ث- **علم الحديث:** وخاصة الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمل والمبهم، وسبب النزول، والتقييد للمطلق، والتخصيص للعام المعبر عنه غالبا بالنسخ؛ ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

ج- **علم أصول الفقه:** لمعرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد ودلالة الأوامر والنواهي وما يشبهها ويتفرع عنها.

ح- **علم أصول الدين:** وبعض العلماء يطلقون عبارة علم العقيدة والتوحيد وأيضًا علم الكلام ويجب العلم بأصول الدين؛ لمعرفة ما يجوز على الله وما يستحيل وما يجب، والنظر في النبوات لئلا يقع المفسر في أخطاء قد يهلك فيها، وأيضاً من العلماء من يضيف هنا علم المنطق؛ لما فيه من معرفة وجه الجدل، وكيفية الرد على أصحاب الأهواء وأهل الابتداع.

خ- **علم القراءات:** لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وترجيح بعض الوجوه المحتملة للمعاني الأكثر رجحاناً بالنسبة للقارئين بها على البعض الأقل والأضعف.

د- **علم الفقه:** لمعرفة الأحكام الشرعية العملية فيه وبيانها في محالها، وآراء المجتهدين فيها والأخذ بما هو الأقوى دليلاً، والأحوط عقيدة وتقى.

ذ- **علم أسباب النزول:** إذ إن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

---

(١) اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالمًا أديبًا متسمًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها؛ لذلك آثرنا ذكر المتطلبات العلمية للباحث في كتاب الله.[**انظر:** الإتقان: للسيوطي (٤/ ٢١٣)].

ر- **علم القصص:** لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

ز- **علم الناسخ والمنسوخ:** وبه يعلم المحكوم من غيره. ومَن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

س- **علم الموهبة:** وهو علم يورثه الله تعالى لمن يشاء من عباده العالمين العاملين المتقين فيلهمهم المعرفة بأسرار كتابه، وأشار السيوطي إلى طريق تحصيله، إنما يكون بأخذ الأسباب الموجبة له من العمل والزهد[1] .

ش- **الإلمام بالعلوم العصرية:** من طب، وفلك، واقتصاد؛ للارتباط الوثيق بين العلوم، وللتوجيه الصحيح لآيات القرآن الكريم .

ولأهمية هذه العلوم ومكانتها؛ قال ابن أبي الدنيا[2]: ((فهذه العلوم التي هي كالآية للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرًا بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرًا بالرأي المنهي عنه، قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ)) [3].

---

(١) **انظر:** بيان المعاني: لعبد القادر الحويش (١/٧-٨)، الإتقان: للسيوطي (٤/٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦)، والتفسير والمفسرون: للذهبي (١/١٩٠-١٩١).

(٢) **هو:** عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر: حافظ للحديث. له كثير من المصنفات، منها " الفرج بعد الشدة " و" مكارم الأخلاق". وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه. مولده ووفاته ببغداد (٢٠٨ - ٢٨١ هـ).[**انظر:** الأعلام: للزركلي (٤/١١٨)].

(٣) **انظر:** الإتقان: للسيوطي (٤/ ٢١٦).

المطلب الثاني

تعريف المقاصد والأهداف لغة واصطلاحاً، وبيان أهميتها

أولاً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحًا

١ – المقاصد لغة:

عند تتبع معنى المقاصد لغة فإنها ترجع إلى عدة معاني وهي:

أ–**استقامة الطريق:** قَصَد يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد. وقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ** ﴾ [النحل: ٩]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائر أي ومنها طريق غير قاصد. واقتصد فلان في أمره أي استقام(١).

ب– **العدل والوسط بين الطرفين:** فالقصد خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر. يقال: فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد(٢).

ت– **الاعتماد والأم:** تقول: قصده يقصده قصداً وقصد له وأقصدني إليه الأمر(٣).

ث– **إتيان الشيء:** تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه بمعنى. وقصدت قصده: نحوت نحوه(٤).

ج– **التوجه والنهوض نحو الشيء:** سواء كان هذا التوجه والنهوض على اعتدال أو جور، هذا أصله في الحقيقة(٥).

ح– **الغاية، والفحوى:** مَقْصِدي من فعل كذا مساعدته، ((ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها))(٦).

---

(١) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٣/٣٥٣–٣٥٤)، العين: للفراهيدي (٥/٥٤)، القاموس المحيط: للفيروز آبادي (٣١٠).

(٢) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٣/٣٥٣–٣٥٤)، العين: للفراهيدي (٥/٥٥)، القاموس المحيط: للفيروز آبادي (٣١٠).

(٣) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٣/٣٥٣)، تاج العروس: للزبيدي (٩/٣٦).

(٤) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٣/٣٥٣).

(٥) **انظر**: تاج العروس: للزبيدي (٩/٣٦).

(٦) معجم اللغة: لأحمد مختار (٣/ ١٨٢٠).

٢ – المقاصد اصطلاحًا:

لقد عرف العلماء قديماً وحديثاً المقاصد بتعريفات كثيرة، إلا أن تعريفهم للمقاصد تعريف عام، لا يتناسب مع مضمون هذا البحث إلا من حيث العموم فقط، والذي يظهر للباحث أن التعريف الذي يتطابق مع فحوى هذه الرسالة ومضمونها القرآني، أنّ المقاصد: ((هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تنحصر ملاحظتها بالمون على نوع خاص من أحكام الشريعة))[١]:

ثانيًا: تعريف الأهداف لغة واصطلاحًا

١ – الأهداف لغة:

الأهداف جمع هدف، يقال لكل شيء دنا منك وانتصب لك واستقبلك: قد أهدف لك الشيء واستهدف. والإهداف الدنو. أهدف القوم أي قربوا. وكل شيء رأيته قد استقبلك استقبالاً، فهو مهدف ومستهدف. وقد استهدف أي انتصب، ومن ذلك أخذ الهدف لانتصابه لمن يرميه والهدف: الغرض المنتضل[٢] فيه بالسهام. والهدف: كل شيء عظيم مرتفع. ويطلق أيضاً على كل بناء مرتفع مشرف، وعلى كل حيد مرتفع من الرمل أو الجبل، ويطلق على الرجل الجسيم الطويل العنق العريض الألواح، وقيل: هو الثقيل النؤوم.[٣] وقد يأتي الهدف بمعنى القصد والسرعة[٤].

٢ – الأهداف اصطلاحاً:

وقعت على تعريفات عديدة للأهداف إلا أنها لا تتعلق بهذه الدراسة وإنما تتعلق بعلم التربية الحديث الذي يتعلق بالناحية التعليمية، أما ما يتعلق بهذه الدراسة فيمكن القول إنها: **الحكم والغايات والنتائج المستنبطة من النص القرآني التي تعود على الفرد، والأسرة، والمجتمع والأمة، بالنفع والصلاح في الدارين.**

---

(١) مقاصد الشريعة: لابن عاشور (٢٥١).

(٢) **هو**: الهدف الَّذِي يرْمى إِلَيْهِ، ويستبق القوم في الرمي إليه.[**انظر**: المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٠-٢٩٢)].

(٣) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٣٤٥/٩-٣٤٦).

(٤) **انظر**: معجم اللغة: لأحمد مختار (٢٣٣٣/٣).

ثالثًا: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

مما لا شك فيه أن أهمية معرفة مقاصد الشريعة بشكل عام، ومقاصد وأهداف السور والآيات بشكل خاص، لا يحتاجها العامي بخلاف العالم فحق عليه معرفة هذا العلم الدقيق؛ ليحسن تنزيل النصوص على الواقع، وليسترشد بها في فهم النصوص يقول الطاهر بن عاشور– رحمه الله –[(١)]: ((وليس كل مكلف بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة؛ لأن معرفة مقاصد الشريعة نوع دقيق من أنواع العلم، فحق العامي أن يتلقى الشريعة بدون معرفة المقصد لأنه لا يحسن ضبطه ولا تنزيله، ثم يُتوسعُ للناس في تعريفهم المقاصد بمقدار ازدياد حظهم من العلوم الشرعية لئلا يضعوا ما يُلقنون من المقاصد في غير مواضعه، فيعود بعكس المراد. وحق العالم فهمُ المقاصد، والعلماء –كما قلنا– في ذلك متفاوتون على قدر القرائح والفهوم))[(٢)].

ويمكن إجمال أهمية المقاصد في النقاط الآتية:

١. ((الاستعانة بالمقاصد في فهم النصوص وتوجيهها))[(٣)].

٢. معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، والتبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير[(٤)].

٣. التوجيه الإلهي ببيان مقصد إنزال الكتاب، فيقول تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [ص: ٢٩]، وبيان مقصد بعث الرسل ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦]، وبيان مقصد إرسال الحبيب محمد ﷺ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وبيان المقصد من خلق الخلق

---

(١) **هو**: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها (١٢٩٦ – ١٣٩٣ هـ). عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء. [**انظر**: الأعلام: للزركلي (١٧٤/٦).]

(٢) مقاصد الشريعة : لابن عاشور (١٨٨).

(٣) أهمية المقاصد: لسميح الجندي (٩٧).

(٤) **انظر**: مصاعد النظر: للبقاعي (١٥٥/١).

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبيان المقصد من العبادة ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١]، وبيان المقصد من بعض التشريعات مثل الصلاة، القصاص، والصيام حيث يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ويقول: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فهذا غيض من فيض، وقليل من كثير؛ يبين لنا التوجيه الإلهي للبحث عن مقاصد الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

٤. الاجتهاد ومحاولة فهم مراد الله من كتابه الكريم، وإبراز إعجاز القرآن في كونه المصلح للمجتمعات والأفراد إلى قيام الساعة.

٥. لزيادة الإيمان بكتاب الله تعالى، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه بل هو محكم، متناسق، يصدق بعضه بعضاً.

٦. معرفة المقصد، رسالة للمغالي بالقرآن، والجافي عنه؛ للاعتدال والتوسط في إسقاط الأحكام على الواقع، والرجوع لمنطوق ومفهوم النص معاً.

المطلب الثالث

الفرق بين المقاصد والأهداف

من خلال البحث، والتنقيب في أمات الكتب، لم يجد الباحث من يفرق بين المقاصد والأهداف من العلماء، ولم يجد فرقاً دقيقاً بينهما، لكن بتدقيق الفكر، وإعمال النظر وقف الباحث على الفروق الآتية:

- ❖ إن الأهداف عامة، بحيث تمثل الخطوط الرئيسة، بخلاف المقاصد خاصة وتكون لمسائل جزئية.
- ❖ إن الأهداف توضع قبل البدء بأي عمل فهي تحدد مسبقاً، بخلاف المقاصد قد توضع قبل أو بعد البدء بأي عمل.
- ❖ الأهداف تكون متعددة للشيء الواحد بحيث تشمل أكثر من مسألة وقضية، بخلاف المقاصد لا تتعدد في غالب الأحيان وتكون محصورة ومحددة.
- ❖ في قضية تحقيق وتحقق النتائج، الأهداف قد تتحقق كلها، أو بعضها في الغرض الذي وضعت له، بخلاف المقاصد فهي تتحقق إذا عمل بها؛ لأنها محصورة ومحددة.
- ❖ الأهداف في زمن تحققها قد لا تتحقق في الحاضر، أو المستقبل القريب، فتطول للمستقبل البعيد، بخلاف المقاصد متى وجدت تحققت.

المطلب الرابع

أشهر المصنفات في مقاصد السور والآيات

وفي هذا المطلب تتبع الباحث أشهر المصنفات في مقاصد السور والآيات مع اختلاف المناهج والمدارس التي تنتمي إليها هذه المصنفات لكنها تشترك ببيان مقاصد وأهداف القرآن، وهي كالآتي:

أولاً: المصنفات التي عنيت بالمقاصد والأهداف وكان لهم منهج متبع في ذلك

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وكلا الكتابين للإمام البقاعي –رحمه الله–.
٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي – رحمه الله–.
٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور–رحمه الله– .
٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب –رحمه الله–.
٥) التفسير المنير، لوهبة الزحيلي – رحمه الله– .
٦) تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي – رحمه الله–.
٧) قبس من نور القرآن، وصفوة التفاسير، كلاهما للشيخ الصابوني – رحمه الله–.
٨) مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله–
٩) علم مقاصد السور، د. محمد ربيعة – حفظه الله–.
١٠) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، لعبد الله شحاتة – حفظه الله–.

ثانيًا: المصنفات التي أشارت لعلم المقاصد القرآن في ثناياها بدون أن يظهر لها منهج متبع

١) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، للفخر الرازي –رحمه الله–.
٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري –رحمه الله–.
٣) الموافقات، للإمام الشاطبي – رحمه الله–[1].
٤) تفسير الشيخ الشعراوي – رحمه الله– المسمى بـ" الخواطر"

---

[1] **هو**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه (الموافقات في أصول الفقه)، توفي عام (٧٩٠ هـ). **[انظر**: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥)].

المبحث الثاني

التعريف بسور العنكبوت والروم ولقمان

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت

المطلب الثاني: التعريف بسورة الروم

المطلب الثالث: التعريف بسورة لقمان

المطلب الأول

التعريف بسورة العنكبوت

أولاً: بين يدي السورة

١ – اسم السورة:

سورة العنكبوت، هكذا ورد اسمها في المصاحف، وكتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الحديث. وقد جاءت هذه التسمية على لسان عائشة رضي الله عنها قالت، أن رسول الله ﷺ " **كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجدات وقرأ في الركعة الأولى بالعنكبوت ، أو الروم ، وفي الثانية بيس** "[(١)]

((ولا يعرف لسورة العنكبوت اسم غير هذا الاسم، وذكر السخاوي[(٢)] في تعداد سور القرآن قوله: ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾[العنكبوت: ١، ٢]، وتسمى سورة العنكبوت[(٣)]، ولكنه لم يصرح أن مطلع السورة هو اسم تسمى به.))[(٤)]

وسبب تسمية السورة بسورة العنكبوت؛ إنما هو لضرب الله ﷻ المثل بالعنكبوت، لمن اتخذ من دون الله أولياء، قال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤١].

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب العيدين، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما، (٢/ ٤١٨)، برقم (١٧٩٢)، قال المحقق في الحاشية: صحيح (٤١٦/٢).

(٢) **هو**: الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن عبد الصمد بن عطاس الهمداني، المصري، السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق. ولد سنة ثمان وخمسين، أو سنة تسع. قال الإمام أبو شامة: وفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وست مائة توفي شيخنا علم الدين علامة زمانه وشيخ أوانه بمنزله بالتربة الصالحية، وكان على جنازته هيبة وجلالة وإخبات، ومنه استفدت علوماً جمة كالقراءات، والتفسير، وفنون العربية. [**انظر**: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٣٤٩/١٦-٣٥٠)].

(٣) **انظر**: جمال القراء: للسخاوي (٩١).

(٤) أسماء سور القرآن: لمنيرة الدوسري (٣٠١).

٢ – مكان النزول:

وقد اختلف في كونها مكية، أو مدنية، أو بعضها مكياً، وبعضها مدنياً على أربعة أقوال:

القول الأول: أنها مكية كلها، وورد هذا القول عن ابن عباس ﷺ، وعن عبد الله بن الزبير ﷺ، وبه قال الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد[١].

والقول الثاني: أنها مدنية كلها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس ﷺ، وقتادة.

والقول الثالث: أنها مكية إلا عشر آيات من أولها، وهو قول يحيى بن سلام[٢].

القول الرابع: أنها نزلت بين مكة والمدينة، حكي عن علي بن أبي طالب ﷺ [٣].

الترجيح:

وقد اشتبه عند كثير من المفسرين مكان النزول، وقالوا بمدنيتها، أو مدنية بعض آياتها؛ وذلك لذكر «الجهاد» فيها وذكر «المنافقين»، والذي يظهر للباحث عند استعراض الأقوال أن سورة العنكبوت كلها مكية للآتي:

أ- ورد في سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص كما سيجيئ. وإسلام سعد كان في مكة بلا جدال. وهذه الآية ضمن الآيات الإحدى عشرة التي قيل إنها مدنية.

---

(١) **هو**: جابر بن زيد الأزدي اليحمدي أبو الشعثاء الجوفي البصري. روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم. وعن ابن عباس قال: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما من كتاب الله، ووثقه ابن معين وأبو زرعة، قال البخاري وغيره مات سنة "٩٣" وقال ابن سعد سنة "١٠٣" وقال الهيثم بن عدي سنة "١٠٤" ودفن هو وأنس بن مالك في جمعة واحدة وكان من أعلم الناس بكتاب الله. [**انظر**: تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٨)].

(٢) **هو**: يحيى بن سلام بن ثعلب أبو زكريا البصري، صاحب «التفسير». روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره. وله اختيار في القراءة من طريق الآثار. روى عن حماد بن سلمة، وهمام بن يحيى، وسعيد بن أبي عروبة. وكان ثقة ثبتاً، ذا علم بالكتاب والسنة، ومعرفة اللغة والعربية، صاحب سنة. سمع منه بمصر عبد الله بن وهب، ومثله من الأئمة. توفي في صفر سنة مائتين. [**انظر**: طبقات المفسرين: للداوودي (٢/ ٣٧١)].

(٣) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٠٥)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٢٣)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٣)، فتح القدير: للشوكاني (٢٢١/٤)، التفسير الواضح: لمحمد حجازي (٨٥٤/٢).

ب- أما: تفسير ذكر الجهاد فيها فيسير؛ لأنها واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة، أي: جهاد النفس لتصبر ولا تفتن. وهذا واضح في السياق.

ت- وأما: ذكر النفاق فقد جاء بصدد تصوير حالة نموذج من الناس.

ث- تماسك موضوعات السورة كلها في خط واحد منذ البدء إلى الختام[١] .

٣ - ترتيبها:

أ. موقعها من حيث ترتيب المصحف التوقيفي:

تقع سورة العنكبوت في المصحف التوقيفي في الجزء العشرين، والحادي والعشرين من القرآن العظيم، بين سورتي القصص والروم، وترتيبها التاسعة والعشرين حسب ترتيب المصحف.

ب. موقعها من حيث النزول التاريخي[٢]:

ذكر العلماء أن ترتيب سورة العنكبوت حسب النزول التاريخي هي: السورة الخامسة والثمانون ضمن السور المكية، فقد سبقتها في النزول سورة الروم، ونزلت بعدها المطففين[٣].

---

(١) **انظر**: الظلال: لسيد قطب (٥/ ٢٧١٨).

(٢) وحين نذكر الترتيب التاريخي للسور، يجب أن يعلم أن هذا الترتيب ترتيب تقريبي لا يمكن الجزم أو القطع به إنما نذكره من باب الاستئناس فقط، وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور: صلاح الخالدي – حفظه الله-: « أن ترتيب السور حسب النزول التاريخي ليس دقيقا في مجمله، ومن ثم لي يقينا ولا يمكن الجزم به؛ لعدم وجود أدلة صحيحة موثوقة يعتمد عليها في ذلك، ويمكن أن نأخذ بعض الأقوال في الترتيب التاريخي من باب الاستئناس لا من باب الجزم واليقين». [**انظر**: التفسير الموضوعي: للخالدي (٢٧٣)].

(٣) **انظر**: جمال القراء: للسخاوي (٤٤)، بصائر ذوي التمييز: للفيروز آبادي (٩٩/١)،الإتقان: للسيوطي (٤١/١)، البرهان: للزركشي (١٩٤/١) " وقال – للأمانة العلمية-: « واختلفوا في آخر ما نزل بمكة، فقال ابن عباس: العنكبوت، وقال الضحاك وعطاء: المؤمنون، وقال مجاهد: ﴿ **ويل للمطففين** ﴾». [**انظر**: البرهان: للزركشي (١٩٤/١)]، « ويمكن الجمع بأن ابتداء نزول سورة العنكبوت قبل ابتداء نزول سورة المطففين ثم نزلت سورة المطففين كلها في المدة التي كانت تنزل فيها سورة العنكبوت ثم تم بعد ذلك جميع هذه السورة». [**انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٠/ ٢٠٠)]).

٤ – عدد آياتها:

هي ستون وتسع آيات في جميع العدد[١]، وقد اختلفوا في ثلاث آيات وهي:

أ- ﴿ **الم** ﴾ عدَّها الكوفي[٢].

ب- ﴿ **وتَقطَعونَ السبيلَ** ﴾ أسقطها الكوفي، والبصري[٣]، والشامي[٤].

ت- ﴿ **مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ** ﴾ عدَّها البصري، والشامي.

ث- وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودًا بإجماع موضع واحد وهو قوله تعالى:﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ** ﴾[٥].

---

(١) **انظر:** بحر العلوم: للسمرقندي (٦٢٤/٢)، معالم التنزيل: للبغوي (٥٤٩/٣)، التسهيل: لابن جزي (١٢٢/٢)، الجامع: للقرطبي (٣٢٣/١٣)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (١٨٨/٤)، لباب التأويل: للخازن(٣٧٥/٣)، أيسر التفاسير: للجزائري (١٠٨/٤)، البيان: للداني (٢٠٣)، جمال القراء: للسخاوي (٢٩٩).

(٢) **العد الكوفي:** منسوب إلى أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وقد نسبه قوم إلى ابن مسعود، والأول أصح. **[انظر:** فنون الأفنان: لابن الجوزي (٢٣٩)].

(٣) **العد البصري:** منسوب إلى عاصم بن ميمون الجحدري، وقد نسبه بعضهم إلى أيوب بن المتوكل، والأول أظهر.**[انظر:** فنون الأفنان: لابن الجوزي (٢٤٠-٢٤١)].

(٤) **العد الشامي:** منسوب إلى عبدالله بن عامر اليحصبي. وروى قوم أن أيوب بن تميم زعم أنه عدد عثمان بن عفان، والأول أصح. **[انظر:** فنون الأفنان: لابن الجوزي (٢٤١)].

(٥) **انظر:** البيان: للداني (٢٠٣)، جمال القراء: للسخاوي (٢٩٩-٣٠٠)، بصائر ذوي التمييز: للفيروز آبادي (٣٥٩/١).

ثانيًا: فضل السورة

لقد ورد في فضلها أنها من المثاني التي أعطيت للنبي ﷺ مكان الإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع ﷺ [١] أن النبي ﷺ قال " **أعطيت مكان التوراة السبع** [٢]، **وأعطيت مكان الزبور المئين**[٣]، **وأعطيت مكان الإنجيل المثاني**[٤]، **وفضلت بالمفصل**[٥] "[٦].

وقد ورد أيضا في فضلها حديثٌ، لكنه حديث موضوع لا تصح نسبته للنبي ﷺ، والباحث ذكره في الحاشية؛ للتوضيح، وتحذير الأمة منه[٧].

---

(١) **هو**: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بْن عَبْد ياليل بْن ناشب بْن غيره بن سعد ابن ليث بْن بكر بْن عبد مناة ابْن كنانة الكناني الليثي. وقيل: واثلة بن عبد الله بن الأسقع، كنيته أبو شداد، وقيل: أَبُو الأسقع وَأَبُو قرصافة. أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النَّبِيّ ﷺ ثلاث سنين. وَكَانَ من أصحاب الصفة. شهد تبوك، وشهد فتح دمشق، وشهد المغازي بدمشق وحمص، روى عَنْهُ أَبُو إدريس الخولاني، وجماعة من التابعين. وتوفي سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين ، قاله سعيد بن خالد. وقال أبو مسهر: مات سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة. وقيل: توفي بالبيت المقدس، وقيل: بدمشق. وَكَانَ قد عمى. وَكَانَ يصفّر لحيته. [**انظر**: أسد الغابة: لابن الأثير (٤/٦٥٢-٦٥٣)].

(٢) **والسبع الطُّوَل**: البقرةُ، وآل عِمْران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وهذا قول ابن عباس ﷺ، وسعيد بن جبير –رحمه الله–، وجاء عن عثمان ﷺ أنه قرن بين الأنفال، وبراءة، ووضعهما في السبع الطول. وإنما سميت هذه السور السبعَ الطُّوَل؛ لطولها على سائر سُوَر القرآن. [**انظر**: جامع البيان: للطبري (١/ ١٠١-١٠٣)].

(٣) **المقصود بالمئين**: فهي ما كان من سور القرآن عددُ آيه مئة آية، أو تزيد عليها شيئا أو تنقص منها شيئا يسيرًا. [**انظر**: جامع البيان: للطبري (١/ ١٠٣)].

(٤) **المقصود بالمثاني**: فإنها ما ثَنيَّ المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائلَ، وكان المثاني لها ثواني. وقد قيل: إن المثاني سميت مثاني، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثالَ والخبرَ والعبرَ، وهو قول ابن عباس. [**انظر**: جامع البيان: للطبري (١/ ١٠٣)].

(٥) سمي المفصل مفصَّلا؛ لكثرة الفصول التي بين سورَها بـ "بسم الله الرحمن الرحيم". [**انظر**: جامع البيان: للطبري (١/ ١٠٤)].

(٦) مسند أحمد: مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع ﷺ، (٢٨/١٨٨)، برقم (١٦٩٨٢)، وقال محقق المسند: اسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٥٩).

(٧) **وهو** حديث أبي بن كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : "من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ المؤمنين والمنافقين".[**انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/٢٦٩)، الكشاف: للزمخشري (٣/٤٦٥)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/٢٠٠)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/٤٨)]. ((أورد الامام ابن الجوزي بسنده إلى علي بن الحسين يقول سمعت ابن المبارك يقول في حديث أبي بن كعب ﷺ =

ثالثًا: المحور الأساسي للسورة

جاءت سورة العنكبوت، كسائر السور المكية؛ لتقوم بتقرير أصول العقيدة الربانية في النفوس البشرية، وهي: الوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء، وأيضاً تثبيت الإيمان في القلوب في جميع الأحوال، وبخاصة وقت الابتلاء والمحنة، في الفترة المكية؛ فافتتحت بالإخبار عن فتنة الإنسان، وختمت بالحديث عن هداية المجاهدين نفوسهم إلى أقوم السبل ونصرة الله لهم[1].

رابعًا: موضوعات للسورة[2]

إن محور السورة الرئيس التي تدور حوله السورة هو: الحديث عن الإيمان والفتنة وعن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف عن معدنه في النفوس. ويمضي سياق السورة حول ذلك المحور الواحد في ثلاثة موضوعات:

الموضوع الأول: يتناول حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين. ثم فردية التبعة فلا يحمل أحد عن أحد شيئا يوم القيامة.

الموضوع الثاني: يتناول قصص الأنبياء السابقين، وما تصوره من فتن وعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله، وتتحدث عن الحق الكامن في دعوة الرسل، وهو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض، وكله من عند الله.

=عن النبي ﷺ " من قرأ سورة كذا فله كذا " قال ابن المبارك أظن الزنادقة وضعته. وأيضاً بسنده إلى محمود بن غيلان يقول سمعت مؤملاً يقول حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروي عن أبي بن كعب ﷺ، فقلت للشيخ من حدثك؟ فقال حدثني رجل بالمداين وهو حي فصرت إليه فقلت من حدثك؟ فقال حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه، فقال حدثني شيخ بالبصرة فصرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا من القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن.» [**انظر**: الموضوعات: لابن الجوزي (١/ ٢٤١)].

(١) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (١٨١/٢٠).

(٢) **انظر**: الظلال: لسيد قطب (٥/ ٢٧١٨-٢٧١٩).

الموضوع الثالث: يتناول النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى، إلا الذين ظلموا منهم. وعن وحدة الدين كله، واتحاده مع هذا الدين الأخير الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. ويختم بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبل الله.

ويتخلل السورة من المطلع إلى الختام معانٍ قوية عميقة حول معنى الإيمان وحقيقته تهز الوجدان هزاً، وتقفه أمام تكاليف الإيمان وقفة جد صارم فإما النهوض بها، وإما النكوص عنها. وإلا فهو النفاق الذي يفضحه الله.

خامسًا: المقاصد والأهداف العامة للسورة

١. تحدي المشركين بالإتيان بمثل سورة منه كما في سورة البقرة، وجدالهم في أن القرآن نزل من عند الله تعالى؛ وبذلك رد الله سبحانه كيدهم وفتنتهم إلى نحورهم.
٢. تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون، وصدوهم عن الإسلام، أو عن الهجرة مع من هاجروا.
٣. وعد الله بنصر المؤمنين، وخذل أهل الشرك وأنصارهم وملقنيهم من أهل الكتاب.
٤. الأمر بمجافاة المشركين، والابتعاد عنهم، ولو كانوا أقرب القرابة.
٥. وجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك.
٦. مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين.
٧. أمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام، والتأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن محمداً ﷺ جاء بمثل ما جاؤوا به.
٨. أخذ الدروس والعبر من قصص الأنبياء التي تخللت السورة.
٩. الاستدلال على أن القرآن منزل من عند الله بدليل أمية من أنزل عليه ﷺ .
١٠. تذكير المشركين بنعم الله عليهم ليقلعوا عن عبادة ما سواه.
١١. إلزام المشركين بإثبات وحدانيته؛ بأنهم يعترفون بأنه خالق من في السموات ومن في الأرض.
١٢. الاستدلال على البعث، بالنظر في بدء الخلق وهو أعجب من إعادته.
١٣. إثبات الجزاء على الأعمال في الدنيا والأخرة.
١٤. توعد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة وهم يتهكمون باستعجاله.

١٥. بيان فساد عقيدة المشركين ، فقد ضرب الله سبحانه المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بمثل وهي بيت العنكبوت[١].

١٦. ((الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً لئلا يكون مثل المعرِّج، مثل العنكبوت، فإن ذلك مثل كل من عرج عنه سبحانه، وتعوض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين))[٢].

١٧. مصير المجاهدين الهداية لطريق الحق والخير والرشاد.

سادسًا: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

١ – مناسبة السورة لما قبلها:

أما مناسبة سورة العنكبوت مع ما قبلها، وهي سورة القصص[٣] فتكون المناسبة من بضعة أوجه وهي كالآتي:

الوجه الأول: أنه تعالى لما أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه: ﴿ **عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ** ﴾ [القصص: ٤] افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني إسرائيل؛ تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثاً لهم على الصبر؛ ولذلك قال هنا: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ...﴾ [العنكبوت: ٣].

الوجه الثاني: وأيضاً فلما كان في خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ، وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله:﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ** ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ناسب تتاليهما [٤].

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٠/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) مصاعد النظر: للبقاعي (٢/ ٣٤٥).

(٣) حسب الترتيب التوقيفي لا التاريخي.

(٤) أسرار ترتيب القرآن: للسيوطي (١٢٠).

الوجه الثالث: لما تضمنت سورة القصص هذا الابتلاء في الخير والشر، وبه افتتحت واختتمت، والإشارة إلى خروج نبينا ﷺ من بلده ومنشأه، ثم بشارته ﷺ آخراً بالعودة والظفر ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ** ﴾ [القصص: ٨٥]، فأعقب سبحانه هذا بقوله معلماً للعباد ومنبهاً أنها سنته فيهم فقال ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٢]، فإذا وقع الابتلاء فمن فريق يتلقون ذلك تلقي العليم أن ذلك من عند الله ابتلاءً واختباراً، فيكون تسخيراً لهم وتخليصاً، ومن فريق يقابلون ذلك بمرضاة الشيطان، والمسارعة إلى الكفر والخذلان ﴿ **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ** ﴾ [العنكبوت: ٦]. وأيضاً حين كان المراد منه أن يرده إلى مكة ظاهراً غالباً على الكفار ظافراً طالباً للثأر، وكان فيه احتمال مشاق القتال صعب على البعض ذلك فقال الله تعالى: ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا** ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] ولا يؤمروا بالجهاد(١).

الوجه الرابع: هو أنه تعالى لما قال في أواخر السورة المتقدمة ﴿ **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ...**﴾ [القصص: ٨٧] وكان في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب، لأن النبي عليه السلام وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك فقال: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ...**﴾ [العنكبوت: ٢].

الوجه الخامس: هو أنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [القصص: ٨٨]، ذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال: له ﴿ **لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص: ٨٨]، يعني: ليس كل شيء هالكًا من غير رجوع بل كل هالك وله رجوع إلى الله(٢).

---

(١) **انظر**: البرهان: لابن الزبير الثقفي (٢٧١)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٣).

(٢) الوجه الرابع والخامس، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٣).

٢ – مناسبة السورة لما بعدها:

أما مناسبة سورة العنكبوت مع ما بعدها، وهي سورة الروم فتكون المناسبة من بضعة أوجه وهي كالآتي:

الوجه الأول: أنها ختمت بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر، وفرح المؤمنين بذلك، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة(١).

الوجه الثاني: ولما أشير في آخر تلك بأمر الحرم إلى أنه سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء، وختم بمدح المجاهدين فيه، وأنه سبحانه لا يزال مع المحسنين، وكانت قد افتتحت بأمر المفتونين، فكان كأنه قيل: لنفتننكم ولنعمين المفتونين ولنهدين المجاهدين، وكان أهل فارس قد انتصروا على الروم، ففرح المشركون وقالوا للمسلمين: قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب، فلننصرن عليكم، فأخبر الله تعالى بأن الأمر يكون على خلاف ما زعموا، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر وأنه يسرُّ المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل، وخذلان أهل العراقة في الباطل والجهل، وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين، فقال مبتدئاً بما أفهمه كونه مع المحسنين مع أنه ليس مع المسيئين: ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ [الروم: ٢] أي: لتبديلهم دينهم غلبهم الفرس في زمن أنو شروان أو بعده(٢).

الوجه الثالث: فلما قدم تذكارهم بنعمة الأمن في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، بخلاف مما سلط على من حولهم من الانتهاب والقتل وسبي الذراري، أعقب بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة وأوسع بلاداً، وقد أيد عليهم غيرهم، ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم، فقالت: ﴿ **الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ...** ﴾ [الروم: ١ – ٣] الآيات، وكأنه يقول إنما تمنعون بفضل الله ﷻ .

الوجه الرابع: وأيضاً فإنه سبحانه لما قال: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أتبع ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها، وتبين اضمحلالها،

---

(١) أسرار ترتيب القرآن: للسيوطي (١٢١).

(٢) **انظر:** نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٢).

وأنها لا تصفو ولا تتم، وإنما حالها أبداً التقلب وعدم الثبات، فأخبر بأمر هذه الطائفة التي هي من أكثر أهل الأرض وأمكنهم وهم الروم، وأنهم لا يزالون مرة عليهم وأخرى لهم، فجعله الله مثالاً قائما إلى قيام الساعة(١).

الوجه الخامس: في المطلع، فإن كلا السورتين افتتح بـ﴿ **الم** ﴾ غير مقرون بذكر التنزيل والكتاب والقرآن(٢) بالإضافة لسورة مريم والقلم، بخلاف سور القرآن الكريم الأخرى(٣)؛ لأن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن(٤).

الوجه السادس: في المطلع أيضاً، افتتح الله سورة العنكبوت بقوله: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٢]، وبين أيضا الهدف من الابتلاء فقال: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣]، وفي الروم جاء الابتلاء العملي للصحابة ﷺ في التصديق بوعده الغيبي، بنصر الروم في بضع سنين، والثبات في وجه تشكيك المشركين فقال تعالى: ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ** ﴾ [الروم: ٢ – ٤].

الوجه السابع: لقد فصل الله سبحانه في سورة الروم ما جاء مجملاً في العنكبوت من الحجج على أصول الاعتقاد وأهمها التوحيد، والخلق، والبعث، والنظر في الآفاق والأنفس(٥).

---

(١) الوجه الثالث والرابع، **انظر**: البرهان: لأبي جعفر الثقفي (٢٧٣–٢٧٤) بتصرف.

(٢) **والحكمة؛** ((لأن ثِقَلَ القرآن هو ما فيه من التكاليف والمعاد، وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا** ﴾، يعني لا يتركون بمجرد ذلك، بل لا بدّ وأن يؤمنوا بأنواع التكاليف، ففيها المعنى الذي في السورة التي ذكر بها القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي)).[اللباب: لابن عادل الحنبلي (٣٠٨/١٥)].

(٣) **كقوله:** ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ** ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ﴿ **الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ [آل عمران: ١ – ٣]، ﴿ **المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ [الأعراف: ١، ٢].

(٤) **انظر**: اللباب: لابن عادل الحنبلي (٣٠٦/١٥–٣٠٧)، الإتقان: للسيوطي (٣/ ٣٨٤).

(٥) **انظر**: تفسير المراغي (٢١/ ٢٦)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٤٣).

المطلب الثاني

التعريف بسورة الروم

أولاً: بين يدي السورة

١ – اسم السورة:

سورة الروم، هكذا ورد اسمها في المصاحف، وكتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الحديث. وجاء عن ابن عباس أنه عدها من ضمن السور المكية[١]، وأيضا جاء في الحديث عن رجل[٢] من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ "**أنه صلى صلاة الصبح، فقرأ الروم ....** الحديث"[٣]، وعن أبي روح الكلاعي[٤]، قال: "**صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، فقرأ فيها سورة الروم ....** الحديث"[٥].

وذكر الإمام السخاوي أن من أسمائها﴿ **الم * غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ [الروم:١-٢] [٦].

---

(١) **انظر**: دلائل النبوة: للبيهقي(١٤٣/٧)، الدر المنثور: للسيوطي (٦/ ٤٧٨).

(٢) ولعل الرجل هو الاغر المزني ﷺ ، كما في الدر المنثور (٦/ ٤٧٨)، ذكر السيوطي رحمه الله الحديث عنه بسند مختلف، وعزا هذا الحديث لمسند البزار وأيضاً الشيخ الألباني عزاه لمسند البزار كما في كتابه أصل صلاة النبي ﷺ (٤٣٩/٢)، ولكني بحثت في المسند الذي بين يدي، ولم أجده ولعل الحديث في نسخ مخطوطة اطلع عليها الإمامان ولم تحقق وتطبع بعد.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (المجتبى)، كتاب الافتتاح، باب القراءة في الصبح بالروم، (٢/ ١٥٦)، برقم(٩٤٧)، نقل المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله حكم الألباني عليه بالضعف وبعد البحث وجدت الشيخ تراجع عن حكمه في كتابه أصل صلاة النبي ﷺ فقال: «وسنده جيد. هذا هو الذي استقر عليه الرأي أخيراً؛ خلافاً لما كنت ذكرته في " تمام المنة "(ص ١٨٠) وغيره؛ فليُعلم.»[**انظر**: أصل صلاة النبي ﷺ : للألباني (٤٣٩/٢) في الحاشية].

(٤) **هو**: شبيب ابن نعيم أبو روح [الشامي] ثقة من الثالثة أخطأ من عده في الصحابة. [**انظر**: تقريب التهذيب: لابن حجر (٢٦٣)].

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث أبي روح الكلاعي، (٢٥/ ٢٠٨)، برقم (١٥٨٧٢). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١/ ٥٣)، برقم (٢٢٢).

(٦) **انظر**: جمال القراء: للسخاوي (٩١).

وسميت سورة الروم بهذا الاسم؛ لمجيء البشارة في مطلعها بغلبة الروم بعد هزيمتهم ببضع سنين، ويفرح المؤمنون ويستبشروا بقرب النصر الإلهي لهم، ويموت الكفار بغيظهم، وحتى يتعظوا، فالسعيد من وعظ بغيره.

٢ – مكان النزول:

اختلف المفسرون في مكان نزول سورة الروم إلى ثلاثة أقوال وهي كالآتي:

القول الأول: أن سورة الروم كلها مكية، وهذا قول جمهور المفسرين وسوادهم الأعظم، قال القرطبي رحمه الله: ((سورة الروم مكية كلها من غير خلاف))، وقال ابن عطية رحمه الله[١]: ((ولا خلاف أحفظه في ذلك))، بل نقل الامام ابن الجوزي رحمه الله[٢] الإجماع على مكيتها فقال: ((وهي مكّيّة كلّها بإجماعهم))، ومن المفسرين من قال اتّفاقا، فكيف وقد قال –حبر الأمة– ابن عباس: "نزلت سورة الروم بمكة"، وقال ابن عاشور رحمه الله: ((ولم يذكرها صاحب «الإتقان» في السور المختلف في مكيتها ولا في بعض آيها)) [٣].

القول الثاني: مكية، إلا قول الله تعالى:﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ [الروم: ١٧]، وأبرز من نسب له هذا القول هو الحسن البصري رحمه الله؛ بناء على أن تلك الآية تشير

---

(١) **هو**: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي. حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر، وخلائق. وكان فقيها، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور روى عنه أبو جعفر بن مضاء، وغيره، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، ومات في خامس عشر من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. **[انظر**: طبقات المفسرين للسيوطي (٦٠-٦١)].

(٢) **هو**: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ؛ كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة، منها " زاد المسير في علم التفسير ". وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان، وقيل عشر وخمسمائة. وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب. **[انظر**: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠– ١٤٢)].

(٣) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ١)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٢٧)، زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٥)، الدر المنثور: للسيوطي (٦/ ٤٧٨)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٩)، الإتقان: للسيوطي (٣٩/١-٤٣).

إلى الصلوات الخمس وهو يرى أن الصلوات الخمس فرضت بالمدينة وأن الذي كان فرضاً قبل الهجرة هو ركعتان في أي وقت تيسر للمسلم[١].

القول الثالث: أنها مدنية كلها، ونسبه ابن عاشور رحمه الله للإمام الترمذي رحمه الله[٢]؛ لما رواه عن أبي سعيد ﷺ، قال: " **لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت: ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾** [الروم: ١، ٢]، – **إلى قوله – ﴿ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾** [الروم: ٤، ٥] **قال: "ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس"**[٣].

الترجيح

والذي يميل إليه القلب وتطمئن إليه النفس في مكان النزول بعد الدراسة المتأنية هو قول جمهور المفسرين في كون سورة الروم مكية كلها؛ **وذلك للأسباب الآتية:**

أ- ما روي عن ابن عباس، وابن الزبير ﷺ فالصحابة عاصروا النزول وقولهم مقدم، ولا سيما إن كان القول مروياً عن حبر الأمة.

ب- واتفقت الروايات على أن غلب الروم للفرس وقع بعد مضي سبع سنين من غلب الفرس على الروم الذي نزلت عنده هذه السورة، ومن قال: إن ذلك كان بعد تسع سنين بتقديم التاء المثناة فقد حمل على التصحيف كما رواه القرطبي عن القشيري[٢] يقتضي أن نزول سورة الروم

---

(١) **انظر:** الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٦)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٩)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠١)، التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٠)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٤٩)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٩).

(٢) **انظر:** التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الروم، (٥/ ٣٤٣)، برقم (٣١٩٢)، وقال: ((هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه))، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٧١/٣)، برقم(٢٩٣٥)، وفي موضع آخر(٢٩٩/٣)، برقم(٣١٩٢) وقال صحيح بما بعده أي لغيره، وضعفه المزيني في المحرر (٧٨٣/٢).

(٤) **هو:** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوريّ القشيري، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان وكان إمامًا، قدوةً، مفسرًا، محدثًا، فقيهًا، شافعيًا، متكلمًا، أشعريًا، نحويًا، كاتبًا، شاعرًا، صوفيًا، زاهدًا، واعظًا، حسن الوعظ، مليح الإشارة، حلو العبارة، إنتهت إليه رئاسة التصوف في زمانه. ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة ومات يوم الأحد سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة وله عدة أولاد أئمة. من كتبه " التيسير في التفسير " ويقال له " التفسير الكبير "، و" لطائف الإشارات "، و" الرسالة القشيرية ".**[انظر:** طبقات المفسرين للسيوطي (٧٤)].

كان في سنة إحدى قبل الهجرة لأن بيعة الرضوان كانت في سنة ست بعد الهجرة، وعن أبي سعيد الخدري أن انتصار الروم على فارس يوافق يومه يوم بدر[١].

ت- وأما ما ورد عن الحسن رحمه الله، فهو خلاف مذهب الجمهور والتفسير المرضي[٢].

ث- وليست الصلوات الخمس وأوقاتها هي المراد من الآية ولكن نسجت على نسج صالح لشموله الصلوات الخمس وأوقاتها؛ وذلك من إعجاز القرآن، لأن الصلاة وإن كان فيها تسبيح ويطلق عليها السبحة فلا يطلق عليها: سبحان الله.[٣].

٣ - سبب النزول:

عن أبي سعيد ﷺ، قال: " **لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت:** ﴿ **الم * غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ [الروم: ١، ٢]- **إلى قوله -** ﴿ **يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ** ﴾ [الروم: ٤، ٥]، **قال: «ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس»**[٤]، والذي يميل إليه الباحث أن الحديث لا ينهض للاحتجاج به على السببية لضعفه واضطرابه، ولأن سياق الحديث يأبى هذا حيث أن الحديث نص على أن ظهور الروم على فارس كان في يوم بدر فنزلت هذه الآية. فإذا كان الأمر كذلك فكيف يبشر الله المؤمنين بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، والنصر قد تم للروم في يوم بدر - حسبما يدل عليه الحديث - والله أعلم[٥].

٤ - ترتيبها:

أ. موقعها من حيث ترتيب المصحف التوقيفي:

تقع سورة الروم في المصحف التوقيفي، في الجزء الحادي والعشرين من القرآن العظيم، بين سورتي العنكبوت ولقمان، وترتيبها الثلاثون حسب ترتيب المصحف.

---

(١) **انظر**: الجامع: للقرطبي (٣/١٤)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٩).

(٢) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ١٨).

(٣) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٦٦).

(٤) **سبق تخريجه** (٣٨).

(٥) **انظر**: المحرر في أسباب نزول القرآن: لخالد المزيني (٧٨٣/٢).

ب. موقعها من حيث النزول التاريخي:

ذكر العلماء أن ترتيب سورة الروم حسب النزول التاريخي هي السورة الرابعة والثمانين ضمن السور المكية، فقد سبقتها في النزول سورة الإنشقاق، ونزلت بعدها العنكبوت[١].

٥ – عدد آياتها:

وهي ستون آية، وقيل: تسع وخمسون آية[٢]، قال ابن عاشور: ((وعدد آيها في عد أهل المدينة[٣] وأهل مكة[٤] تسع وخمسون. وفي عدد أهل الشام والبصرة والكوفة ستون))[٥]، وقال الامام أبو عمرو الداني[٦]: ((وهي خمسون وتسع آيات في المدني الأخير، والمكي وستون آية في عدد الباقين. وقال: **اختلافها أربع آيات:**

أ- ﴿ **الم** ﴾ [الروم: ١]، عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

ب- ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ [الروم: ٢]، لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

ت- ﴿ **فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤]، لم يعدها المدني الأول والكوفي، وعدها الباقون.

ث- ﴿ **يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الروم: ٥٥]، عدها المدني الأول، ولم يعدها الباقون.

---

(١) **انظر:** جمال القراء: للسخاوي (٤٤)، بصائر ذوي التمييز: للفيروزآبادى (٩٩/١)، البرهان: للزركشي (١٩٣/١)، الإتقان: للسيوطي (٤١/١).

٢٣) **انظر:** معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٦٨)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٨٩)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ١٨)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠١)، البحر المديد: لابن عجيبة(٤/ ٣٢٣)، وغيرهم.

(٣) **العدد المدني على ضربين:** مدني الأول، ومدني أخير. فالمدني الأول منسوب إلى نقل أهل الكوفة إياه عن أهل المدينة مرسلاً، ولم يسموا فيه أحداً. والمدني الأخير منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وصهره شيبة بن نصاح.[**انظر:** فنون الأفنان: لابن الجوزي (٢٣٨)].

(٤) العدد المكي منسوب إلى مجاهد بن جبر، وعبدالله بن كثير. [فنون الأفنان: لابن الجوزي (٢٣٧)].

(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٤٠).

(٦) **هو:** عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم، القرطبيّ، الإمام العلم، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، وفي زماننا بأبي عمرو الداني؛ لنزوله بدانية. ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، توفي الحافظ أبو عمرو الداني بدانية يوم الاثنين منتصف شوال، سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن ليومه بعد العصر، ومشى صاحب دانية أمام نعشه، وشيّعه خلق عظيم، رحمه الله تعالى. وله مصنفات كثيرة من أشهرها: التيسير، وطبقات القراء وأخبارهم. [**انظر:** طبقات المفسرين: للداوودي (١/ ٣٧٩-٣٨١-٣٨٢)].

ثم قال: وكلهم عد ﴿ **يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الروم: ١٢]، وقال: وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع موضعان: ﴿ **وَالْمِسْكِينَ** ﴾ [الروم: ٣٨]، ﴿ **وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾ [الروم: ٣٨])) [١].

ثانياً: فضل السورة

هي من المثاني، التي أعطيت للنبي ﷺ مكان الإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال " **أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**" [٢].

وقد ورد أيضاً في فضلها حديثٌ، لكنه حديث موضوع لا تصح نسبته للنبي ﷺ، والباحث ذكره في الحاشية؛ للتوضيح، وتحذير الأمة منه[٣].

ثالثاً: المحور الأساسي للسورة

هو موضوع سائر السور المكية التي تبحث في أصول العقيدة الإسلامية وهي التوحيد وصفات الله تعالى، والإيمان بالرسالة النبوية، وبالبعث والجزاء في الآخرة[٤].

وهي على وجه الخصوص يدور محورها، حول إثبات أن الأمر لله من قبل ومن بعد، مع ذكر بعض صفات الله الواجبة له، وتهديد المشركين، وبيان أن الإسلام دين الفطرة، وبيان طبيعة الإنسان، ويلاحظ فيها ذكر الآيات الكونية الدالة على العلم والقدرة والوحدانية كثيراً[٥].

---

(١) **انظر**: البيان: للداني(٢٠٥).

(٢) سبق تخريجه (٢٩).

(٣) والحديث مروي في عدة تفاسير عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ : «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرُّومِ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، بِعَدَدِ كُلِّ مَلَكٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَأَدْرَكَ مَا ضَيَّعَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ»، [**انظر**: درج الدرر: للجرجاني (٤٣٩/٢)، الكشف والبيان: للثعلبي (٢٩١/٧)، الكشاف: للزمخشري (٤٨٩/٣)، السراج المنير: للخطيب الشربيني (١٧٩/٣)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٦٧/٧).] والحديث موضوع كما أوردنا في المطلب السابق عن ابن الجوزي في (الموضوعات) أن الأحاديث المنسوبة لأبي بن كعب ﷺ فضائل السور أنها موضوعة عليه.

(٤) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٤٢).

(٥) **انظر**: التفسير الواضح: لمحمد حجازي (٣/ ١٣).

رابعًا: موضوعات السورة

والذي يظهر للباحث من سياق السورة أنها تتكون من ثلاثة موضوعات:

الموضوع الأول: التبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح بها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين.

الموضوع الثاني: وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود. والربط بين نصر المؤمنين والحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض وما بينهما. وينتهي هذا الموضوع بتوجيه الرسول ﷺ، إلى اتباع طريق الحق الواحد الثابت الواضح.

الموضوع الثالث: يكشف عما في طبيعة الناس من تقلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة ما لم يرتبطوا بمعيار ثابت لا يدور مع الأهواء، ويصور حالهم في الرحمة والضر، وعند بسط الرزق وقبضه، ويعود إلى قضية الشرك والشركاء فيعرضها من هذه الزاوية، ويتخلل النقاش آيات الله في مشاهد الكون ثم ينهي هذا الموضوع، ويختم معه السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى الصبر على دعوته، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق آت فلا يستخفه الذين لا يوقنون[1].

خامسًا: المقاصد والأهداف العامة للسورة

١. رد الله تعالى تطاول المشركين بسرورهم من تغلب الفرس على الروم وتحداهم بأن العاقبة للروم في الغلب على الفرس بعد سنين قليلة.
٢. تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث، ولا في أسباب نهوض وانحدار الأمم من الجانب الرباني. وعدم اتعاظهم بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله.
٣. الاستدلال للبعث وإثباته، ولوحدانيته تعالى بدلائل من آيات الله في تكوين نظام العالم ونظام حياة الإنسان[2].

---

(١) **انظر**: الظلال: لسيد قطب (٥/ ٢٧٥٤- ٢٧٥٥- ٢٧٥٦).

(٢) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٤٠- ٤١).

٤. حض النبي ﷺ والمسلمين على التمسك بهذا الدين وأثنى عليه.

٥. إعمال النظر بين الفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وبين حال المشركين ورذائلهم.

٦. التصريح بأن الإسلام دين فطر الله الناس عليه، وأن من ابتغى غيره ديناً فقد حاول تبديل ما خلق الله وأنّى له ذلك.

٧. أمر النبي ﷺ بالثبات والصبر، والوعد بالنصر والتمكين[١].

٨. طبيعة الناس في السراء، والضراء. منهم الشاكر الحامد، ومنهم الكافر الجاحد.

٩. أسباب ظهور الفساد الاقتصادي؛ وذلك بما كسبت أيدي الناس بمخالفة التشريعات الربانية التي تحكم حياة الناس الاقتصادية.

١٠. سنن الله في المجتمعات، بحيث ينصرها إن حققت التوحيد، ويهلكها في حالة الإشراك به، وعالمية الاسلام في تشريعاته، وانفتاحه عما يدور حوله من أحداث.

سادسًا: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

١ – مناسبة السورة لما قبلها[٢]:

ذكر الباحث في المطلب السابق مناسبة سورة العنكبوت مع ما بعدها، –وهي سورة الروم– وهنا علاقة سورة الروم بما قبلها؛ فلأن المضمون واحد، وللبعد عن التكرار، يكتفي الباحث بما ذكر في المطلب السابق.

٢ – مناسبة السورة لما بعدها:

تظهر صلة هذه السورة بسورة لقمان التي بعدها من وجوه:

الوجه الأول: أن الله تعالى لما قال: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ [الروم: ٥٨]، إشارة إلى كونه معجزة وقال: ﴿ **وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ** ﴾ [الروم: ٥٨]، إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات بين ذلك بقوله: ﴿ **الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ [لقمان: ١، ٢] ولم يؤمنوا بها، وإلى

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٤١).

(٢) **انظر**: المطلب السابق (٣٢–٣٣–٣٤).

هذا أشار بعد هذا بقوله: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا** ﴾ [لقمان: ٧]، وتلك إشارة إلى البعيد، فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه(١).

الوجه الثاني: لما تكرر الأمر بالاعتبار والحض عليه، والتنبيه بعجائب المخلوقات في عشر آيات من سورة الروم كقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ [الروم: ٨]، وقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الروم: ٩]، أتبع سبحانه ذلك بقوله الحق ﴿ **الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ [لقمان: ١، ٢]، أي: دلائله وبراهينه لمن وفق وسبقت له الحسنى، وهم المحسنون الذين ذكرهم بعد(٢).

الوجه الثالث: ذكر من هداه سبيل الفطرة فلم تزِغ به الشبه ولا تنكب سواء السبيل فقال: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ... الآية** ﴾ [لقمان: ١٢]، ليبين لنا سنن من أتبع فطرة الله التي تقدم ذكرها في سورة الروم ثم تناسق الكلام وتناسج(٣).

الوجه الرابع: وصف الله تعالى قدرته على بدء الخلق والبعث في كلتا السورتين، فقال في السورة السالفة: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال هنا: ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ [لقمان: ٢٨] .

الوجه الخامس: أثبت الله تعالى في كلتا السورتين إيمان المؤمنين بالبعث، فقال في السورة السابقة: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ** ﴾ [الروم: ٥٦]، وهذا عين إيقانهم بالآخرة المذكور في مطلع هذه السورة: ﴿ **وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ [لقمان: ٤].

الوجه السادس: حكى الله تعالى في السورتين ما عليه حال المشركين من القلق والاضطراب، إذ يضرعون إلى الله في وقت الشدة، ويكفرون به وقت الرخاء، فقال في السورة المتقدمة: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ...** ﴾ [الروم: ٣٣]، وقال في هذه السورة: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...** ﴾ [لقمان: ٣٢].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٤)، البحر المحيط: لأبي حيان (٤٠٨/٨)، روح المعاني: للألوسي (٦٤/١١).

(٢) **انظر**: البرهان: لأبي جعفر الثقفي (٢٧٥).

(٣) المصدر السابق (٢٧٦).

الوجه السابع: ذكر في سورة الروم: ﴿ **فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ [الروم: ١٥]، وقد فسر بالسماع، وفي لقمان: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ [لقمان: ٦]، وقد فسر بالغناء وآلات الملاهي.

الوجه الثامن: قابل تعالى بين السورتين، فذكر في سورة الروم مدى اعتزاز المشركين بأموالهم ورفضهم إشراك غيرهم فيها، وذكر هنا قصة لقمان الحكيم العبد الصالح الذي أوصى ابنه بالتواضع وترك التكبر، كما ذكر في الأولى محاربة الروم والفرس في معركتين عظيمتين، وذكر في السورة الثانية في قصة لقمان الأمر بالصبر والمسالمة وترك المحاربة [١].

الوجه التاسع: عندما ذكر الله في السورة السابقة دلالات توحيده وتنزيهه عن الند والشريك أنه ليس للتسلية انما هو للخروج به الى الناس، وفي لقمان بين الأولويات في الدعوة بدعوة الأهل، وأول أمر في الدعوة التوحيد ونبذ الشرك قال الله: ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]، ومن ثم الشريعة من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ثم تأتي باقي العبادات والمعاملات؛ للالتزام بهذا الشرع .

---

(١) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/٦٤-٦٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٢٥-١٢٦).

المطلب الثالث

التعريف بسورة لقمان

أولاً: بين يدي السورة

١ – اسم السورة:

سورة لقمان، هكذا ورد اسمها في المصاحف، وكتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الحديث. فقد ورد اسمها على لسان البراء بن عازب ﷺ [١] حيث قَالَ: "**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يُصَلِّي بِنَا الظُّهْرَ، فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَاتِ، مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ وَالذَّارِيَاتِ**".[٢] وجاء في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" أنزلت سورة لقمان بمكة"[٣].

ووجه التسمية كما ذكره ابن عاشور، بإضافتها إلى لقمان؛ لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجملاً من حكمته التي أدب بها ابنه. وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين[٤]، وقال القاسمي: « سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة، والنهي عن الذميمة. وهي معظمات مقاصد القرآن »[٥].

---

(١) **هو**: البراء بْن عازب بْن الحارث بْن عدي بْن جشم بْن مجدعة بْن حارثة بْن الحارث بْن عمرو بْن مالك بْن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عمارة، وهو أصح. وغزا مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ أربع عشرة غزوة ورده النبي يوم بدر لصغره. وهو الذي افتتح الري، وشهد غزوة تستر مع أَبِي موسى، وشهد البراء مَعَ عليّ بْن أَبِي طَالِب الجمل وصفين والنهروان، هو وأخوه عبيد بْن عازب، ونزل الكوفة وابتنى بها دارًا، ومات أيام مصعب بْن الزبير. **[انظر**: أسد الغابة: لابن الأثير (١/ ٢٠٥)].

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب الجهر بالآية، (٢/ ٢١)، برقم (٨٣٠) وقال المحقق: صحيح لغيره. والنسائي في سننه: كتاب الافتتاح، باب القراءة في الظهر،(١٦٣/٢)، برقم (٩٧١). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٤١٢٠).

(٣) **انظر**: دلائل النبوة: للبيهقي (١٤٣/٧).

(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٧).

(٥) محاسن التأويل (٨/ ٢٤).

٢ – مكان النزول:

اختلف المفسرون في مكان نزول سورة الروم إلى أربعة أقوال وهي كالآتي:

القول الأول: مكية كلها، قال الماوردي[١]: ((في قول الجميع))، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في أشهر قوليه وعليه إطلاق جمهور المفسرين قال: أنزلت سورة لقمان بمكة.

القول الثاني: مكية كلها إلا الآية الرابعة، وورد هذا القول عن الحسن وعلل قوله؛ لأن الصلاة والزكاة مدنيتان.

القول الثالث: مكية كلها غير آيتين، وهما، السابعة والعشرون والثامنة والعشرون، وورد هذا القول عن قتادة، وعطاء.

القول الرابع: مكية كلها إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، والآيات هي السابعة والعشرون والثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون، وورد هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه[٢]، واستدلوا بما أخرجه ابن جرير ((عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد، أرأيت قوله: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٨٥]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ : "كُلا"، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : "إنَّها في عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يكْفِيكُمْ"، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي: أن التوراة في هذا من علم الله قليل))[٣].

---

(١) **هو**: أبو الحسن علي بْن مُحَمَّد بْن حبيب أَبُو الحسن البصري المعروف بالماوردي كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة فِي أصول الفقه، وفروعه، وفي غير ذلك، وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة، وكان ثقة، واتهم بالاعتزال، مات فِي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة خمسين وأربع مائة، مات فِي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة خمسين وأربع مائة.[**انظر**: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (٥٨٧/١٣)، سير أعلام النبلاء: للذهبي (٣١١/١٣-٣١٢)].

(٢) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٦)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٥)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣٧/٢١-١٣٨)، البيان: للداني (٢٠٦).

(٣) جامع البيان (٢٠/ ١٥٢).

الترجيح

والذي يظهر للباحث من خلال دراسة الأقوال أن القول الراجح هو القول الأول القول بمكية سورة لقمان كلها؛ وذلك للأسباب الآتية:

أ- وجوب الصلاة، والزكاة بمكة ضعيف؛ لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة، ومن المعلوم للجميع أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء كما في صحيح البخاري وغيره، فما ذكر من أن إيجابها بالمدينة غير مسلم، ولو سلم فيكفي كونهم مأمورين بها بمكة، ولو ندباً فلا يتم التقريب فيها، نعم المشهور أن الزكاة إيجابها بالمدينة فلعل ذلك القائل أراد أن إيجابهما معا تحقق بالمدينة لا أن إيجاب كل منهما تحقق فيها، ولا يضر في ذلك أن إيجاب الصلاة كان بمكة، وقيل: إن الزكاة إيجابها كان بمكة كالصلاة، وتقدير الأنصباء هو الذي كان بالمدينة، وعليه لا تقريب فيهما، ولأن الحق تعالى يخبر بالشيء قبل وقوعه كما تحقق وقوعه[1].

ب- القائل بأن آية ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ...﴾ [لقمان: ٤]، نزلت بالمدينة قاله من قبل رأيه، وليس له سند يعتمد، وأسلوب السورة وترابط فصولها يسوغان القول إنها نزلت دفعة واحدة أو فصولًا متتابعة.

ت- وأما ما أخرجه الطبري عن ابن عباس، مروي بأسانيد ضعيفة، وعلى تسليمها فقد أجيب بأن اليهود جادلوا في ذلك ورسول الله ﷺ بمكة بأن لقنوا ذلك وفدا من قريش، وفد إليهم إلى المدينة، وهذا أقرب للتوفيق بين الأقوال، وأيضًا الرواية تتحمل التوقف؛ لانسجام الآيات، وتواثقها مع سائر الآيات السابقة واللاحقة لها[2].

٣ - ترتيبها:

أ. موقعها من حيث ترتيب المصحف التوقيفي:

تقع سورة لقمان في المصحف التوقيفي، في الجزء الحادي والعشرين من القرآن العظيم، بين سورتي الروم والسجدة، وترتيبها الواحد والثلاثون حسب ترتيب المصحف.

---

(١) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٢)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٦٨)، البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣٥٩)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ٦٤).

(٢) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٧- ١٣٨)، التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٤٠).

ب. موقعها من حيث النزول التاريخي:

ذكر العلماء أن ترتيب سورة لقمان حسب النزول التاريخي هي السورة السابعة والخمسون ضمن السور المكية، فقد سبقتها في النزول سورة الصافات، وبعدها سورة سبأ[١].

٤ – عدد آياتها:

وهي أربع وثلاثون آية، وقيل: ثلاث وثلاثون[٢]. فقد عدت آياتها ثلاثًا وثلاثين في عد أهل المدينة ومكة، وأربعًا وثلاثين في عد أهل الشام والبصرة والكوفة[٣]. وقد وقع الاختلاف في آيتين:

أ– ﴿ **الم** ﴾ [لقمان: ١]، عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

ب– ﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [لقمان: ٣٢]،عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

وليس فيها شيء مما يشبه الفواصل[٤].

ثانيا: فضل السورة

هي من المثاني التي أعطيت للنبي ﷺ مكان الإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال " **أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**"[٥] .

وقد ورد أيضاً في فضلها حديث البراء بن عازب ﷺ حيث قَالَ: "**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يُصَلِّي بِنَا الظُّهْرَ، فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَاتِ، مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ وَالذَّارِيَاتِ**"[٦].

---

(١) **انظر**: جمال القراء: للسخاوي (٤٤)، بصائر ذوي التمييز: للفيروز آبادي (٩٨/١)، البرهان: للزركشي (١٩٣/١)، الإتقان: للسيوطي (٤١/١)، دلائل النبوة: للبيهقي (١٤٣/٧)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٨).

(٢) **انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٠٩)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٤)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٥٠)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٤)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧١٠)، التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٧)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٠)، الدر المنثور: للسيوطي (٦/ ٥٠٣)، وغيرهم.

(٣) **انظر**: البيان: لأبو عمر الداني(٢٠٦)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٨).

(٤) **انظر**: البيان: للداني(٢٠٦).

(٥) سبق تخريجه (ص١٩–ص٣١) من الرسالة.

(٦) سبق تخريجه (ص٣٦) من الرسالة.

ثالثًا: المحور الأساس للسورة

تعالج سورة لقمان قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة. وتتلخص في هذه السورة في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر آلائه. وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل. وفي اتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات. والسورة تتولى عرض هذه القضية بطريقة تستدعي التدبر لإدراك الأسلوب القرآني العجيب في مخاطبة الفطر والقلوب. وكل داع إلى الله في حاجة إلى تدبر هذا الأسلوب(١).

رابعًا: موضوعات السورة

لقد تتبع الباحث موضوعات سورة لقمان، فإذا هي تنحصر في أربعة موضوعات رئيسة تندرج تحتها بعض الموضوعات الفرعية وهي كالآتي:

الموضوع الأول: يبدأ بعد افتتاح السورة بالأحرف المقطعة، فتقرر أن هذه السورة من جنس تلك الأحرف؛ هي آيات الكتاب الحكيم، وهي هدى ورحمة للمحسنين. وذكر صفات هؤلاء المحسنين، مع مؤثر نفسي ملحوظ هو أن ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [لقمان: ٥]، ومن ذا الذي لا يريد أن يكون من المفلحين؟! وفي الجانب الآخر فريق من الناس يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم، ويتخذ تلك الآيات هزوًا. وهؤلاء يعاجلهم بمؤثر نفسي مخيف مناسب؛ لاستهزائهم بآيات الله: ﴿ **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [لقمان: ٦] .

الموضوع الثاني: فتبدأ من خلال نفوس آدمية، وتتناول القضية ذاتها في المجال ذاته بأسلوب جديد ومؤثرات جديدة. وهي قصة لقمان وأولها إيتاءه الحكمة التي تتلخص بقوله: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ**﴾ [لقمان: ١٢]، وثم نصيحة حكيم لابنه، ووالد لولده، هذه النصيحة تقرر قضية التوحيد التي قررتها الجولة الأولى، وقضية الآخرة كذلك مصحوبة بهذه المؤثرات النفسية، ومعها مؤثرات جديدة(٢).

---

(١) **انظر**: الظلال: لسيد قطب (٥/ ٢٧٨٠) بتصرف.

(٢) **انظر**: المصدر السابق (٥/ ٢٧٨١-٢٧٨٢).

الموضوع الثالث: تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى، وبنعمه عليهم، وأنه سخر لهم ما في السموات والأرض، وكيف أعرضوا عن هديه، وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم. وذكرت مزية دين الإسلام. وتسلية الرسول ﷺ بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى فقال: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [لقمان: ٢٢]، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا فقال: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ [لقمان: ٢٣، ٢٤].

الموضوع الرابع: ويبدأ هذا المحور بالرد على المعارضين للقرآن في قوله: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ** ﴾ [لقمان: ٢٧] وما بعدها، وختمت السورة بالتحذير من دعوة الشيطان فقال: ﴿ **وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [لقمان: ٣٣]، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان: ٣٤] (١).

وبإجمال الموضوعات الأربعة، ((في السورة تنويه بالمؤمنين المحسنين، وتقريع للكافرين المعطلين المستكبرين. وحكاية لبعض أقوالهم. وردود مفحمة عليهم، وإشارة إلى لقمان، وحكمته وجملة من مواعظ لابنه على سبيل ضرب المثل، والحث على كريم الأخلاق والمبادئ، واستدراك في صدد طاعة الوالدين وتنويه بعظمة الله، وسوابغ نعمه على الناس، وحث على الاستجابة إلى الدعوة وعدم إضاعة الفرصة، وتنديد بتمسك المشركين بتقاليد الآباء رغم سخفها وبطلها))(٢).

خامسًا: المقاصد والأهداف العامة للسورة

١. ((إثبات الحكمة للكتاب، اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله. وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك))(٣).

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣٩/٢١).

(٢) التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٤٠).

(٣) مصاعد النظر: للبقاعي (٢/ ٣٥٦).

٢. التنويه بهدي القرآن ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفساني، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه.

٣. الإشارة إلى تسفيه أهل الضلال، والمروجين له، كبعض الإعلاميين اليوم الذين يروجون الباطل.

٤. وابتدئ ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة، وأمره بشكر النعمة، وكأنه أمر بشكر الله على نعمه، والحذر من كفران النعمة، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم: ٧].

٥. وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، ومن الأمر ببر الوالدين، ومن مراقبة الله لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام، فهي ليست خاصة بابن لقمان إنما هي لكل موحد يعبد الله ﷻ فإن العبرة بعموم اللفظ، وليست بخصوص السبب، والحكمة ضالة المسلم أينما وجدها أخذ بها[١].

٦. إثبات البعث والوحدانية، وصدق الرسل في رسالتهم[٢].

٧. معالجة قضية العقيدة عن طريق القصة.

٨. منهج تربوي في تربية الأبناء، وهو البدء بالتربية العقدية، ومن ثم العبادات والأخلاق الفاضلة، وأن العقيدة هي الرابطة الأصل التي تفوق كل الروابط.

٩. تنوع الأساليب في جدل الكفار، من أدلة عقلية، وحسية، وفطرية، وضرب أمثال، وترغيب وترهيب.

١٠. عناد الكفار، وجدالهم بغير علم، بل حمية للآباء والأجداد، ودور الشيطان في تزيين هذه الحمية.

١١. وقوع الكفار في التناقض بحيث يثبتون توحيد الربوبية ويقرون به، وتجد الإنكار الشديد إذا ما دعوا لإفراد الله بالعبادة والألوهية.

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) التفسير الواضح: لمحمد حجازي (٣/ ٤١).

١٢. تذكر يوم القيامة، وعدم الاغترار بالدنيا وبهرجها وزخرفها، وعدم الانخداع بتزيين الشيطان الغرور لها، فالله وحده عنده علم الساعة والغيب فلا داعي للتسويف بالتوبة والرجوع للحق؛ لأنه لن ينفع الندم ولن يجزي ولن ينفع أحد أحداً.

سادسًا: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

١ – مناسبة السورة لما قبلها:

وقد تم الحديث عن مناسبة سورة لقمان لما قبلها وهي سورة الروم في المطلب الثاني في مناسبة سورة الروم لما بعدها(١).

٢ – مناسبة السورة لما بعدها:

ووجه اتصالها بما بعدها من وجوه:

الوجه الأول: اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية(٢).

الوجه الثاني: إنه ذكر في سورة لقمان دلائل التوحيد والحشر، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد، وهو الأصل الثاني، وفي السجدة ذكر الأصل الثالث، وهو النبوة والرسالة(٣).

الوجه الثالث: قوله: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...** ﴾ [السجدة: ٤] **إلى آخر الآيات** ، فإنها كالاستدلال على قيام الساعة، التي خوّف بها في ختم السورة بعد تقرير الرسالة(٤).

الوجه الرابع: جاء في آخر سورة لقمان ذكر مفاتيح الغيب الخمسة التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها وهي علم الغيب وإنزال الغيث، وما تحمل الأرحام، والرزق والموت، جاءت بعدها سورة السجدة فشرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان(٥).

---

(١) **انظر**: من الرسالة (٣٣).

(٢) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ١١٣)، تفسير المراغي (٢١/ ١٠٢).

(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٣٥)، البحر المحيط: لأبي حيان (٨/ ٤٢٨)، غرائب القرآن: للنيسابوري (٥/ ٤٣٥).

(٤) البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣٨٥)، بتصرف يسير.

(٥) **انظر**: أسرار ترتيب القرآن: للسيوطي (١٢٣)، التفسير القرآني: للخطيب (١١/ ٥٩٨).

الوجه الخامس: هنا تأتي ﴿ **الم** ﴾ [السجدة: ١] بعد مفاتح الغيب الخمسة التي سبقتْ في آخر سورة لقمان، وكأنها مُلْحقة بها، فهي سِرٌّ استأثر الله تعالى بعلمه، على قول بعض العلماء[١].

الوجه السادس: فبعد أن بين في سورة لقمان، أن القرآن الكريم ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ** ﴾ [لقمان: ٣]، بين في السورة التي تليها مصدر الكتاب، وأنه تنزيل من رب العالمين[٢].

الوجه السابع: بعد أن بين الله في لقمان النعم وواجبنا نحوها يكون بشكر المنعم، بين لنا سبحانه في السجدة طريق الشكر وهو السجود والخضوع وعبادة الله.

---

(١) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٧٧٦).

(٢) **انظر**: غرائب القرآن: للنيسابوري (٥/ ٤٣٥).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة العنكبوت من آية

(٤٦ – ٦٩)

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب، ومطالبهم التعجيزية

المبحث الثاني: أمر المؤمنين بالهجرة وثواب الصابرين

المبحث الثالث: اعتراف المشركين بقدرة الله

المبحث الرابع: حقيقة الدنيا وطبيعة الكفار فيها

المبحث الخامس: عقاب الكافرين وجزاء المحسنين

المبحث الأول

توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب، ومطالبهم التعجيزية

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب

المطلب الثاني: دلالة أمية النبي ﷺ في كون هذا القرآن من عند الله

المطلب الثالث: رغبة الكفار عما جاء به النبي ﷺ

المطلب الرابع: شهادة الله ﷻ على نبوة محمد ﷺ

المطلب الخامس: مطالب أهل الكتاب التعجيزية

المطلب الأول

توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦، ٤٧].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله طريقة إرشاد المشركين ونفع من انتفع، وحصل اليأس ممن امتنع بين طريقة إرشاد أهل الكتاب فقال: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...** ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ثم إنه تعالى بين ذلك الأحسن فقدم محاسنهم، وهي إيمانهم بالكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ [(١)].

ثانيًا: دعوى النسخ

وفي دعوى النسخ لهذه الآية ثلاثة أقوال:

١) منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...** ﴾ [التوبة: ٢٩]، وهذا قول قتادة وغيره.

٢) ومنهم من قال هو محكم يراد به من آمن منهم، وهذا قول ابن زيد[(٢)].

٣) ومنهم من قال هو محكم يراد به ذوو العهد منهم، وهو قول مجاهد [(٣)].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٣).

(٢) **هو**: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ، مولاهم المدنيّ، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه أصبغ، وقتيبة، وهاشم، ضعفه جماعة من العلماء منهم: يحيى بن معين حيث يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء. له: «التفسير» و «الناسخ والمنسوخ». مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. أخرج له الترمذيّ، وابن ماجة. **[انظر**: ميزان الاعتدال: للذهبي (٢/٥٦٤)، طبقات المفسرين: للداوودي (١/ ٢٧١)].

(٣) **انظر**: الناسخ والمنسوخ: للنحاس (٦١١-٦١٥)، الناسخ والمنسوخ: لقتادة (٤٥)، الناسخ والمنسوخ: لابن سلامة المقري (١٤١)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٢٨٣).

الترجيح

بعد تدقيق النظر في قول القائلين بالنسخ، يظهر للباحث رجحان ما ذهب إليه مجاهد؛ لعدم وجود الخبر الصحيح، الذي يكون به الفصل في الحكم؛ لأنه من المعلوم بالضرورة عدم القطع بأي حكم في كتاب بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، فكيف بنا وقد أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب، بغير الذي هو أحسن بقوله: ﴿ **إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ فهذا ما مال إليه شيخ المفسرين وكبيرهم [١].

ثالثًا: معاني المفردات

﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا** ﴾: والمجادلة: مفاعلة من الجدل، وأصله شدة الفتل، والجدل هو: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وإقامة الدليل على رأيه[٢].

﴿ **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾: أي: حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا[٣].

﴿ **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾: أي: خاضعون ومتذللون بالطاعة له[٤].

﴿ **يَجْحَدُ** ﴾: من الجحود، وهو الإنكار مع العلم. قال قتادة: إنما يكون الجحد بعد المعرفة[٥].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخاطب الله سبحانه المسلمين فيقول لهم ولا تجادلوا أيها المسلمون مخالفيكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التي هي أحسن وأهدأ، وألين وأدعى إلى قبول الحق الذي معكم. إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال في الجدال فلا حرج في مقابلتهم بالشدة، حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون[٦]. ثم قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكتاب** ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب على

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/٤٨).

(٢) **انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/٢٨٤)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٥).

(٣) مختصر تفسير القرآن: ابن كثير (٢/ ٣٩).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/٤٩)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٣٧).

(٥) **انظر**: مختار الصحاح: للرازي (٥٣)، زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٠)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٣٧).

(٦) **انظر**: المنتخب: للجنة من علماء الأزهر(٥٩٨)، التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٠٢).

من قبلك يا محمد ﷺ، كذلك أنزلنا إليك الكتاب. ﴿ **فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ** ﴾: يعني مؤمني أهل الكتاب ومن هؤلاء يعني أهل مكة من يؤمن به وهم الذين أسلموا. وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدّمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد ﷺ منهم كعبد الله بن سلام. ثم بين الله ﷻ أن انكار الكتاب هو الكفر بعينه(١).

خامسًا: اللطائف

تقييد الله ﷻ الجدل بالتي هي أحسن؛ لأنه أدعى لقبول الحق.

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. الدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك(٢).
٢. جواز المجادلة بالحسنى وهي أحد الأساليب الدعوية، في تقرير المخالف بخطئه، والرد على شبهاته.
٣. فقه الأولويات في الدعوة، في حوار الأقرب لاتباع الحق وتأجيل مناظرة الأبعد عنه.
٤. انقسام أهل الكتاب إلى فريقين، منهم من يقبل الحق، ومنهم الظالم لنفسه بالجحود والتكذيب.
٥. إذا كان الجدال مع الكفار مقيد بالحسن، مع العلم أن الخلاف عقدي، فكيف بجدل إخوة العقيدة، لا سيما إن كان خلافهم في طرق العمل للدين وفروعه، لا صلب الاعتقاد.
٦. تعلم آداب النظر، والحوار، فإن الواجب على المسلم، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً، فديننا دين الانصاف.
٧. التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام(٣).
٨. مقابلة الإحسان بالإحسان، وذلك أن أهل الكتاب جاءوا بكل حسن إلا الاعتراف بالنبي ﷺ فوحدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل والحشر، فلمقابلة إحسانهم يجادلون أولا بالأحسن،

---

(١) **انظر**: الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٣٧)، زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٠)، التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٢٧).
(٢) التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٠٢).
(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٢).

ولا تستخف آراؤهم، ولا ينسب الضلال آباؤهم، بخلاف المشرك، اللائق أن يجادل بالأخشن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه؛ وذلك لشركه وكفره[1].

٩. إن المعاملة بالمثل واللجوء إلى القتال والعنف واستخدام القوة هو السبيل المتعين في الرد على أهل العصبية والعناد والإصرار على الكفر[2].

١٠. من أعظم صور الظلم الإيمان بالباطل وجحود الحق ونكرانه، كما في نصيحة لقمان: ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣].

المطلب الثاني

دلالة أمية النبي في كون هذا القرآن من عند الله

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها

وهنا كلام نفيس للإمام الرازي آثر الباحث أن يذكره كما هو؛ لجماله في التعبير، حيث يقول: ((هذه درجة أخرى بعد ما تقدم على الترتيب، وذلك لأن المجادل إذا ذكر مسألة مختلفاً فيها كقول القائل: الزكاة تجب في مال الصغير، فإذا قيل له لم؟ فيقول كما تجب النفقة في ماله، ولا يذكر أولا الجامع بينهما، فإن قنع الطالب بمجرد التشبيه وأدرك من نفسه الجامع فذاك، وإن لم يدرك أو لم يقنع يبدي الجامع، فيقول كلاهما مال فضل عن الحاجة فيجب فكذلك هاهنا ذكر أولا التمثيل بقوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ** ... ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، ثم ذكر الجامع وهو المعجزة، فقال

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٣).

(٢) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١١).

ما علم كون تلك الكتب منزلة إلا بالمعجزة، وهذا القرآن ممن لم يكتب ولم يقرأ عين المعجزة، فيعرف كونه منزلاً)) [١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **تَتْلُو**﴾: يعني: تقرأ.

﴿ **وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ** ﴾: أي: ((ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أمِّيًّا)) [٢].

﴿ **لَارْتَابَ** ﴾: الارتياب هو: شك مَعَ تُهْمَة، كقولك: إِنِّي مرتاب بفلان، إِذا شَككت فِي أمره، واتهمته[٣].

﴿ **آيَاتٌ** ﴾: جمع آية، وهي العلامة الظاهرة، وهي إشارة إلى الأدلة[٤].

﴿ **بَيِّنَاتٌ** ﴾: ((جمع بينة صفة من بان يبين فهو بين، والأنثى بينة، أي: واضحة))[٥].

ثالثًا: المعنى الاجمالي

﴿ **وَما كُنْتَ** ﴾ يا محمد ، تقرأ، ولا تكتب بل كنت أميًا من قبل أي ننزل عليك القرآن، ولو كان هذا صحيحاً ﴿ **إِذًا لارْتابَ** ﴾ لشك، ﴿ **المُبْطِلَونَ** ﴾، أي: قريشاً كما قال مجاهد، وقال الفراء[٦]: يعني النصارى الَّذِينَ وجدوا صفته ويكون ﴿ **لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ أي: لكان أشد لريبة

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٤).

(٢) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٠).

(٣) **انظر**: الفروق اللغوية: للعسكري (٩٩).

(٤) **انظر**: مختار الصحاح: للرازي (٢٧)، المفردات: للأصفهاني (١٠١-١٠٢).

(٥) المطلع: للبعلي (٤٩٢).

(٦) **هو**: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد وقيل: بني منقر، أبو زكرياء، المعروف بالفراء: ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. يميل إلى الاعتزال. من كتبه: معاني القرآن. ولد عام(١٤٤) وتوفي(٢٠٧ هـ).[**انظر**: وفيات الأعيان: لابن خلكان (١٧٦/٦ – ١٨٢)].

من كذب من أهل مكة وغيرهم[1]. ومن ثم يصف الله ﷻ النبي ﷺ بأنه ﴿ **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** ﴾ في صدور أهل الكتاب؛ لأنهم جحدوا نبوته وكتموا أمره بعد المعرفة[2].

رابعاً: المقاصد والأهداف:

١. ((تقرير صفة الأمية في النبي ﷺ كما هي في الكتب السابقة))[3].
٢. الرد على الشبهات، يكون بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية؛ لأنه لا تعارض بين العقل والنقل، وأيضاً ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، إنما اتباع عن حب ورضا.
٣. ابتلاء النبي واتهامه في صدقه، وصبره في دعوة المخالف، وحلمه عليه.
٤. قوله في صدور الذين أوتوا العلم إشارة إلى أنه ليس من مخترعات الآدميين، لأن من يكون له كلام مخترع يقول هذا من قلبي وخاطري، وإذا حفظه من غيره يقول إنه في قلبي وصدري، فإذا قال: في صدور الذين أوتوا العلم لا يكون من صدر أحد منهم، والجاهل يستحيل منه ذلك ظهور له من الصدور ويلتحقون عنده هذه الأمة بالمشركين، فظهوره من الله.
٥. من صفات الكفار ظلمهم لأنفسهم بجحدهم الحق، واتباع الباطل.
٦. بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآية لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكما، وتلتحقون عند هذه الآية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين[4].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٠)، تفسير مجاهد (٥٣٦)، معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣١٧).
(٢) **انظر**: جامع البيان (٢٠/٥١-٥٢)، معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣١٧)، التفسير البسيط: للواحدي (١٧/ ٥٤١)، تفسير مقاتل (٣/٣٨٦)، تفسير عبد الرزاق (٣/١١).
(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٣).
(٤) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٤).

المطلب الثالث

رغبة الكفار عما جاء به النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١]

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها

((لما فرغ من ذكر دليل من جانب النبي عليه السلام ذكر شبهتهم وهي بذكر الفرق بين المقيس عليه والمقيس، فقالوا إنك تقول إنه أنزل إليك كتاب كما أنزل إلى موسى وعيسى، وليس كذلك لأن موسى أوتي تسع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وأنت ما أوتيت شيئا منها، ثم إن الله تعالى أرشد نبيه إلى أجوبة هذه الشبهة)) [(١)].

ثانيًا: سبب نزول الآية الواحدة والخمسين

حكى بعض المفسرين[(٢)] في سبب نزول هذه الآية حديث يحيي بن جعدة[(٣)]، والذي يظهر للباحث أن الحديث لا يصلح لأن يكون سبباً للنزول؛ لضعفه، وعدم اتفاقه مع السياق القرآني، وعدم استدلال جمهور المفسرين به[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٥).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٥٣/٢٠)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٣٢٢/٤)، الجامع: للقرطبي (٣٥٥/١٣).

(٣) والحديث عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَتِفٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: " كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالًا، أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ نَبِيِّهِمْ، أَوْ كِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥١] " [أخرجه الدارمي في سننه، المقدمة، باب: من لم ير كتابة الحديث، (١/ ٤٢٥)، برقم (٤٩٥)]، ويحيي هو: يحيى بن جعدة ابن هبيرة بن أبى وهب بن عَمْرو بن عائذ بن عِمْران بن مخزوم القرشي المخزومي. من جلة مشايخ قريش وخيار التابعين، وأم هانئ بنت أبى طالب أخت على بن أبى طالب جدته أم أبيه.[**انظر**: مشاهير علماء الأمصار: لأبي حاتم الدارمي(١٤٠)، تهذيب الكمال: للمزي(٢٥٣/٣١-٢٥٤)].

(٤) **انظر**: المحرر في أسباب نزول: للمزيني (٧٧٦/٢-٧٧٧).

ثالثًا: معاني المفردات

﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ** ﴾: طلب المشركون المعجزات مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى؛ تعنتاً، لا هداية كما قال الله ﷻ عن الأولين وقوم صالح عليه السلام: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ [الإسراء: ٥٩] (١).

﴿ **عِنْدَ اللَّهِ** ﴾: أي: ((هو القادر على إرسالها، وليست بيدي)) (٢).

﴿ **وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾: أي: ((ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات)) (٣).

﴿ **لَرَحْمَةً وَذِكْرَى** ﴾: ((لَرَحْمَةً يعني: في هذا القرآن لنعمة لمن آمن به، وَذِكْرى أي موعظة ويقال: تفكر))(٤)

رابعًا: اللطائف

تخصيص النذارة من أحوال الرسالة في قوله: ﴿ **وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾، حيث يقول ابن عاشور: ((وخص بالذكر من أحوال الرسالة وصف النذير تعريضاً بالمشركين بأن حالهم يقتضي الإنذار وهو توقع الشر. والمبين: الموضح للإنذار بالدلائل العقلية الدالة على صدق ما يخبر به))(٥).

خامسًا: المعنى الإجمالي

جاء في هذه الآيات اعتراض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، وهى أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتي لهم بمعجزة محسوسة كما أتى بذلك الأنبياء السابقون كناقة صالح وعصا موسى، فأجابهم بأن أمر ذلك إلى الله لا إليه، فلو علم أنكم تهتدون بها لأجابكم إلى ما

---

(١) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ١٩٧)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٢٨٧).
(٢) زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١١).
(٣) أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ١٩٧).
(٤) بحر العلوم: للسمرقندي (٢/ ٦٣٧).
(٥) التحرير والتنوير (٢١/ ١٤).

طلبتم، ثم بين سخف عقولهم وطلبهم الآيات الدالة على صدقه بعد أن جاءهم بالمعجزة الباقية على وجه الدهر وهى القرآن الذي هو رحمة وذكرى لمن أراد الإيمان[١].

سادسًا: المقاصد والأهداف:

١. ليس شرطاً في الرسول، أن تعلم له معجزة. ومعجزات الأنبياء رحمة للمؤمنين ،غضبا على الكافرين لأنها قطعت أعذارهم وعطلت إنكارهم[٢].
٢. القرآن الكريم من أعظم المعجزات الدالة على نبوته الذي من أهم مقاصد إنزاله الرحمة والذكرى للقوم المؤمنين، والكافر محروم من الرحمة، ولا تنفعه الذكرى قال تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥].
٣. اقتراح الآيات والمعجزات يعد ظلماً وجوراً، وتكبراً على الله وعلى الحق، بعد حصول المقصود وبيان الحق من الباطل، بأي طريق[٣].
٤. القرآن الكريم رحمة وتذكرة ربانيتان لا ريب فيهما، لمن نزل عليه، ولمن يؤمن أو يرغب في الإيمان حقًا[٤].

المطلب الرابع

شهادة الله ﷻ على نبوة محمد ﷺ

قال تعالى:﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها

((ولما كان من المعلوم أنهم يقولون: نحن لا نصدق أن هذا الكتاب من عند الله فضلاً عن أن نكتفي به، قال: ﴿ **قل** ﴾ أي: جواباً لما قد يقولونه من نحو هذا: ﴿ **كفى بالله** ﴾ أي:

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٣)، تفسير المراغي (٢١/ ٨).
(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٥-٦٦).
(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٣)
(٤) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٩٥)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٥).

الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات، الذي شهد لي بالرسالة في كتابة الذي أثبت أنه كلامه عجز الخلق عن معارضته»[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **شَهِيدًا** ﴾: (الشَّاهِد) من يؤدي الشَّهَادَة، والشَّهَادَةُ: قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر.[٢] وشهادة الله بإثبات معجزة القرآن للنبي وأنه من عند الله حقاً[٣].

﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ** ﴾: الباطل هو: «مَا أبطل الشَّرْع حسنه»[٤]، والمقصود بإيمانهم بالباطل، أي: بغير الله كما قال ابن عباس[٥].

﴿ **الْخَاسِرُونَ** ﴾: جمع خاسر، والخاسر هو من هلك وضل، وخسر الشَّيْء نَقصه، وَنسبه إِلَى الخسران وَفُلَانًا أبعده من الْخَيْر[٦].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

يخاطب الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ في هذه الآية فيقول: قل يا محمد، للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم، شاهدا لي وعليّ؛ لأنه العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ**﴾ يقول: صدقوا بالشرك، فأقرّوا به وكفروا بتوحيد الله وجحدوا به ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ** ﴾ أي: المغبونون في صفقتهم[٧].

---

(١) نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٦١).
(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٤٦٥)، المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (١/ ٤٩٧).
(٣) **انظر**: زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١١)، البسيط: للواحدي (٥٤٣/١٧).
(٤) الكليات: للكفوي (٢٤٤).
(٥) **انظر**: لباب التأويل: للخازن (٣٨٣/٣)، التفسير البسيط: للواحدي (١٧/ ٥٤٤).
(٦) **انظر**: المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (٢٣٣).
(٧) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٣-٥٤)، تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٧).

رابعًا: المقاصد والأهداف

١. في هذه الآية إشارة إلى كفر أهل الكتاب؛ لأنهم لما صح عندهم أن معجزة النبي ﷺ من عند الله وقطعوا بها وعاندوا وقالوا إنها من عند غير الله[١].

٢. في هذه الآية يظهر للباحث منهج تربوي وهو أن أهل الحق لا يقابلوا الاتهام بالاتهام، ولا الإساءة بالإساءة، ولا بالسب والشتائم، إنما رد بالحجة والبرهان؛ لأن الحجة إذا اتضحت، فإن الشبهة تكون تضاءلت وافتضحت، ويكفي من اتضاح الحجة أن الله ﷻ خير الشاهدين، على صدق النبي ﷺ .

٣. ((تقرير خسران المشركين في الدارين لاستبدالهم الباطل بالحق والعياذ بالله تعالى))[٢].

المطلب الخامس

مطالب أهل الكتاب التعجيزية

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٣، ٥٥].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

تتسلسل الآيات الكريمة في عرض أحوال الكفار العجيبة، فلما أخبر الله ﷻ عن قولهم العجيب ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ** ﴾، أتى بأعجب منه، فبعد تهديدهم بالخسران، إذا هم يستعجلون ما لا قدرة لهم على شيء منه، كأنهم يقطعون بعدم العذاب فقال: ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ** ﴾، ثم زاد ربنا سبحانه في التعجب من جهلهم بقوله مبدلاً: ﴿ **يَسْتَعْجِلُونَكَ**

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٧).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٥).

بِالْعَذَابِ ﴾ أي: يطلبون منك إيقاعه بهم ناجزاً ولو كان في غير وقته الأليق به، فيذكرهم الله بإحاطة جهنم لعلهم ينتهون[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ** ﴾: العَجَلَةُ: ضد البطء، وهي: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، و(استعجله) طلب عجلته، وتقدمه. وهو من مقتضى الشّهوة؛ فلذلك صار مذموماً في عامّة القرآن[٢].

﴿ **أَجَلٌ** ﴾: ((الأجل: المدّة المضروبة للشيء))[٣].

﴿ **وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً** ﴾: مَعناه فُجَاءَةً، وفجأةً[٤].

﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾: أي: محدقة بالكافرين، قال عكرمة: هو البحر محيط بهم[٥].

﴿ **يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ** ﴾: الغشيان من التغشية، وهي التغطية والملابسة[٦]. والمعنى: يعلوهم، ويصيبهم العَذَابُ في النار حين تحيط بهم[٧].

﴿ **وَيَقُولُ ذُوقُوا** ﴾: الذّوق: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر، فإنّ ما يكثر منه يقال له: الأكل، وأصل الذوق باللسان ولكن اتسع فيه فاستعمل في كل شيء يصل إلى البدن منه ألم أو لذة[٨].

ثالثًا: اللطائف

١) ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾: عبر بالإحاطة كناية عن عدم إفلاتهم منها[٩].

---

(١) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٦٢-٤٦٣)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٧).
(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٥٤٨)، مختار الصحاح: للرازي (٢٠١).
(٣) المفردات: للراغب (٦٥).
(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٤)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٢)،تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٧).
(٥) الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٤٢)، بتصرف يسير.
(٦) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (١٢٧/١٥).
(٧) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٥٥/٢٠)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٦٤)، بحر العلوم: للسمرقندي (٢/ ٦٣٨).
(٨) **انظر**: المفردات: للراغب (٣٣٢)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٤٢).
(٩) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٩).

٢) ﴿ **وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾: ((واختير في القرآن لفظ الذّوق في العذاب؛ لأنّ ذلك – وإن كان في التّعارف للقليل– فهو مستصلح للكثير، فخصّه بالذّكر ليعمّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب))[١].

رابعا: القراءات

قرأ نافع، والكوفيون بالياء ﴿ **وَيَقُولُ** ﴾، يعني: يقول الله ﷻ. وقرأ الباقون:﴿ **وَنَقُولُ** ﴾ بنون العظمة؛ حكاية عن الله سبحانه وتعالى بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك. وعلل البعض لقراءة النون؛ ليأتلف الْكَلَام على نظام وَاحِد سواء السابق أو اللاحق، والياء برد اللفظ على ما قرب منه[٢].

خامسًا: المعنى الإجمالي

((بعد أن أنذر المشركين بالعذاب، وهدّدهم أعظم تهديد قالوا له تهكما واستهزاء: إن كان هذا حقا فأتنا به، وهم يقطعون بعدم حصوله، فأجابهم بأنه لا يأتيكم بسؤالكم ولا يعجّل باستعجالكم، لأن الله أجّله لحكمة، ولولا ذلك الأجل المسمى، الذي اقتضته حكمته، وارتضته رحمته، لعجّله لكم ولأوقعه بكم، وإنه ليأتينّكم فجأة وأنتم لا تشعرون به، ثم تعجب منهم في طلبهم الاستعجال، وهو سيحيط بهم في جميع نواحيهم، ويقال لهم على طريق الإهانة والتوبيخ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون))[٣].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. تحدّي الكفار للنبي ﷺ بالتعجيل بالعذاب الذي ينذرهم به في معرض الاستخفاف والاستهزاء لا على حقيقته.
٢. وتوكيد بأن العذاب واقع عليهم حتمًا وسيفاجئهم مفاجأة دون أن يشعروا بمقدماته[٤].

---

(١) المفردات: للراغب (٣٣٢).
(٢) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٣)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٣)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ١٠)، بحر العلوم: للسمرقندي (٢/ ٦٣٨).
(٣) تفسير المراغي (٢١/ ١٢).
(٤) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٩٧–٤٩٨).

٣. تأخير أو تقديم العذاب؛ إنما هو لحكمة، ووفق نظام محكم، وليس ناتج عن عجز[١].

٤. مشروعية التعجب إذا وجدت أسبابه الحاملة عليه.

٥. بيان مدى حمق وجهل وسفه الكافرين والمشركين بخاصة[٢].

٦. إثبات الكلام لله ﷻ في الآخرة مع الكفار.

٧. يجب على المسلمين أن لا تكون أفعالهم ناتجة عن ردود فعل بل عن حكمة ودراية ودراسة.

---

(١) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٩٧-٤٩٨)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٧).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٧).

المبحث الثاني

أمر المؤمنين بالهجرة وثواب الصابرين

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أمر المؤمنين بالهجرة لإقامة الشعائر الدينية

المطلب الثاني: ثواب الصابرين المتوكلين

المطلب الثالث: الله يرزق جميع المخلوقات

المطلب الأول

أمر المؤمنين بالهجرة لإقامة الشعائر الدينية

قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٦، ٥٧]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعدما ذكر الله ﷻ حال المشركين في عدم تصديقهم وإيمانهم بالنبي ﷺ وما أرسل به، وحينما اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في إيذاء المؤمنين ومنعوهم من العبادة، أذن الله لعباده المؤمنين بالهجرة والخروج إلي دار أخرى يستطيعون فيها إقامة شعائرهم الدينية بحرية، ثم لما صعب عليهم الهجرة وترك أوطانهم وفراق إخوانهم، بيَّن الله تعالى لهم أن هذ الأمر الذي تكرهونه واقع لا بد منه، وذكرهم عندها بأن الفراق إن لم يكن بالهجرة فهو حاصل بالموت، والموتُ لا بد منه[١].

ثانيًا: سبب النزول

نزلت في المستضعفين المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدرون على إظهار الإيمان وعبادة الرحمن، يحثهم على الهجرة ويقول لهم: إنّ أرض المدينة واسعة آمنة[٢].

ثالثًا: معاني المفردات

﴿ **إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ** ﴾: ذهب العلماء في المقصود بالخبر عن سعة الأرض إلى فريقين:

١. أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه.
٢. وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم[٣].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٩-٧٠)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٢١).
(٢) تفسير مقاتل (٣٨٨/٣)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٢٨٧).
(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٥-٥٦).

﴿ **فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾: ((" إِيَّايَ" منصوب بفعل مضمر، الذي ظهر يفسِّرُهُ. المعنى: فاعبدوا إياي، فاعبدوني، فاستغنى بأحد الفعلين، أعني الثاني، عن إظهار الأول))[١]. "**فاعبدون**": ((يعني فوحدوني بالمدينة علانية))[٢].

﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾: **وفيه وجهان: أحدهما:** يعني أن كل حي ميت. **الثاني:** أنها تجد كربه وشدته، وفي إعلامهم بذلك تحقير لأمر الدنيا ومخاوفها، لمن خاف العاقبة والعيلة عند خروجه من وطنه، فكأنها تسلية للمؤمنين عند خروجهم، أو إرهاباً بالموت ليقلعوا عن المعاصي، أو للإخبار بأن الموت مصير كل حي وإن علت منزلته كالأنبياء[٣].

رابعًا: القراءات

﴿ **تُرْجَعُونَ** ﴾، قرأها شعبة ﴿ **يُرْجَعُونَ** ﴾ على ضمير الغيبة، وقرأ الباقون ﴿ **تُرْجَعُونَ** ﴾ على ضمير المخاطبة، وقرأ يعقوب على أصله في فتح الياء وكسر الجيم ﴿ **تَرْجِعُونَ** ﴾[٤].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه ﷺ الذين لم يستطيعوا عبادته وحده في أرضه، لإيذائهم في الله واضطهادهم في جانبه، هاجِرُوا من أرض الشرك، من مكة إلى أرض الإسلام المدينة، فإن أرضي واسعة، فقد جعل لكم منها مخرجاً. وكون أرض الله واسعة، مذكور للدلالة على المقدر. وهو كالتوطئة لما بعده. لأنها مع سعتها، وإمكان التفسح فيها، لا ينبغي الإقامة بأرض لا يتيسر بها للمرء ما يريده. فإذا أمنتم فاصبروا على عبادتي، وأخلِصوا طاعتي، فإنكم ميتون وصائرون إليّ؛ لأن كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون[٥].

---

(١) معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٢).
(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٨).
(٣) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٢٤)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٢٩١).
(٤) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٣).
(٥) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٧)، محاسن التأويل: للقاسمي (٥٦٣/٧).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. تحريم الجلوس في دار الحرب، ووجوب الخروج منها. وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقال ابن جبير وعطاء: إن الأرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية، وتلزم الهجرة عنها إلى بلد حق[١].

٢. تحقير أمر الدنيا ومخاوفها، والبدار إلى طاعة الله ﷻ، كل حي في سفر إلى دار القرار، وإن طال لبثه في هذه الدار[٢].

٣. عدّة ووعد لعباده المهاجرين بسعة الرزق[٣].

٤. التكريم والتشريف للمؤمنين، حيث أضافهم- سبحانه- إلى ذاته، ونعتهم بالنعت المحبب إلى قلوبهم[٤].

٥. إخلاص العبادة لله ﷻ، هو المقصد الأسنى في حياة الإنسان.

٦. منهج الترغيب بتشريف عباده بنسبتهم إليه، وسعة أرضه لهم، ومنهج الترهيب بعدم خلودهم على هذه الأرض، ورجوعهم إلى الله.

٧. الأخذ بالأسباب المعينة على عبادة الله، وطاعته.

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٦٩)، معالم التنزيل: للبغوي (٥٦٤/٣)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٢) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٢٤)، فتح البيان: لمحمد صديق خان (١٠/ ٢١١).

(٣) بيان المعاني: لعبد القادر ملا حويش (٤/ ٤٩٧).

(٤) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٥٢).

المطلب الثاني

ثواب الصابرين المتوكلين

قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨ – ٥٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله سبحانه في الآيات السابقة ما يكون للكافرين وقت الرجوع إليه، ولما أمر المؤمنين بالهجرة وترك أوطانهم، بين لهم أن جزاءهم وثوابهم الجنان وما فيها من النعيم المقيم، في مقابلة جزاء الكافرين النار وما فيها من العذاب الأليم(١).

ثانيًا: سبب النزول

جاء في بعض كتب التفسير، أن سبب نزول الآية الستين ما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال للمؤمنين بمكة حين آذاهم المشركون: اخرجوا إلى المدينة وهاجروا، ولا تجاوروا الظلمة، قالوا: ليس لنا بها دار ولا عقار، ولا من يطعمنا، ولا من يسقينا، فنزلت الآية(٢).

ثالثًا: معاني المفردات

﴿ **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ** ﴾: من المباءة قال مقاتل: يعني: لننزلنهم(٣).

﴿ **غُرَفًا** ﴾ والغرف جمع، مفردها غُرْفَةُ، وهي: علّيّة من البناء، وسمّي منازل الجنّة غُرَفاً. والمعنى من الآية: أي: بيوتاً عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية(٤).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٠).

(٢) **انظر**: الجامع: للقرطبي (٣٦٠/١٣)، الكشف والبيان: للثعلبي (٢٨٨/٧)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٢٣).

(٣) **انظر**: تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٨)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١١٧)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٨٨)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٣٢٤/٤).

(٤) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٦٧)، المفردات: للراغب (٦٠٥)، لباب التأويل: للخازن (٣/ ٣٨٤).

﴿ **صَبَرُوا** ﴾: الصَّبْرُ: نقيض الجَزَع، وهو حبس النفس عن التسخط على قدر الله، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن المعصية[١].

﴿ **يَتَوَكَّلُونَ** ﴾: التوكل: ((هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس))[٢]

رابعًا: اللطائف

١) ومن اللطائف مقابلة غشيان العذاب للكفار من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الآية السابقة، بغشيان النعيم للمؤمنين من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار في الآية الثامنة والخمسين[٣].

٢) ﴿ **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾: إنشاء ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه، فلذلك قطعت عن العطف. والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله. والمعنى: نعمت هذه الغرف أجرا على أعمال المؤمنين[٤].

٣) ﴿ **وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به[٥].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يبين الله ﷻ جزاء من آمن، وعمل صالحاً لنسكننهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا، ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا لا يبغون حولًا ثم يمدحهم الله قائلًا ﴿ **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾: نعمت هذه الغرف أجرًا على أعمال المؤمنين عنها.﴿ **الَّذِينَ صَبَرُوا** ﴾ أي: على

---

(١) **انظر**: إصلاح المنطق: لابن السكيت (١٢٨)، الفروق اللغوية: للعسكري (٢٠١)، العين: للفراهيدي (٧/ ١١٥)، الوابل الصيب: لابن القيم (٥).

(٢) التعريفات: للجرجاني (٧٠).

(٣) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٢٤).

(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: (٢٣/٢١)، تفسير القرآن: لابن كثير (٢٩٢/٦).

(٥) تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٥).

دينهم، وهاجروا إلى الله، ونابذوا الأعداء، وفارقوا الأهل والأقرباء، ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده، ﴿ **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾، في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم[١].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. جزاء تضحية المؤمنين الصابرين على الابتلاءات الجنة.
٢. ((لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده فيها لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر))[٢].
٣. الإيمان والعمل الصالح لا ينفكان عن بعضهما البعض، فلا قبول للأعمال وإن كانت صالحة إلا إذا صح الإيمان، ولا يكون الإيمان إلا إذا عملت الجوارح بطاعة الله.
٤. يشترط في العمل أن يكون صالحاً، حتى يوصل صاحبه للجنة، وأول شيء في صلاح العمل أن يكون خالصاً لله ﷻ، وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿ **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً** ﴾ [الغاشية: ٣، ٤].
٥. ((من أهم صفات المؤمنين الذين يستحقون الجنان: الصبر على الأذى وعلى مشاق التكاليف الشرعية، والتوكل على الله))[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٢٩٢).
(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٩).
(٣) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٢٨).

المطلب الثالث

الله يرزق جميع المخلوقات

قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [العنكبوت:٦٠]

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها

هذه الآية عطف على جملة: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [العنكبوت: ٥٧] فإن الله لما هون بها أمر الموت في مرضاة الله وكانوا ممن لا يعبأ بالموت علم أنهم يقولون في أنفسهم: إنا لا نخاف الموت ولكنا نخاف الفقر والضيعة؛ لذلك لما أمر الله ﷻ بالهجرة خاف المؤمنون العيلة وخشوا الفقر، فذكر لهم ما يعين على التوكل، ويقوي القلوب، وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئاً لغدٍ، ويأتيها رزقها كل يوم(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَكَأَيِّنْ** ﴾: ((بمعنى وكم في مقام الاستكثار))(٢).

﴿ **دَابَّةٍ** ﴾: والمراد بالدابة: ((كل شيء يحتاج إلى الأكل والشرب فهو دابة من إنس أو غيرهم))(٣).

﴿ **لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا** ﴾: لا تدّخرُ رزقها، ولا تَجمعه، ولا ترفعه(٤).

ثالثًا: اللطائف

((قدم- سبحانه- رزق الدابة التي لا تستطيع تحصيله، على رزقهم فقال: ﴿ **اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ** ﴾، لعدة أسباب:

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٢٤)، اللباب: لابن عادل (١٥/ ٣٧٢)، البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣١٦).

(٢) التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٩٨).

(٣) مجاز القرآن: لأبي عبيدة (١١٧/٢).

(٤) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٨٨)، معاني القرآن: للفراء (٣١٨/٢).

أ- لينفى من قلوب الناس القلق على الرزق.

ب- وليشعرهم بأن الأسباب ليست هي كل شيء، فإن واهب الأسباب، لا يترك أحدا بدون رزق.

ت- ولإزالة ما قد يخطر في النفوس من أن الهجرة من أجل إعلاء كلمة الله قد تنقص الرزق»[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

«يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ : هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارًا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿ **لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا** ﴾، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿ **اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ** ﴾ يوما بيوم ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ** ﴾ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ﴿ **العَلِيمُ** ﴾ ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوّكم، من إذلال الله إياهم، ونُصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه» [٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. معية الله الخاصة لعباده المؤمنين، يحفظهم، وينصرهم، ويؤيدهم، فلا يخاف المؤمن على رزقه، وقوته، بل يقوم ما أمر فيه فقط من العبادة.

٢. «لا يمنعن المؤمن من الهجرة خوفه من الجوع في دار هجرته إذ تكفل الله برزقه»[٣].

٣. من مظاهر رحمة الله سبحانه بعباده أنه ييسر الرزق رغدًا لكل دابة كل يوم، ويكفله لها رغم ضعفها، وأنها لا تدخر شيئًا لغد، سواء أكانت الدابة في جوف الأرض أم في ظاهرها أم في أعماق المياه، أم في أعالي الفضاء، فالله تعالى سميع لعباده إذا طلبوا منه الرزق، يسمع ويجيب، عليم إن سكتوا، لا تخفى عليه حاجتهم ولا مقدار حاجتهم[٤].

٤. احتياج قلوب المؤمنين للتثبيت والتشجيع، في موقف القلقلة والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع[٥].

---

(١) التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٥٣).

(٢) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٨).

(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٤٩).

(٤) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٢٨-٢٩) بتصرف يسير.

(٥) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/٢٧٤٩).

المبحث الثالث

اعتراف المشركين بقدرة الله

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: اعتراف المشركين بأن الله هو الخالق

المطلب الثاني: اعتراف المشركين بالإله المحيي

المطلب الأول

اعتراف المشركين بأن الله هو الخالق

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[العنكبوت: ٦١ – ٦٢]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

((ولما هوّن سبحانه أمر الرزق بخطابه مع المؤمنين بعد أن كان قد أبلغ في تنبيه الكافرين بإيضاح المقال، وضرب الأمثال، ولين المحاورة في الجدال، ولما كان الملك لا يتمكن غاية التمكن من ترزيق من في غير مملكته، قال عاطفاً على نحو: فلئن سألتهم عن ذلك ليصدقنك عائداً إلى استعطاف المعرضين، واللطف بالغافلين، ناهجاً في تفنين الوعظ أعني طرق الحكمة)) [(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَسَخَّرَ** ﴾: التَّسْخِيرُ: سياقة إلى الغرض المختصّ قهرا، وإلجاؤه لعمل شديد[(٢)].

﴿ **فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾: فأنى يُصْرفون، وجاء عن ابن عباس، ومقاتل: أين تكذبون يعني بتوحيدي، وعن قتادة: أي: يعدلون. فيعدلون عن إخلاص العبادة له[(٣)].

﴿ **يَبْسُطُ** ﴾: أي: يوسع.

﴿ **وَيَقْدِرُ** ﴾:، أي: يضيق [(٤)].

---

(١) نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٤٠٢)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٢٦).

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٩)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٢)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٩)، تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٩).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٩)، تفسير الجلالين: للمحلي، والسيوطي (٥٢٩)، المفردات: للراغب (٦٥٩).

ثالثًا: اللطائف

١) الابداع في نظم مفردات القرآن الكريم حيث ذكر فعل الخلق عند ذكر السموات والأرض، وفعل التسخير عند ذكر الشمس والقمر؛ وذلك لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة، فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتاء، فإذا الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما.

٢) الإشارة إلى كمال قدرة الله بخلق السموات والأرض، والإشارة إلى نفوذ مشيئته وإرادته بطريق ذكر بسط الرزق لمن يشاء من عباده، وختم بالإشارة إلى شمول علمه، وبهذه الأمور استدلال على إلهيته سبحانه فإن م فقد شيئًا منها كيف سيتصور إلهيته وتوحيده مع نقصه وعدم كماله[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى لنبيه ﷺ ولئن سألتهم يا محمد ﷺ يعني كفار مكة، وكانوا يقرون بأنه الخالق والرازق، يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً، ويضيّق الرزق على من يشاء ابتلاءً، ليظهر الشاكر والصابر، وإنما أمره أن يقول: الحمد لله على إقرارهم، لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد بل أكثرهم لا يعقلون توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق. والمراد بالأكثر: الجميع[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تناقض المشركين من إثباتهم لتوحيد الربوبية، وعجز أوثانهم، ومع ذلك لا يفردون الله ﷻ بالعبادة والألوهية[٣] .
٢. استخدام الأدلة العقلية في مجادلة الخصم، ومراعاة البيئة التي يعيش فيها الإنسان وقدراته العلمية العقلية للتأثير فيه، فتناقشه وفق قدراته لذلك خاطبهم الله بالظواهر الكونية التي يعرفوها.

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٣ – ٧٤).

(٢) **انظر**: زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٣)، صفوة التفاسير: للصابوني (٤٢٩/٢).

(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٥).

٣. أفعال الله سبحانه كلها مبنية على الحكمة المطلقة، فإذا أعطى فلحكمة وإذا منع فلحكمة وهلم جرًا، فتارة يبين الله الحكمة وتارة يخفيها فيجتهد الإنسان في معرفتها يصيب أو يخطئ فهنا مثلًا ذكر الله ﷻ بسط الرزق، وتضييقه على العباد، فعلم الإنسان أنه للاختبار والامتحان، فلا ينبغي للإنسان انكار أفعال الله إن غابت عنه حكمتها.

٤. إثبات المشيئة، واعتراف المشركين بقدرة الله ﷻ على الخلق، والرزق.

المطلب الثاني

اعتراف المشركين بالإله المحيي

قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما بين الله ﷻ أنه يبسط الرزق لعباد، أشار إلى السبب القريب من أسباب الرزق بعدما ذكر البعيد، فإن الاعتراف بأن هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بأنه المسبب أيضاً لهذا السبب، فإن مُوجِدُ السَّبَبِ مُوجِدُ الْمُسَبَّبِ، فالرزق يكون من الله[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا** ﴾: ((وإحياؤها: إنباته النبات فيها، من بعد جدوبها وقحوطها))[٢].

﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾: **أي:** على نعمه، التي منها الحجج والبراهين على قدرته، **وقيل:** " الحمد لله" على إقرارهم بذلك. **وقيل:** على إنزال الماء وإحياء الأرض[٣].

---

(١) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٧٢)، مفاتيح الغيب: للرازي (٧٤/٢٥).

(٢) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٥٩).

(٣) **انظر**: الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٤٦)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٦١-٣٦٢).

﴿ **لَا يَعْقِلُونَ** ﴾: من مادة عَقَلَ، والعَقْل يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ[١].

ثالثًا: اللطائف

لما لم ينتفع أكثر المشركين بعقولهم، نفى الله عنهم العقول فقال: ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾، كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بتلك الحواس؛ فعلى ذلك هذا[٢].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يقول الله تعالى ويخبر نبيه ﷺ ((ولئن سألت –أيها الرسول– المشركين: مَنِ الذي نزَّل من السحاب ماء فأنبت به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولُنَّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نزَّل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عَقَلوا ما أشركوا مع الله غيره)) [٣].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. أن الله ﷻ جعل للرزق سبباً، فبين أنه ينزل من السماء ماء فيجعله سببًا لإحياء الأرض، فكأنه يشير لنا على مشروعية الأخذ بالأسباب بجعله لكل شيء سببًا، ولكن قبل هذا لابد من الاعتراف بمسبب الأسباب وخالقها.
٢. اعتراف المشركين بقدرة الله على الإحياء وترك عبادته، دليل على عدم انتفاع الكافرين بعقولهم؛ لأنهم لم يميزوا بها بين الحق والباطل ولم تقدهم هذه العقول إلى توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبادة، فلذلك عندما تتكشف الحجب يوم القيامة يعترفوا بجنونهم وخراب عقولهم كما في سورة الملك.
٣. حمد الله على نعمه، وشكره والاعتراف بها ظاهرًا وباطنًا؛ فبذلك تدوم النعم وتزيد لأنه هو مسببها ومعطيها، فالحمد والشكر التماس لدوام النعمة وزيادتها بلسان الحال فلما ترك الكثير من الناس شكر المسبب وحمده واعتمدوا على المسببات حرمت الأمة جميعها كثير من النعم وفقدت بركتها، فلا مناص للناس إذن إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المفردات: للراغب (٥٧٧).
(٢) **انظر**: التأويلات: للماتريدي (٨/ ٢٤٢).
(٣) التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٠٣).

المبحث الرابع

حقيقة الدنيا وطبيعة الكفار فيها

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حقيقة الدنيا اللهو واللعب

المطلب الثاني: طبيعة الكفار المتناقضة

المطلب الثالث: طبيعة الكفار في مقابلة النعم

المطلب الأول

حقيقة الدنيا اللهو واللعب

قال تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما بين الله سبحانه اعتراف المشركين بكونه هو الخالق، وكونه هو الرزاق، ويفردونه بالربوبية، إلا أنهم يشركون في عبادته، ولا يتركونها إلا لزينة الحياة الدنيا، بين أن ما يميلون إليه ليس بشيء[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** ﴾: **اللهو**: الاستمتاع باللذات، التي منها الطبل كما جاء عن مجاهد، **واللعب**: هو العبث واللهو وما لا فائدة فيه.[٢]

﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾: **والمقصود بالدار الآخرة**، الجنة كما جاء عن ابن عمر. **والحيوان**، هي الحياة، والمقصد أنها الحياة الباقية الدائمة التي لا موتَ فيها[٣].

﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾: فناء الدنيا وبقاء الآخرة؛ لقَصَّروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك[٤].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٥).

(٢) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٦٧)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨١)، تفسير المراغي (٢١/ ١٩).

(٣) **انظر**: تفسير مجاهد (٥٣٧)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٨٩)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٣)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨١).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٦٠)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٦٧).

ثالثًا: اللطائف

١) التشبيه البليغ في قوله: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** ﴾ أي: كاللهو وكاللعب حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً على حد قولهم: " زيدٌ أسد " .

٢) الإيجاز بحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه ﴿ **لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي: لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولا الفانية على الباقية[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو، ولعب، ثم ينقضي ويضمحل، لا بقاء له ولا دوام، وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، ومع هذا فإن كثيراً من الناس لا يعلم حقيقة هذه الدنيا فينشغل باللهو واللعب فيها عن الآخرة والحياة الباقية[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. الدنيا كالأحلام، وعند الخروج منها انتباه من النوم. والآخرة هنالك العيش بكماله، والتخلص – من الوحشة– بتمامه ودوامه[٣].

٢. تحقير وازدراء الدنيا وتصغير أمرها، والذي يفهم منه التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى؛ لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم[٤].

٣. بيان فساد عقل الكفار، والمشركين وعلمهم، فقد آثروا الفانية على الباقية.

٤. من صفات أهل الدنيا اللهو، واللعب، والإعراض عمّ ينفعهم.

---

(١) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٠-٤٣١).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٦٠)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٤٦)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٢٩٤).

(٣) لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١٠٥).

(٤) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٣)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٤٧)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٥).

المطلب الثاني

طبيعة الكفار المتناقضة

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥ ، ٦٦]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ختمت الآية السابقة، بما أفهم أنهم لا يعلمون، والتي قبلها بأن أكثرهم لا يعقلون، فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا ركبوا البحر فأصابتهم مصيبة خافوا منها الهلاك أخلصوا بالتوحيد لله ﷻ، وذلك بالإعراض عن شركائهم بالقلب واللسان، ليقينهم أنه لا منجى عند تلك الشدائد غيره، فإذا نجاهم الله، ووصلوا للبر أشركوا فصح أنهم لا يعلمون، لأنهم لا يعقلون، حيث يقرون بعجز آلهتهم ويشركونها معه، ففي ذلك أعظم التهكم بهم، وبيان لطبيعتهم المتناقضة[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **الْفُلْكِ** ﴾: بِالضَّمِّ: السَّفِينَة، ويستعمل لفظ الفلك للواحد والجمع[٢].

﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾: أَيْ الدُّعَاء أَيْ: لَا يَدْعُونَ مَعَهُ غَيْره[٣].

﴿ **لِيَكْفُرُوا** ﴾: **فيه وجهان:**

الأول: وهو الأظهر، أن اللام لام «كي» أي: سَيُشْرِكُونَ لِيَكُونَ إشراكُهُم كفراً بنعمة الإنجاء.

الثاني: أن تكون لام الأمر، ومعناه التهديد والتوعيد، أي: ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إياهم فسيعلمون فساد ما يعملون[٤].

---

(١) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٧٦-٤٧٧).

(٢) **انظر**: الكليات: للكفوي (٦٩٣)، المفردات: للراغب (٦٤٥).

(٣) **انظر**: تفسير الجلالين: للمحلي، السيوطي (٥٣٠).

(٤) **انظر**: اللباب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٣٧٨)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٥).

﴿ **وَلِيَتَمَتَّعُوا** ﴾: أي: وليتلذذوا بمتاع الدنيا[1]، وتحتمل المعنى الوجهين اللذين في﴿ **لِيَكْفُرُوا**﴾[2].

ثالثًا: القراءات

﴿ **لِيَتَمَتَّعُوا** ﴾:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون: بإسكان اللام ﴿ **لْيَتَمَتَّعُوا** ﴾. **وحجتهم:** جعلوها لام الأمر في معنى الوعيد والتهديد لأن الله لا يأمرهم بالإصرار على المعاصي والكفر وهو كقوله: ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** ﴾ [فصلت: ٤٠] على الوعيد.

وقرأ الباقون: ﴿ **لِيَتَمَتَّعُوا** ﴾ بكسر اللام . **وحجتهم:** جعلوها لام كي، فالمعنى لكي يكفروا ولكي يتمتعوا[3].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يبين لنا في هذه الآيات طبيعة الكفار المتناقضة المضطربة، ويصورها لنا من خلال ركوبهم البحر، فإذا هاج واضطرب بهم أخلصوا التوحيد، فإذا وصلوا البر إذا هم يشركون، ويذهبوا مرة أخرى للتلذذ بمتاع الدنيا، فإذا زال فسيعلمون فساد أعمالهم.

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. معرفة الرب في فطرة كل إنسان، وأنهم إن غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء كقوله: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٦٧]، فهكذا هي طبيعة الكفار المتناقضة، إيمان في الشدة، وكفر في الرخاء، ومع هذا تجد عظمة حلم الله عليهم وإمهالهم لهم لعلهم يرجعون ويعودون.
٢. الاشتغال بالدنيا هو الصادّ عن كل خير وأن الانقطاع عنها معين للفطرة الأولى المستقيمة، وأن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا؛ ولهذا نجد الفقراء أقرب إلى كل خير غالبًا[4].

---

(١) مراح لبيد: لنووي الجاوي (٢/ ٢٢٢).
(٢) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٤٦٤/٣)
(٣) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٥)، المبسوط: لابن مهران (٣٤٦).
(٤) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٧٧)، مفاتيح الغيب: للرازي (٧٦/٢٥).

٣. لا فائدة لمن أشرك بالله ﷻ، إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة[١].

المطلب الثالث

طبيعة الكفار في مقابلة النعم

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٧]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

ذكر الله ﷻ صورة أخرى من صور الابتلاء كقوله: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فلما ذَكَّر الله المشركين حالهم عند الخوف الشديد، ذَكَّرهم حالهم عند الأمن العظيم، والمعني أنكم في أخوف ما كنتم دعوتم الله، وفي آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله، وهذا متناقض؛ لأن دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الإخلاص ما كان إلا لقطعكم بأن النعمة من الله لا غير فكيف تكفرون بها؟ والأصنام التي قطعتم في حال الخوف أن لا أمن منها كيف آمنتم بها في حال الأمن؟[٢].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا** ﴾: الضمير لكفار قريش، **والحرم الآمن:** مكة، كما ورد عن ابن زيد وغيره؛ لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها[٣].

---

(١) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٦٧).

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/٧٧)، نظم الدرر: للبقاعي (١٤/ ٤٧٨)، اللباب: لابن عادل (١٥/ ٣٧٨).

(٣) **انظر**: التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٢٩)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٦٣).

﴿ **وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾: قال الضحاك[١]: يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا. **والخطف**: الأخذ بسرعة. فأذكرهم الله ﷻ هذه النعمة؛ ليذعنوا له بالطاعة[٢].

﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ** ﴾: وقد ورد في معنى الباطل أقوال منها: أفبالشرك، أفبالشيطان، والأصنام[٣]، **والذي يظهر من الأقوال** أن الباطل يشمل كل إيمان بما سوى الله ﷻ من ءالهة المشركين الباطلة.

﴿ **وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾: لقد تنوعت أقوال العلماء في معنى النعمة فمن قائل: بعافية الله، وبعطاء الله وإحسانه، وبما جاء به النبي ﷺ ، والذي يظهر من سياق الآية أن المراد بالنعمة هو: نعمة الأمن كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾ [قريش: ٤]، وهو قول قتادة[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) لما وصف الله كفر الكافرين ذكر كفرهم بنعمته فقال: ﴿ **وَبِنِعْمَةِ الله** ﴾ ولم يقل مثلاً: وبعبادة الله، أو بالإيمان بالله يكفرون؛ لأن إيمانهم لو لم يكُنْ له سبب إلا نِعمَ الله عليهم أنْ يُطعِمهم من جوع، ويُؤمنهم من خوف لكان واجباً عليهم أنْ يؤمنوا به[٥].
٢) مراعاة الفواصل؛ لما لها من وقع عظيم على السمع يزيد الكلام رونقاً وجمالاً مثل ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾، ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾، ﴿ **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ الخ[٦].
٣) المقابلة في قوله: ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾.

---

(١) **هو**: الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ أبو القاسم الخراساني المفسر، يروى «تفسيره» عنه عبيد بن سليمان. والضحاك خراساني صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة. مات بعد المائة، خرّج أحاديثه الأربعة. [طبقات المفسرين: للداوودي (١/ ٢٢٢)].

(٢) **انظر**: تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٣٠٨٣/٩)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٦٣-٣٦٤)، الكشاف: للزمخشري (٤٦٤/٣).

(٣) **انظر**: تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٠)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٦٢)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٠).

(٤) **انظر**: تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٠)، الجامع: للقرطبي (١٣/ ٣٦٤).

(٥) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٢٧٤) بتصرف يسير.

(٦) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٠-٤٣١).

رابعًا: المعنى الإجمالي

يمتن الله على قريش فيما أحلهم من حرمه، ونعمة الأمن التي هم فيها، والأعراب حولهم ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم، ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، و بنعمة الله يكفرون[1].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تفضل الله على الكفار بالنعم، وطبيعتهم كفران تلك النعم، فهذا حالهم في كل زمان ومكان قديمًا وحديثًا تجد الكثير من الناس يتفضل الله عليهم بالنعم ويبارزونه بالمعاصي جهارًا نهارًا لا يستحيون من خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الكثيرة.
٢. الابتلاء يكون تارة بالشر، وأخرى بالخير، ولا يعنى من توسيع النعمة للكافر حب الله له أو علو منزلته، بل هو استدراج، فإن قارون كان من أشد الناس غناءً، ولكنه كفر نعمة الله فأهلكه وماله.
٣. أهمية نعمة الأمن للإنسان حتى يعيش حياة سعيدة، أما من فقدها كيف يحيا ويطيب له العيش كما في قطاعنا الحبيب المحاصر الذي تدكه طائرات الإحتلال بصواريخها فلا يأمن الحيوان والجماد منها فكيف بالإنسان، وأهل الضفة والقدس لا يأمن الأنسان على روحه أو جسده فهو بين عشية أو ضحاها يجد نفسه مقيدًا بقيود السجان، أو حرق ولده وانتزعت أرضه، لذلك لا يعرف قدر نعمة الأمن إلا من فقدها كأمثال شعبنا الذي ظلمت قضيته من القريب والبعيد.
٤. تناقض الكفار، بإيمانهم بالباطل المخلوق الذي لا ينفع، ولا يضر، وجحودهم وكفرهم بمن يتفضل عليهم بالنعم، حيث يقابلون الإحسان بالإساءة.

---

(١) **انظر**: تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٢٩٥)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٤-٤٦٥).

المبحث الخامس

عقاب الكافرين وجزاء المحسنين

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: عقاب الكافرين

المطلب الثاني: جزاء المحسنين

المطلب الأول

عقاب الكافرين

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

جاءت الآية بمثابة تعقيب على حكاية موقف الجدل والحجاج التي تضمنتها الآيات السابقة، وبمثابة إنهاء للموقف كما جاءت في الوقت ذاته خاتمة لآيات السورة وأسلوبها متسق مع كثير من خواتم مواقف الجدل وخواتم السور أيضًا. والآية تحتمل وجهًا آخر وهو أن الله تعالى لما بين التوحيد والرسالة والحشر وقرره ووعظ وزجر قال لنبيه ليقول للناس: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **أَظْلَمُ** ﴾: الظلم: ((وضع الشيء في غير موضعه))[(٢)].

﴿ **افْتَرَى** ﴾: ((قطع على كذب وَأخْبر بِهِ))[(٣)].

﴿ **كَذَّبَ بِالْحَقِّ** ﴾ : ((النَّبِيّ أَوْ الْكِتَاب))[(٤)].

﴿ **مَثْوًى** ﴾: مأوىً، ومسكنًا، وموضع الإقامة[(٥)].

---

(١) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٥٠٥)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٧).

(٢) تحفة الأريب: لأبي حيان الأندلسي (٢١٦)، التفسير الواضح: لحجازي (١١/٣).

(٣) الفروق اللغوية: للعسكري (٤٧).

(٤) تفسير الجلالين: للمحلي والسيوطي (٥٣٠).

(٥) **انظر**: تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٠)، جامع البيان: للطبري(٢٠/ ٦٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢٦).

ثالثًا: اللطائف

١) الجناس الناقص بين ﴿ **كَذِبًا** ﴾، و﴿ **كَذَّبَ** ﴾.

٢) الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾، غرضه التقرير والتوبيخ والوعيد[١].

٣) ((إيراد الكلام بأسلوب الاستفهام أقوى في تقرير واقع من أسلوب الخبر؛ لأن الخبر يأتي من المتكلم، أمّا الإقرار فمن السامع، وأنت لا تُلقِي بالاستفهام إلا وأنت واثق أن الجواب سيأتي على وَفْق ما تريد))[٢].

رابعًا: المعنى الإجمالي

في هذه الآية وعيد شديد للمشركين، والسبب افتراؤهم على الله كذبا بزعمهم أن لله شريكا. وكفرهم بالرسول والكتاب. وفي قوله: ﴿ **لَمَّا جاءَهُ** ﴾ تسفيه لهم، يعنى: لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه، فلم يتروووا، أو يفكروا إلى أن يصح لهم صدق الخبر أو كذبه، ثم يقول: ﴿ **أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى للكافرين** ﴾ هذا تقرير لثوائهم في جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي صار إيجاباً يعني ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حين اجترءوا مثل هذه الجراءة[٣].

رابعًا: المقاصد والأهداف

١. إن من أشد أنواع الظلم، وهو من الشرك الأكبر، أن يجعل الإنسان لله شريكاً، وندا، ومساوياً فقد وصف الله تعالى الشرك بأنه عظيم كما في قوله: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣].

٢. أن الكذب على الله بإنكار بعثة النبي ﷺ، والقرآن من الظلم الواضح، الذي تنكره السنن الكونية والشرعية والعقلية ومع ذلك تجد بعض الطغام اليوم – الذين يسمون بالقرآنيين – ينكرون بعثة النبي ﷺ بشكل آخر وهو عدم الاحتجاج بسنته ونبذها والاقتصار على القرآن.

---

(١) **انظر**: الهداية: لمكي (٩/ ٥٦٥٠)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٢٦).

(٢) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٢٧٧).

(٣) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٥)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٨٧).

٣. أن نار جهنم هي مسكن كل ظالم كافر بالله ﷻ، يتعمد الكذب على الله ظنًا منه أنه لن يقدر عليه.

٤. تسفيه الكفار والمشركين بأنهم لا يتأملوا الحق ليذعنوا له؛ بل يسارعوا في التكذيب من أول سماعهم[١].

المطلب الثاني

جزاء المحسنين

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

هذه الآية كسابقتها جاءت بمثابة تعقيب على حكاية موقف الجدل والحجاج التي تضمنتها الآيات السابقة، وبمثابة إنهاء للموقف كما جاءت في الوقت ذاته خاتمة لآيات السورة وأسلوبها متسق مع كثير من خواتم مواقف الجدل وخواتم السور أيضا. وأيضا لما فرغ من التقرير والتقريع ولم يؤمن الكفار وبعد أن ذكر الله ﷻ عقاب الكافرين الظالمين، كان مسك الختام، تسلية قلوب المؤمنين، ببيان جزاء المجاهدين المحسنين[٢].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **جَاهَدُوا** ﴾: **المقصود بالجهاد هنا:** هو الصبر على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدو، **وقيل:** المراد بالجهاد القتال، والصحيح الأول؛ لنزول هذه الآية قبل فرض القتال[٣].

---

(١) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/٢٠٠).

(٢) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٥٠٥)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٧).

(٣) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٦)، جامع البيان: للطبري(٢٠/ ٦٣).

﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، الموصلة إلينا[١]، « **والهداية:** الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي والإرشاد الشرعي »[٢] يقول الواحدي: « والأولى أن يكون معنى الهداية هاهنا: الزيادة منها والتثبيت عليها »[٣]. **وسبل الله:** الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه[٤].

﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾: أي: بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقباهم. وفي هذا إشارة إلى المعية والقربة التي تكون للمحسن زيادة على حسناته[٥].

ثالثًا: المعنى الإجمالي

يخبرنا الله ﷻ أن من سلك طريق الجهاد بأنواعه، والصبر على الفتن؛ من أجل مرضاة الله ، فإن مصيره الهداية إلى الحق، والنصرة والتوفيق بقدر جهاده، وفوق هذا كله معية الله ﷻ لهم. يقول الزجاج[٦]: « أعلم اللَّه أنه يَزِيدُ المجاهدين هدايةً كما أَنهُ يُضِل الفاسقين. ويَزِيد الكافرين بِكفْرِهِمْ ضَلَالَةً، كذلك يَزِيدُ المُجَاهِدِين هِدايةً – كذا قال ﷻ : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ [محمد: ١٧]، فالمعنى: أَنهُ آتاهم ثواب تقواهم وَزَادَهم هُدى عَلَى هِدَايتِهِم»[٧].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري(٢٠/ ٦٣)، فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٤٥).

(٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٧).

(٣) البسيط: للواحدي (٥٦٢/١٧-٥٦٣).

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٣٧).

(٥) **انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٢٩٠)، اللباب: لابن عادل (٣٨٠/١٥)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٧).

(٦) **هو**: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. علمه المبرد النحو، وأخذ أيضًا عن ثعلب وغيره، وأخذ عنه علي بن عبد الله ابن المغيرة الجوهري وغيره. من كتبه (معاني القرآن)، و(الاشتقاق) مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وسئل عن سنه عند الوفاة فعقد سبعين. **[انظر**: طبقات المفسرين: للداوودي (٩/١-١٢)].

(٧) معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٤).

رابعًا: المقاصد والأهداف

١. مجاهدة النفس، طريق للهداية، ولنصرة الله ﷻ، وأن الله يَزِيدُ المجاهدين هدايةً كما أَنهُ يُضِل الفاسقين[١].

٢. معية الله الخاصة لعباده المجاهدين المحسنين.

٣. ترغيب الله لعباده بعمل الحسنات، وترك السيئات؛ من أجل الوصول للغايات، وأن أسمى غاية هي السير إلى الله.

٤. الجزاء من جنس العمل، فجزاء المجاهدة، الهداية.

(١) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٤).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الروم

أثر العقيدة في نهوض الأمم وانحدارها

ويشتمل على ستة مباحث

المبحث الأول: سنة الله في المجتمعات

المبحث الثاني: كمال قدرة الله وأحوال الناس يوم القيامة

المبحث الثالث: دلالة خلق الإنسان والكون على توحيد الله قدرته

المبحث الرابع: إرشادات وتوجيهات في النظام الاقتصادي

المبحث الخامس: من دلائل التوحيد ونتائج الأعمال

المبحث السادس: نهاية المجرمين وصبر المؤمنين

المبحث الأول

سنة الله في المجتمعات

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الوعد بالنصر والتمكين

المطلب الثالث: دعوة للتفكر في الخلق

المطلب الرابع: أخذ العبر والعظات من هلاك الأمم السابقة

المطلب الخامس: الهلاك عاقبة التكذيب والاستهزاء بآيات الله

المطلب الأول

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١ – ٥]

أولًا: مناسبة الآيات لما سبقها

ومناسبتها لما قبلها، أن نتيجة المعية التي ذكرها بقوله: ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ هي النصر والعز الذي بشر به المؤمنين في صدر السورة بقوله: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ...**﴾[١].

ثانيًا: سبب النزول

ذكر الباحث سبب نزول هذه السورة في الفصل الأول عند التعريف بسورة الروم[٢].

ثالثًا: معاني المفردات

﴿ **الم** ﴾: إنَّ أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف، ما اختاره الزجاج، وهو قول ابن عباس: أن الله أعلم بمراده من هذه الحروف[٣]، وقال بعض العلماء: أننا نعرف معناها، إلا أنهم اختلفوا في المراد فيها على أقوال عديدة[٤].

---

(١) البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣٢٣).

(٢) **انظر**: الرسالة (٢٨-٢٩).

(٣) **انظر**: تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٣٠٢٩/٩)، معاني القرآن: للزجاج (١٥٩/٤).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠٥/١-٢١٠)، الجامع: للقرطبي (١٥٤/١-١٥٦).

﴿ **الرُّومُ** ﴾: ورد في بعض كتب التفسير واللغة في تسمية الروم بهذا الاسم، إنما هو باسم جدهم وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم[١]. ويغلط ابن حزم[٢] هذا القول؛ لأن الروم إنما نسبوا إلى روملس باني رومة[٣].

﴿ **فِي أَدْنَى الْأَرْضِ** ﴾: **والأرض:** أرض العرب، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم. وقيل غير ذلك[٤].

﴿ **غَلَبِهِمْ** ﴾: قال الزجاج: ((الغَلَبُ والطلَبُ مَصْدَران، تقول: غَلَبْتُ غَلَباً، وَطَلَبْتُ طَلَباً))[٥]، والغلبة: الظهور، والقهر، والهزيمة[٦].

﴿ **بِضْعِ** ﴾: تباينت أقوال المفسرين في المقصود بالبضع، إلا أن قول عامة المفسرين أن البضع هنا ما بين الثلاث إلى السبع[٧].

﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ** ﴾: والمراد بالأمر أمر التقدير والتكوين[٨].

﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾: اختلفوا في تحديد هذا اليوم إلى أقوال، وعلى كل فالمراد، أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم ،فيفرح المؤمنون بانتصار الروم على الفرس وإن كان الجميع كفاراً ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون[٩].

---

(١) **انظر**: التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٠)، لسان العرب: لابن منظور (٤/ ٤٦٥).

(٢) **هو**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، أبو محمد، ولد بقرطبة عام(٣٨٤هـ). وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة ظاهري المذهب، وكان متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، توفي في بادية ليلة (من بلاد الأندلس) عام (٤٥٦هـ). من أشهر مصنفاته "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و"المحلى". **[انظر**: وفيات الأعيان: لابن خلكان (٣/٣٢٥-٣٢٨)].

(٣) **انظر**: جمهرة أنساب العرب: لابن حزم (١/ ٥١١).

(٤) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٦)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٠).

(٥) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٧)، جامع البيان: للطبري (٢٠/٧٤)، معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣١٩).

(٦) **انظر**: المفردات للراغب (٥٤٠، ٦١١)،غريب القرآن: للسجستاني (١٦٠)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٣).

(٧) **انظر**: الهداية: لمكي (٩/ ٥٦٥٣)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٢٩٢)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧١).

(٨) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٤٦).

(٩) **انظر**: تفسير القرآن: لابن كثير (٦/٣٠٣-٣٠٤)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٦).

رابعًا: اللطائف

١) الطباق بين ﴿ **غُلِبَتِ. . . سَيَغْلِبُونَ** ﴾، وبين ﴿ **قَبْلُ. . .وبَعْدُ** ﴾.
٢) صيغة المبالغة ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ أي: المبالغ في العز، والمبالغ في الرحمة[١].

خامسًا: المعنى الإجمالي

من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإخبار عن المغيبات سلفاً في المستقبل، ومن هذه الأخبار الغيبية: هزيمة الروم أمام الفرس فيقول تعالى: ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ وهم أهل الكتاب غلبتها فارس، وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿ **فِي أَدْنَى الْأَرْضِ** ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، فيرد الله على كفار مكة ويخبر بانتصار الروم على الفرس، في بضع سنين، ويبين الله أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي: إرادته. فيفرح المسلمون بذلك؛ لكون الروم أهل كتاب وإن حرَّفوه، ويختم الله ﷻ الآيات مذكراً أنه ﴿ **هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾[٢].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. أنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق، بل الله تعالى قد يريد مزيد ثواب في المحب فيبتليه ويسلط عليه الأعادي، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد للمعادي[٣].
٢. سرّ المسلمون بظفر الروم على العجم- وإن كان الكفر يجمعهم- إلا أن الروم اختصوا بالإيمان ببعض الأنبياء، فشكر الله لهم، وأنزل فيهم الآية.. فكيف بمن يكون سروره لدين الله، وحزنه واهتمامه لدين الله؟[٤].

---

(١) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٦).
(٢) **انظر**: تفسير الجلالين: للمحلي، والسيوطي (٥٣١)، التفسير الوسيط: للزحيلي (٣/ ١٩٨٢)، التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير (٤٠٤).
(٣) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٧٩).
(٤) لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١٠٧).

٣. لا تكون الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب فقط، وإنما لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر[١].

٤. في هذه الآيات دليل على أن القرآن من عند اللَّه؛ لأنه أَنْبَأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ، وإثبات الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم[٢].

٥. الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان. فالمعركة بين الحق والباطل لا تنحصر داخل حدود جغرافية أو جنسية، فكما أن المؤمنين إخوة فالكافرين بعضهم أولياء بعض. فعلى المسلمين أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة، مهما تنوعت العلل والأسباب[٣].

٦. قانون الغلب في الأمم والأفراد مبنيا على الاستعداد النفسي والاستعداد الحربي، فلا تغلب أمة أخرى إلا بما أعدت لها من وسائل الظفر بها، وما كان لها من صفات تكفل لها هذا الظفر من أناة وصبر وتضحية بما تملك من عزيز لديها من مال ونفس[٤].

٧. هذه الآيات من البراهين العقلية على إثبات نبوة محمد ﷺ؛ عندما أخبر بأمور غيبية وتحققت.

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٦).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٥).

(٣) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٥٧).

(٤) تفسير المراغي (٢١/ ٢٩).

المطلب الثاني

الوعد بالنصر والتمكين

قال تعالى: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٦، ٧].

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها

لما نزلت البشرى من الله، وأخبر بها النبي ﷺ، أنكر الكفار هذا الأمر وقابلوا الخبر بالاستهزاء والتهكم، فأعقب الله بوعده مؤكداً؛ ليقوي قلوب أصفيائه فلا تضطرب، ويرد ألسنة أعدائه فلا تطرب، ويعرفهم أنه كما صدق في هذا الوعد لأجل تفريح أوليائه فهو يصدق في وعد الآخرة ليحكم بالعدل، ويأخذ لهم حقهم ممن عاداهم، ويفضل عليهم بعد ذلك بما يريد(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَعْدَ** ﴾: الوَعْدُ يستعمل في الخير والشر. قال الفراء: يقال: وعدتُه خيراً ووعدتُه شرًّا. قال الشاعر(٢): أَلا عَلِّلاني كلُّ حيٍّ مُعلَّلِ * ولا تَعِداني الشَرَّ والخيرُ مُقْبِلُ .

فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوَعْدُ والعِدَةُ، وفي الشر الإيعادُ والوَعيدُ. قال الشاعر(٣): وإنِّي وإنْ أوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُهُ * لمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ مَوْعِدي(٤).

﴿ **لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾: أي: ليس في مواعيده خلف، فيفي بوعده فلا ينقضه(٥).

﴿ **غَافِلُونَ** ﴾: من غَفَلَ **والغَفْلَةُ:** سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ، يقال: غَفَلَ فهو غَافِلٌ. والمعنى أي: لا يفكرون فيه(٦).

---

(١) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٤٣-٤٤).

(٢) **هو**: القطامى، كما ذكر محقق الصحاح.

(٣) **هو**: عامر بن الطفيل، كما ذكر محقق الصحاح.

(٤) الصحاح: للجوهري (٢/ ٥٥١).

(٥) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٧٥/٢٠)، معجم اللغة: لأحمد مختار (١/ ٦٨٣).

(٦) **انظر**: المفردات: للراغب (٦٠٩)، جامع البيان: للطبري (٧٥/٢٠).

ثالثًا: اللطائف

١) إبدال قوله: ﴿ **يَعْلَمُونَ** ﴾، من قوله: ﴿ **لا يَعْلَمُونَ** ﴾، إشارة إلى أن العلم بأمور الدنيا كالجهل المطلق عن الآخرة.

٢) تنكير ﴿ **ظاهِراً** ﴾، إشارة إلى قلة علمهم بظاهر الدنيا.

٣) تكرير ﴿ **هم** ﴾، إشارة إلى أن الغفلة منهم، وإلا فأسباب التذكرة حاصلة[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يفتتح الله سبحانه الآية بالمصدر المؤكد حيث يقول: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾ أي: وعدَ الله وعداً بظهور الروم على فارس[٢]،﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ** ﴾: قال مقاتل: يعني كفار مكة، ﴿ **لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس[٣]، ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ يعني أمر معايشهم ودنياهم؛ لأنهم كانوا يعالجون التجارات، والزراعة وغيرها من أمور الدنيا.[٤]﴿ **وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ** ﴾ أي: عن العلم بها والعمل لها، التي هي غايتها والمقصود منها. ﴿ **هُمْ غافِلُونَ** ﴾ لا تخطر ببالهم [٥].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. الوعد بالنصر والتمكين لكل موحد في هذه الأرض، وأن الغلبة لهم وإن طال زمن الابتلاء.
٢. الثقة المطلقة في وعد الله، فقيمة كلّ امرئ علمه بالله ﷻ وثقته به[٦].
٣. علم الكفار والمشركين منحصر في الدنيا، وأيضاً لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاعبها، ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر، ولا يعلمون فناءها.

---

(١) **انظر**: غرائب القرآن: للنيسابوري (٥/ ٤٠٢).
(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٧)، لباب التأويل: للخازن (٣/ ٣٨٧).
(٣) **انظر**: تفسير مقاتل (٤٠٧/٣)، التفسير البسيط: للواحدي (١٨/ ١٥).
(٤) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٧٨)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٧).
(٥) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ٨)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٢).
(٦) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٥٧)، لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١٠٩).

٤. نفي الله ﷻ عن نفسه صفة إخلاف الوعد؛ لامتناع الكذب عليه تعالى، فالكريم لا يخلف وعده، لا سيما والصدق نعته[١].

٥. قوله ﴿ **ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا** ﴾ يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها. وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة[٢].

٦. كثرة الأفراد والأتباع لا تعني صحة المنهج والطريق، بل قد يكون هذا استدراجاً من الله.

المطلب الثالث

دعوة للتفكر في الخلق

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾ [الروم: ٨].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما صدر من الكفار الإنكار بالله عند إنكار وعد الله، وعدم الخلف فيه والإنكار بالحشر، وعندما لم يتأملوا مصنوعات الله عموماً فتدلهم عقولهم منها على أنه لا يصلح للإلهية إلا من كان حكيماً، ولا يكون حكيماً إلا من صدق في وعده، وأنه لا تتم الحكمة إلا بإيجاد الآخرة، عطف عليه قوله منكراً عليهم موبخاً لهم: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا** ... ﴾ أي: يجتهدوا في إعمال الفكر، وبين أن الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير الله، وإلا فأسباب التذكر حاصلة، وهو أن أنفسهم لو تفكروا فيها؛ لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر[٣].

---

(١) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/٢٠٢)، لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١٠٩).

(٢) الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٦٨)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/٦٩١).

(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨١)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٤٧).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يَتَفَكَّرُوا** ﴾: التَّفَكُّرُ: اسْم للتَّفكير، مفرده الفِكْر، وَقَالُوا: الفَكْر، وَهُوَ النظر الواَقع بخَلَد الْإِنْسَان، والمقرون بقَلبه[١].

﴿ **وَأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾: سبق في سورة العنكبوت[٢].

﴿ **بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ** ﴾: **اللِّقَاءُ:** مقابلة الشيء، واستقباله. ومُلَاقَاةُ الله ﷻ عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه[٣].

ثالثًا: اللطائف

١) ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً، كأنه قيل أو لم يثبتوا ويحدثوا التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر، كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره[٤].

٢) تقديم دلائل الأنفس على دلائل الآفاق في الآية؛ وذلك لأن المفيد إذا أفاد فائدة يذكرها على وجه جيد يفهمه السامع المستفيد، ثم يرتقي إلى فهم ذلك الأخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الأبين المذكور، فإن لم يفهم الأبين الواضح فكيف به بالأخفى الغامض[٥].

٣) التقديم والتأخير في قوله: ﴿ **بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾ فيصبح التقدير: لكافرون بلقاء ربهم، أي: لكافرون بالبعث بعد الموت[٦].

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة: للأزهري (١٠/ ١١٦)، جمهرة اللغة: لابن دريد (٢/ ٧٨٦)، الفروق اللغوية: للعسكري (٧٤).

(٢) **انظر**: الرسالة (٦٧).

(٣) **انظر**: المفردات: للراغب(٧٤٥)، الكليات: للكفوي (٧٧٨).

(٤) **انظر**: الكشاف: للزمخشري(٣/ ٤٦٨)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩١).

(٥) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٢).

(٦) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ٩).

رابعًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى منبها على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾[١].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. بين القرآن الكريم أن الغفلة وعدم العلم من الكفار بتقدير الله وإلا فأسباب التذكر حاصلة، وهو أن أنفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر[٢].
٢. طبيعة تكوين النفوس البشرية، وطبيعة هذا الكون كله توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت لا يضطرب، ولا تتخلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوى المتقلب، إنما يمضي في نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديرا. وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم عليه الوجود أن تكون هناك آخرة، يتم فيها الجزاء على العمل، ويلقى الخير والشر عاقبتهما كاملة[٣].
٣. إثبات البعث، والجزاء قد دلت عليه الأدلة القاطعة الكثيرة، بالرغم من هذا كفر كثير من الناس به عن غير دليل، ولا برهان، فلم يستعدوا بشيء من الأعمال، بخلاف القلة المؤمنة التي استعدت لهذا اللقاء عن طريق العمل الصالح الذي يرضى خالقهم[٤].
٤. ((تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية المثبتة لها))[٥]، يرشدنا إلى أهمية الدلائل العقلية ودعوة للتفكر في هذه الدلائل للوصول للحق، وكانت الأدلة من جنس الأشياء التي عهدوها وهي الأنفس، والأفاق.

---

(١) تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٠٥).

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨١).

(٣) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٥٩-٢٧٦٠).

(٤) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٧)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٠)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٢).

(٥) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٢).

المطلب الرابع

أخذ العبر والعظات من هلاك الأمم السابقة

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

عطف على جملة ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا** ... ﴾ فلما أقام عليهم الدليل على البعث والجزاء بالحق، أتبعه وأعقبه التهديد والتهويل، والإنذار بعواقب الأمم الذين كذبوا رسلهم [١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **عَاقِبَةُ** ﴾: نهاية[٢].

﴿ **وَأَثَارُوا الْأَرْضَ** ﴾: **أي:** قلبوها وحرثوها للزراعة، **وقيل:** قلبوا وجه الأرض لاستنباط المياه واستخراج المعادن وإلقاء البذور فيها للزّراعة. والإثارة: تحريك الشيء حتى يرتفع ترابه[٣]، **والأرض:** اسم للكرة التي عليها الناس[٤].

﴿ **وَعَمَرُوهَا** ﴾: أي: عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها[٥].

---

(١) **انظر:** نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٥٠)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٥٥).

(٢) التفسير المنهجي: لصلاح الخالدي وآخرون (٦٣/٢/٧).

(٣) **انظر:** غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٠)، معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٢)، التبيان: لابن الهائم (٢٦٠).

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٥٥).

(٥) إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٢).

ثالثًا: اللطائف

١) قال في الدليلين المتقدمين: ﴿ **أَوَلَمْ يروا ...**﴾ [العنكبوت: ١٩، ٦٧]، ولم يقل: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا...**﴾؛ إذ لا حاجة هناك إلى السير بحضور النفس والسماء والأرض، وقال هاهنا: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا** ﴾ ذكرهم بحال أمثالهم ووبال أشكالهم[١].

٢) ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا** ﴾ الاستفهام للإنكار، والغرض منه للتقريع والتوبيخ؛ لعدم تفكرهم في الآثار، وتأملهم لمواقع الاعتبار، وفي الجملة أيضاً إنكار النفي، وإنكار النفي إثبات قيل: إنها لتقرير المنفي، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا في الأرض[٢].

رابعًا: المعنى الإجمالي

((يقول تعالى ذكره: أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجراً، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، ﴿ **وَأَثَارُوا الأَرْضَ** ﴾: يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ ﴿ **جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، ﴿ **فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ** ﴾ بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، ﴿ **وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ بمعصيتهم ربهم))[٣].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. ((وجوب السير في الأرض، والوقوف على آثار السابقين، والاعتبار مما جرى لهم))[٤]، ((مع اشتراط عدم حصول إثم في ذلك بترك واجب أو بفعل محرم))[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٣).

(٢) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ٢٥)، فتح البيان: لصديق خان (١٠/ ٢٣٠).

(٣) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٧٨).

(٤) التفسير المنهجي: لصلاح الخالدي وآخرون (٦٦/٢/٧).

(٥) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٣).

٢. التبصر بعبر الماضي درس وعظة، فمن سمع بأخبار الأمم الماضية المكذبة رسلها، وأدرك مصيرهم، وعرف سبب هلاكهم وتدميرهم، بادر إلى الإيمان بالله عزّ وجلّ، وصدّق رسله الذين جاءوهم بالمعجزات الدالة على صدقهم.

٣. الاعتماد المطلق على قوة الجسد وسعة المال، ووفرة الثروة والأولاد خطأ محض، فإن كل الأموال والمدنيات وتقدم الحضارات لا تغني أصحابها شيئا يوم القيامة[١].

٤. إبادة الأمم وإهلاكها إنما هو جزاء معجل ونموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له. وأيضا كل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها[٢].

المطلب الخامس

الهلاك عاقبة التكذيب والاستهزاء بآيات الله

قال تعالى:﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ١٠]

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها

لما كان انتكاس الكفار بعد الأسباب المسعدة بعيداً، وكانت هذه العاقبة أعظم رتبة في السوء من عذاب الدنيا أشار إليه بأداة التراخي، فيجوز أن يكون هذا الكلام تذييلا لحكاية ما حل بالأمم السالفة من العذاب، وهذا إنذار بعد الموعظة ونص بعد القياس، فإن الله وعظ المكذبين للرسول ﷺ بعواقب الأمم التي كذبت رسلها ليكونوا على حذر من مثل تلك العاقبة بحكم قياس التمثيل، ثم أعقب تلك الموعظة بالنذارة بأنهم ستكون لهم مثل تلك العاقبة بحكم قياس التمثيل، ثم أعقب تلك الموعظة بالنذارة بأنهم ستكون لهم مثل تلك العاقبة[٣].

---

(١) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٥٦)، بتصرف يسير.

(٢) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٨).

(٣) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٥٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٥٩).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **السُّوأَى** ﴾: فِي هَذَا الموضع: العذاب، ويقال: النار، وجهنم[١].

﴿ **يَسْتَهْزِئُونَ**﴾: الهُزْءُ والهُزُؤُ: السُخْرية، ويستهزئون أي: يسخرون[٢].

ثالثًا: اللطائف

١) ((أوقع فعل كان الماضي في موقع المضارع؛ للتنبيه على تحقيق وقوعه إتمامًا للنذارة))[٣].
٢) وضع المظهر موضع المضمر، وهو ﴿ **الَّذِينَ أَسَاءُوا** ﴾ موضع المضمر أي: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة؛ للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاءوا بمثل أفعالهم[٤].
٣) ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا** ﴾ تابعها والخبر محذوف للإبهام والتهويل، وأن تكون (أَنْ) مفسرة؛ لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول[٥].

رابعًا: القراءات

﴿ **عَاقِبَةَ** ﴾

قرأ المدنيان، وابن كثير، والبصريان بالرفع ﴿ **عَاقِبَةُ** ﴾ جعلوها اسم كان والخبر ﴿ **السُّوأَى** ﴾، وقرأ الباقون بالنصب ﴿ **عَاقِبَةَ** ﴾ جعلوها خبر كان واسم كان ﴿ **السُّوأَى** ﴾[٦].

---

(١) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٢)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٠)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٧٩).
(٢) **انظر**: الصحاح: للجوهري (١/ ٨٣)، العين: للفراهيدي (٤/ ٧٥)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٧٩).
(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٥٩).
(٤) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٠)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩٢)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٣).
(٥) أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٣).
(٦) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٦).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبرنا الله سبحانه عن عاقبة الذين أساءوا العمل في الدنيا فكذبوا بآياته واستهزئوا بها فيقول سبحانه محذرًا: ﴿﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا** ﴾، أي أساءوا العمل، ﴿ **السُّوأَى** ﴾، يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: السوء اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة، ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا** ﴾، أي: لأن كذبوا، وقيل: تفسير السوء ما بعده وهو قول ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا** ﴾، يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾﴾[1].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. بيان جزاء الله العادل في أن عاقبة الإساءة الهلاك في الدنيا، والسوأى في الآخرة.
٢. الاستهزاء والتكذيب بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته، كفر به[2].
٣. لم يجد المشركون شيئًا للرد على الأدلة والبراهين والآيات المحكمات، إلا السخرية وفلسفة الاستهزاء التي تقوم على ﴿أن الإنسان لم يقدر على نفسه ليحملها على الفضائل، فيغيظه كل صاحب فضيلة، ويؤلمه أنْ يرى مستقيماً ينعم بعزِّ الطاعة، وهو في حمئة المعصية؛ لذلك يسخر منه لعله ينصرف عما هو فيه من الطاعة والاستقامة﴾[3].
٤. ﴿لقد كان إهلاك الأمم الماضية الجاحدة بربها ورسله وأنبيائه حقا وعدلا، ولم يكن الهلاك بغير ذنب ولا بغير سابق إنذار بالرسل والحجج، وإنما كان بظلمهم أنفسهم بالشرك والعصيان، والتكذيب بآيات الله الدالة على وجوده وتفرده بالألوهية، وتكذيب القرآن والرسول ومعجزاته، واستهزائهم بها﴾[4].

---

(١) معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧٢).
(٢) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٣).
(٣) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٣٠).
(٤) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٥٧).

المبحث الثاني

كمال قدرة الله وأحوال الناس يوم القيامة

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: قدرة الله على الخلق والإعادة

المطلب الثاني: هلاك المجرمين يوم القيامة

المطلب الثالث: التمايز بين أهل الكفر والإيمان يوم القيامة

المطلب الرابع: المؤمنون في الجنة يمتعون، والكافرون في النار يعذبون

المطلب الخامس: التنزيه والتحميد لله

المطلب السادس: قدرة الله على إحياء الموتى والأرض

المطلب الأول

قدرة الله على الخلق والإعادة

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ١١]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

"لما ذكر أن عاقبتهم إلى الجحيم وكان في ذلك إشارة إلى الإعادة والحشر لم يتركه دعوى بلا بينة فقال يبدأ الخلق، يعني من خلق بالقدرة والإرادة لا يعجز عن الرجعة والإعادة فإليه ترجعون" (١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ** ﴾: ينشؤه ابتداء؛ من غير مثال سبق.

﴿ **ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾ يحييه للبعث والحساب يوم القيامة(٢).

ثالثًا: اللطائف

ابتدأ سياق الآية في التعبير عن بدء الخلق وإعادته بالمفرد فقال: ﴿ **اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾، وانتقل إلى الجمع في الرجوع فقال: ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ ولم يقل يرجع أي: الخلْق؛ وذلك لأن الناس جميعًا لا يختلفون في بَدْء الخلق ولا في إعادته، لكن يختلفون في الرجوع إلى الله، فهذا مؤمن، وهذا كافر، هذا طائع، وهذا عاصٍ، وهذا بين بين، ففي حال الرجوع إلى الله ستفترق هذه الوحدة إلى طريقين: طريق للسعداء، وطريق للأشقياء، لذلك لزم صيغة الإفراد في البَدْء وفي الإعادة، وانتقل إلى الجمع في الرجوع إلى الله لاختلافهم في الرجوع(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/ ٨٤).

(٢) أوضح التفاسير: للخطيب (١/ ٤٩٢).

(٣) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٣١-١١٣٣٢)، بتصرف.

رابعًا: القراءات

﴿ **تُرْجَعُونَ** ﴾:

- قرأ أبو عمرو وشعبة:﴿ **تُرْجَعُونَ** ﴾ بالياء. **حجتهما:** أن المتقدم ذكره غيبة ﴿ **يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾، فقرب من ذكر ﴿ **الْخَلْقَ** ﴾ فجعلا الكلام خبرا عنهم إذ كان متصلا بذكرهم، والخلق هم المخلوقون في المعنى، وجاء قوله: ﴿ **يُعِيدُهُ** ﴾ على لفظ الخلق، وقوله: ﴿ **يُرْجَعُونَ** ﴾ على المعنى، ولم يرجع على لفظ الواحد كما كان يعيده كذلك.
- وقرأ الباقون ﴿ **تُرْجَعُونَ** ﴾ بالتاء. **وحجتهم:** أنّه صار الكلام من الغيبة إلى الخطاب[1].

خامسًا: المعنى الإجمالي

((يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عزّ وجل، ثم يعيد خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقا سويا، ولم يك شيئا ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم: ٣١]))[2].

سادساً: المقاصد والأهداف

١ . تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض مشاهد القيامة[3].

٢ . الله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، ومعيده بقدرته، وإليه المرجع والمآب[4].

٣ . الزهد في الدنيا الفانية، والإقبال على الآخرة الباقية التي إليها مرجعنا.

٤ . الآية تذكر حقيقة بسيطة واضحة في ترابطها متناسقة بين جزئيها، فهي تبين أن الإعادة كالبدء لا غرابة فيها. وهما حلقتان في سلسلة النشأة، مترابطتان لا انفصام بينهما. والرجعة

---

(١) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٦)، الحجة للقراء السبعة: لأَبي عَلِي الفارِسي (٥/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٢) جامع البيان: للطبري(٢٠/ ٧٩).

(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٥).

(٤) **انظر**: التفسير الميسر (١/ ٤٠٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦٠).

في النهاية إلى رب العالمين، الذي أنشأ النشأة الأولى والنشأة الآخرة، لتربية عباده ورعايتهم ومجازاتهم في النهاية على ما يعملون[1].

المطلب الثاني

هلاك المجرمين يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الروم: ١٢، ١٣]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر الله سبحانه أن مصير جميع الناس الرجوع إليه، أتبعه ببعض أحواله، وما يكون وقت الرجوع إليه، من إفلاس المجرمين وتحقق بأسهم وحيرتهم، إذ لا تنفعهم شركاؤهم، بل هم يكفرون بهم[2].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يُبْلِسُ** ﴾: مادتها بَلَسَ، تقول أبلس الرجل: قطع به وأبلس: سكت، وأبلس من رحمة الله أي يئس وندم، ((وأصل الإبلاس: انقطاع الحجة والسكوت والحيرة))[3].

﴿ **شُفَعَاءُ** ﴾: جمع شفيع، وهو اسم مفعول من مادة (ش ف ع)، وهو الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، تقول: شفَع في الأمر: كان وسيطاً فيه[4].

﴿ **وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾: ((جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم))[5].

---

(١) الظلال: لسيد قطب (٥/ ٢٧٦١)، بتصرف يسير.

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٤)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٥٤)، تفسير المراغي (٢١/ ٣٣).

(٣) **انظر**: لسان العرب: لابن منظور (٦/ ٢٩)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٦٥).

(٤) **انظر**: تاج العروس: للزبيدي (٢١/ ٢٨٣)، المصباح المنير: للفيومي (١/ ٣١٧)، لسان العرب: لابن منظور (٨/ ١٨٤)، معجم اللغة: لأحمد مختار (٢/ ١٢١٦).

(٥) معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧٢).

ثالثًا: اللطائف

الجناس الناقص بين قوله: ﴿ **شُرَكَائِهِمْ** ﴾، وقوله: ﴿ **بِشُرَكَائِهِمْ** ﴾.

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى عن أحوال يوم القيامة يوم تقوم الساعة عندما يقوم الناس من قبورهم أنه ﴿ **يُبْلِسُ** ﴾ أي: يبأس ويتحير يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس، ويئس من أن يحتج ﴿ **الْمُجْرِمُونَ** ﴾ المشركون ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ** ﴾ أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم ﴿ **وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ أي: يكفرون بآلهتهم ويجحدونها، أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم[1].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. ((لا يجد المشركون والكفار يوم القيامة حجة لهم يدافعون بها عن شركهم وكفرهم، فتنقطع حجتهم، وييأسون من الاهتداء إليها))[2].
٢. ((تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقده المبطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر))[3].
٣. سبب إبلاس وإفلاس الكفار عند قيام الساعة؛ أنهم لم يقدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فقدموا أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، لينجوا من العذاب.
٤. يوم تقوم الساعة يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا[4].

---

(١) **انظر**: مدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٦٩٣)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٠٦).
(٢) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦٠).
(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٥).
(٤) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٨).

المطلب الثالث

التمايز بين أهل الكفر والإيمان يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** ﴾ [الروم: ١٤]

أولا: مناسبة الآية لما قبلها

بعد أن بين الله ﷻ ما يكون للناس يوم القيامة من الإبلاس، بين أمرًا آخر يكون في ذلك اليوم وهو الافتراق فكأن هذه الحالة مترتبة على الإبلاس، فكأنه أولا يبلس ثم يميز ويجعل فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، وأعاد قوله: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** ﴾؛ لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تأكيدًا للتخويف، ثم زاد في تهويله بقوله: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** ﴾[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يَتَفَرَّقُونَ** ﴾: هنا بمعنى يصنفون فِرَقًا[(٢)]، أي: ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار[(٣)].

ثالثًا: اللطائف

١) كرر لفظ قيام الساعة؛ للتهويل والتخويف، لأن قيام الساعة أمر هائل[(٤)].
٢) كرر ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ لتأكيد حقيقة الظرفية[(٥)].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى عن يوم مجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ، بأنهم في ذلك اليوم ﴿ **يَتَفَرَّقُونَ** ﴾ يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فرقة والله لا اجتماع

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/ ٨٥)، نظم الدرر للبقاعي (١٥/ ٥٦-٥٧).
(٢) التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٣٥).
(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٣).
(٤) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٥).
(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٦٣).

بعدها، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب[١].

خامساً: المقاصد والأهداف

١. يوم القيامة يتفرق الناس، فيصبحوا: فريقًا منهم أهل الوصلة، وفريقًا هم أهل الفرقة. فريقًا للجنة والمنّة، وفريقًا للعذاب والمحنة. فريقًا في السعير، وفريقًا في السرور. فريقًا في الثواب، وفريقًا في العذاب. فريقًا في الفراق، وفريقًا في التلاقي[٢].
٢. في الآية فائدة لأهل الوعظ والخطباء بالتركيز على قضية التكرار للأمر الهائل الذي يجب على الناس أن يحذروا منه، كتكرير يوم القيامة في الخطب لتذكير أهواله، فقد أعاد الله سبحانه قوله: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** ﴾؛ لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تأكيدًا للتخويف[٣].
٣. افتراق العقائد في الدنيا سبب لافتراق الأجساد في الآخرة، فلا اجتماع بين الحق والباطل، وإن اجتمعوا بهم ظاهرًا في الدنيا من أجل الدعوة والمعاش.
٤. اجتناب الاختلاط بالكفار والمنافقين، إلا في حدود الضرورة والحاجة.

---

(١) **انظر**: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٨١).
(٢) **انظر**: لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١١١).
(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٥).

المطلب الرابع

المؤمنون في الجنة يمتعون، والكافرون في النار يعذبون

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥، ١٦]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن ذكر الله سبحانه افتراق الناس يوم القيامة إجمالاً، بين كيفية التفرق تفصيلاً فهم لا يخرجون عن فريقين فريق في الجنة، وفريق في السعير، فالأولون يمتعون بسرور وحبور، والآخرون يصلون النار دأباً لا يغيبون عنها أبدًا(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **رَوْضَةٍ** ﴾: والروضة عند العرب: كل أرض مرتفعة ذات نبات وماء. والمراد بها هنا الجنة، والرياض الجنان(٢).

﴿ **يُحْبَرُونَ** ﴾: والحبرة في اللغة كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين، وجاء عن الضحاك يحبرون: يكرمون، وقال مجاهد: ينعمون(٣)، وذهب آخرون إلى أن يحبرون: يفرحون ويسرّون(٤).

﴿ **مُحْضَرُونَ** ﴾: مدخلون، نازلون، مقيمون، معذبون، مجموعون، ومعاني هذه التأويلات متقاربة. والإحضار هو إجبار المرء على الحضور، وهو يدل على السخط والغضب كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ [القصص: ٦١] (٥).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٥)، تفسير المراغي (٢١/ ٣٣)، الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٢).

(٢) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧١)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ١١)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٢).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٠)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩)، تفسير مجاهد (٥٣٨).

(٤) **انظر**: مجاز القرآن: أبو عبيدة (٢/ ١٢٠)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٠)، إصلاح المنطق: لابن السكيت (١٨٣).

(٥) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٠٢-٣٠٣)، التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٣٥)، الفروق اللغوية: للعسكري (٩٦).

ثالثًا: اللطائف

١) المقابلة بين حال السعداء والأشقياء[١].

٢) تنكير ﴿ **رَوْضَة** ﴾؛ لإبهام أمرها وتفخيمه[٢].

٣) وذكر الله جل ذكره الروضة؛ لأنهم لم يكن عند العرب شيء أحسن منظراً، ولا أطيب نشراً من الرياض، وعبقها[٣].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يذكر لنا الله سبحانه أصناف الناس وأنهم ينقسمون إلى مؤمنين منعمين وكفار معذبين فيقول:﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ آمنوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة ﴿ **فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ** ﴾ فيها سائر أنواع النبات، وأصناف المشتهيات، ﴿ **يُحْبَرُونَ** ﴾ أي: يسرون، وينعمون ويتلذذون بكل الملذات، والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه. ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر ﴿ **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾ التي جاءتهم بها رسلنا ﴿ **فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** ﴾ فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم، واطَّلع العذاب الأليم على أفئدتهم، وشوى الحميم وجوههم، وقطَّع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟[٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. ((تقرير مبدأ السعادة والشقاء يوم القيامة فأهل الإيمان والتقوى في روضة يحبرون، وأهل الشرك والمعاصي في العذاب محضرون))[٥].

---

(١) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٦).

(٢) مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩٣)، البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣٢٩).

(٣) الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٦٦).

(٤) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٨).

(٥) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٥).

٢. لا بد مع الإيمان من العمل الصالح؛ لأن العمل الصالح معتبر مع الإيمان، فإن الإيمان المجرد مفيد للنجاة دون رفع الدرجات، ولا يبلغ المؤمن الدرجة العالية إلا بإيمانه وعمله الصالح؛ لذلك ذكر العمل الصالح مع الإيمان.

٣. الكافر فهو في الدركات بمجرد كفره؛ لذلك لم يذكر العمل السيئ مع الكفر[١].

٤. إن مبدأ الثواب والعقاب من أهم مبادئ التربية في تقويم السلوك الإنساني، لذلك كثر استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يذكر الله سبحانه في كتابه المتقين والموحدين ومصيرهم وما أعده لهم من النعيم الكثير الباقي، ويذكر الكافرين الجاحدين ومصيرهم وما أعده لهم؛ ليكون الإنسان على بصيرة من أمره، فيختار بمحض إرادته إحدى الطريقتين، ولا يحتج الإنسان بقدر الله سبحانه على معائبه التي هي من اختياره عند معاينة العذاب وملاقاته.

المطلب الخامس

التنزيه والتحميد لله

قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧، ١٨]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله تعالى عظمته في الابتداء بخلق السماوات والأرض، وعظمته في الانتهاء، وهو حين تقوم الساعة ويفترق الناس فريقين، ويحكم عليهم بالجنة أو النار، وأنهم كذبوا به، وكان تكذيبهم به مستلزماً لاعتقاد نقائص كثيرة منها العجز وإخلاف الوعد وترك الحكمة، كان ذلك سببًا لأن ينزه سبحانه نفسه المقدسة ويأمر بتنزيهها، لأن ذلك يدفع عن المنزه مضار الوعيد، ويرفعه إلى مسار الوعد، فأمر بتنزيهه عن كل سوء وبحمده على كل حال[٢].

---

(١) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦٠).

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٦)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٥٩).

ثانياً: معاني المفردات

﴿ **سُبْحَانَ** ﴾: من مادة (سَبَحَ)، ومنها سبح الرجلُ تسبيحًا إذا عظم الله ومجده، فسبحان في اللغة هي التَنْزِيه والتبرئة[١].

﴿ **تُمْسُونَ** ﴾: أَي: تدخلون فِي الْمسَاء، حين إقبال الليل وظلامه، بإذهاب النهار وتفريق النور.

﴿ **تُصْبِحُونَ** ﴾: أَي: تدخلون فِي الصَّباح. وهو: إسفار النهار عن ضيائه[٢].

﴿ **الْحَمْدُ** ﴾: الحَمدُ: نَقيضُ الذَّمِّ، يُقَال: حَمِدْتُه على فعله، وَمِنْه المحْمدَةُ، والحمد أعم من الشكر، وهو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها، فالْحَمد لَا يكون إِلَّا على إِحْسَان وَالله حَامِد لنَفسِهِ على إحسانه إِلَى خلقه[٣].

﴿ **عَشِيًّا** ﴾: وقت العشى حين اشتداد الظلام.

﴿ **تُظْهِرُونَ** ﴾: أَي: تدخلون فِي الظّهْر، وهو وقت الزوال، عند قوة الضياء واشتداده[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) لما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات، والكافرين المكذبين بالآيات، وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني، ويفضي إلى الأول من تنزيه الله ﷻ عن كل مالا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام، وتقديم الأول على الثاني؛ لما أن التخلية متقدمة على التحلية[٥].

٢) ولما خص الإمساء والإصباح، عمّ فقال معبرًا بما يدل على الدوام؛ لأن وقت النوم الدال على النقص أولى بإثبات الكمال فيه.

---

(١) **انظر**: جمهرة اللغة: لابن دريد (١/ ٢٧٧)، تحفة الأريب: لأبي حيّان (١٥٧).

(٢) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)، زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٩)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٠٧)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٦٠).

(٣) **انظر**: تهذيب اللغة: للأزهري (٤/ ٢٥١)، الصحاح: للجوهري (٢/ ٤٦٦)، التعريفات: للجرجاني (٩٣)، الفروق اللغوية: للعسكري (٥٠).

(٤) **انظر**: زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤١٩)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٠٧)، تفسير المراغي (٢١/ ٣٥).

(٥) إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٤).

٣) في الآيتين احتباك[١] حيث ذكر التسبيح أولاً دليلاً على إرادته ثانيًا، والحمد ثانياً دليلاً على إرادته أولاً[٢].

٤) وأضيف الحين إلى جملتي تمسون وتصبحون، وقدم فعل الإمساء على فعل الإصباح؛ إما لأن الاستعمال العربي يعتبرون فيه الليالي مبدأ عدد الأيام كثيرًا قال تعالى: ﴿ **سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ١٨]، وإما لأن الكلام لما وقع عقب ذكر الحشر وذكر قيام الساعة ناسب أن يكون الإمساء وهو آخر اليوم خاطراً في الذهن فقدم لهم ذكره[٣].

٥) وجملة ﴿ **وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ معترضة مسوقة للإرشاد إلى الحمد، والإيذان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح، والاعتناء بشأنه. وتفيد أن تسبيح المؤمنين لله ليس لمنفعة الله تعالى، بل لمنفعة المسبحين؛ لأن الله محمود في السماوات والأرض فهو غني عن حمدنا. وتقديم المجرور في وله الحمد لإفادة القصر الادعائي لجنس الحمد على الله تعالى؛ لأن حمده هو الحمد الكامل على نحو قولهم: فلان الشجاع[٤].

٦) وتغيير الأسلوب في ﴿ **عَشِيًّا** ﴾؛ وذلك لأنه ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرًا مصححًا لوصفهم بالخروج عما قبلها، والدخول فيها كالأوقات المذكورة فإن كلا منها وقت تتغير فيه الأحوال تغيرًا ظاهرًا أما في المساء والصباح فظاهر، وأما في الظهيرة؛ فلأنها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة[٥].

رابعًا: المعنى الإجمالي

هاتان الآيتان تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده، فقال: ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ** ﴾ والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء، والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات، وقت المساء، والصباح، وجوز بعض المفسرين أن يكون فسبحان هنا

---

(١) **الاحتباك:** هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله: عَلفتها تِبْنًا وماءً باردًا. أي: علفتها تِبْنًا، وسقيتها ماءً باردًا.[التعريفات: للجرجاني (١٢)].

(٢) **انظر:** نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٦١).

(٣) **انظر:** التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٦٦)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ٣٠).

(٤) **انظر:** فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٥٢)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٦٦)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٤).

(٥) **انظر:** إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٥).

مصدرًا واقعًا بدلًا عن فعل أمر بالتسبيح كأنه قيل: فسبحوا الله سبحاناً، وعليه يخرج قول ابن عباس أن المراد بها أوقات الصلوات[١]، ثم اعتراض بين الكلام بدؤوب الحمد على نعمه وآلائه؛ مناسبة للتسبيح وهو التحميد، فقال: ﴿ **وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ أي: هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض، وختم بوقت العشاء، والظُهر، فتكتمل كل الأوقات[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. «محبة الله تعالى لخَلْقه، حيث يدعوهم إليه في كل أوقات اليوم والليلة، في الصباح وفي المساء، في العشية والظهيرة»[٣].
٢. وجوب تنزيه الله تعالى عن جميع صفات النقص، ووصفه بجميع صفات الجمال، والجلال، والكمال، ووجوب حمد الله على آلائه وإنعامه.
٣. وجوب إقام الصلاة، وبيان أوقات الصلوات الخمس على رأي ابن عباس إن صح عنه[٤].
٤. فضل التسبيح والتحميد، وإشارة إلى أنْ يُتبَع التسبيح بالحمد فتقول: سبحان الله والحمد لله، أي: الحمد لله على أنني سبَّحت مسبَّحاً[٥].
٥. الأوقات التي أمرنا الله فيها بالتسبيح، أوقات عامة سارية في كَوْن الله لا تنقطع أبداً، وهذا يعني أن الله تعالى مُسَبَّح معبود في كل لحظة من لحظات الزمن[٦].

---

(١) يقول الطاهر بن عاشور–رحمه الله– ناقضاً لهذا القول: « فإذا صح ما روي عنه فتأويله: أن سبحان أمر بأن يقولوا: سبحان الله، وهو كناية عن الصلاة لأن الصلاة تشتمل على قول: سبحان ربي الأعلى وبحمده». ويقول أيضاً: « وليست الصلوات الخمس وأوقاتها هي المراد من الآية، ولكن نسجت على نسج صالح؛ لشموله الصلوات الخمس وأوقاتها، وذلك من إعجاز القرآن؛ لأن الصلاة وإن كان فيها تسبيح، ويطلق عليها السبحة فلا يطلق عليها: سبحان الله ».[**انظر**: التحرير والتنوير (٢١/ ٦٦)].

(٢) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ١٥)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٠٧)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩٤)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٦٥).

(٣) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٣٥).

(٤) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٩)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦٤–٦٥).

(٥) **انظر**: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٦٥)، الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٤١–١١٣٤٢).

(٦) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٤٢).

المطلب السادس

قدرة الله على إحياء الموتى والأرض

قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

بعد أن نزه الله ﷻ نفسه وأثنى عليها بما هو أهله، ذكر الله تعالى بعض مظاهر قدرته وعظمته الموجبة للتنزيه والتحميد، وأيضاً لما ذكر دلالة على البعث المستلزم للوحدانية مطلق التحويل الذي هو إحياء في المعنى بعد إماتة، أتبعه الإحياء والإماتة حقيقة، صاعداً من ذكر البعث تصريحاً بما كان ألقاه تلويحاً[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **الْحَيَّ** ﴾: نقيض الْمَيِّت، وضده، وَالْجمع أَحيَاء، وهُوَ الَّذِي يَصح أَن يعلم وَيقدر[٢].

﴿ **الْمَيِّتِ** ﴾: جمعها أموات، وموتى، وهي صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة[٣].

ثالثًا: اللطائف

الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ** ﴾ حيث استعار الحي للمؤمن، والميت للكافر[٤]، على حد من قال بأن الأسلوب فيها مجازًا، وقد حملت على الحقيقة عند أكثر العلماء.

---

(١) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦٤)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٦٣).

(٢) **انظر**: الصحاح: للجوهري (٦/ ٢٣٢٣)، المحكم والمحيط: لابن سيده(٣/ ٣٩٥)، التعريفات: للجرجاني (٩٤)، الكليات: للكفوي (٤٠٧).

(٣) **انظر**: التعريفات: للجرجاني (٢٣٥)، المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (٢/ ٨٩١).

(٤) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٦١)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٦).

رابعًا: القراءات

❖ ﴿ **الْمَيِّتِ** ﴾

قرأها ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة بالتخفيف ﴿ **الْمَيْتِ** ﴾، والتعبير بقراءة التخفيف يدل على تحقق صفة الموت، وقرأ الباقون بالتشديد ﴿ **الْمَيِّتِ** ﴾، واتفقوا على أنها في من لم يمت نحو ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٠]؛ لأنه لم يتحقق فيه صفة الموت بعد(١).

❖ ﴿ **وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾

قرأ حمزة، والكسائي، وابن ذكوان، وخلف العاشر بفتح التاء، وضم الراء ﴿ **تَخْرُجُونَ** ﴾، **حجتهم:** جعلا الفعل لهم؛ لأن الله تعالى إذا أخرجهم خرجوا، كقوله: ﴿ **يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ** ﴾ [القمر: ٧]. وقرأ الباقون التاء بالرفع ﴿ **تُخْرَجُونَ** ﴾، **حجتهم:** قوله تعالى: ﴿ **نُخْرِجُ الْمَوْتَى** ﴾ [الأعراف: ٥٧] (٢).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله ﷻ عن كمال قدرته بأنه: ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾ أي: يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة، والنطفة من الحي، ويخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقال بعضهم: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، ﴿ **وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ أي: يحييها بالمطر فيخرج النبات منها بعدما كانت يابسة ميتة. ﴿ **وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ أي: ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور، وتبعثون أحياء بعدما كنتم ميتين(٣).

---

(١) **انظر:** النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٢٤- ٢٢٥).

(٢) **انظر:** النشر: لابن الجزري (٢/٢٦٧ -٢٦٨)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٧)، الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٤٥).

(٣) **انظر:** مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٩)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٢)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٦).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. الاستدلال على مشروعية القياس وصحته، وجه القياس في الآية هو قياس المعاد على الخلق الأول والإيجاد، فالإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحيّ وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة الحي[١].

٢. فائدة أسلوب التمثيل والتشبيه في تقريب إمكانية البعث من العقول والأفهام[٢].

٣. كمال قدرة الله ﷻ وقوته بخلق الشيء وضده، كخلق الحياة والموت.

٤. وجوب الإيمان الجازم بالموت، وبالبعث بعد الموت؛ فإنه من لوازم الإيمان باليوم الأخر.

---

(١) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٢)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٧).

(٢) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٥).

المبحث الثالث

آيات ودلائل على عظمة الله وقدرته

ويشتمل على سبعة مطالب

المطلب الأول: خلق الإنسان آية من آيات الله

المطلب الثاني: دلالة خلق الكون واختلاف الأنفس

المطلب الثالث: دلالة التدبير والتصرف في الكون

المطلب الرابع: دلالة خضوع الكون لإرادة الله، وقدرته على البعث

المطلب الخامس: ضرب المثل لتقرير الوحدانية

المطلب السادس: دلالة الفطرة

المطلب السابع: مظاهر افتراق المشركين في دينهم

المطلب الأول

خلق الإنسان آية من آيات الله

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢٠، ٢١]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما أمر الله تعالى بالتسبيح عن الشركاء وذكر أن الحمد له على خلق جميع الأشياء وبين قدرته على الإماتة والإحياء، أراد سبحانه إثبات قدرته لمن تعجب وأنكر من الكفار بذكر ما هو حجة ظاهرة وآية باهرة على ذلك، وهي خلق الإنسان من تراب، وهذا يزيد على البعث في الإعجاب بأنه لم يكن له أصل في الحياة، ولما بين الله خلق الإنسان بين أنه لما خلق الإنسان، ولم يكن من الأشياء التي تبقى، وتدوم سنين متطاولة أبقى نوعه بالأشخاص، وجعله بحيث يتوالد، فإذا مات الأب يقوم الابن مقامه لئلا تتوقف حركة الحياة[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مِنْ آيَاتِهِ** ﴾: ((من الأدلة الدالة على وحدانية الله وقدرته))[٢].

﴿ **بَشَرٌ** ﴾: ((البَشَر: الإنسانُ الواحد رجلاً كان أو امرأة هو بَشَرٌ، وهي بشر، وهما بشر، وهم بَشَرٌ، لا يُثَنَّى ولا يُجمع))[٣].

﴿ **تَنْتَشِرُونَ** ﴾: من انتشرَ ينتشر، انتشارًا، فهو مُنتشِر، والانتشار: من الظهور والتفرق على الأرض[٤].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٨٩-٩١)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٦٥).

(٢) التفسير المنهجي: لصلاح الخالدي وآخرون (٧/٢/٧١).

(٣) العين: للفراهيدي (٦/ ٢٥٩).

(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٧٠)، معجم اللغة: لأحمد مختار (٣/ ٢٢١١).

﴿ **أَزْوَاجًا** ﴾: والزوج: ((هو الذي به يصير للواحد ثان فيطلق على امرأة الرجل ورجل المرأة فجعل الله لكل فرد زوجه))[١].

﴿ **لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾: لتميلوا إليها وتألفوها[٢].

﴿ **مَوَدَّةً** ﴾: الودّ: ((محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ))[٣].

﴿ **رَحْمَةً** ﴾: الرقة، والتعطف، والشفقة[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) وقوع إذا الفجائية – التي أكثر ما تقع بعد الفاء– بعد ثم التي تفيد التراخي؛ إنما لمناسبة السياق، والحالة، وهي أطوار الإنسان كما حكاه الله في مواضع، من كونه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً مكسواً لحماً، فاجأ بالبشرية والانتشار[٥].
٢) ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾، لأن التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها، ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها.
٣) التعبير عن الأنس وفرح النفس بقوله: ﴿ **لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾؛ لأنه بالسكون يزول اضطراب الوحشة والكمد، الذي هو زوال اضطراب الجسم[٦].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يذكر لنا الله سبحانه دليلاً من دلائل وحدانيته حيث يقول: ((﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ** ﴾ أي: في أصل الإنشاء؛ لأنه خلق أصلهم منه. ﴿ **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ﴾ ثم فاجأتم

---

(١) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٧١).
(٢) أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٤)، التفسير المنهجي: للخالدي (٧/٢/٧١).
(٣) المفردات: للراغب (٨٦٠).
(٤) **انظر**: المحكم: لابن سيده (٣/ ٣٣٦)، مختار الصحاح: للرازي (١٢٠)، تفسير القرآن: لابن عبد السلام (٢/ ٥٢٤).
(٥) **انظر**: فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٥٣).
(٦) **انظر**: التحرير والتنوير (٢١/ ٧١-٧٢).

وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض. ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وسائر النساء خلقن من نطف الرجال، أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر. ﴿ **لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾ لتميلوا إليها، وتألفوا بها فإن الجنسية علة للضم، والاختلاف سبب للتنافر. ﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ أي: بين الرجال والنساء، أو بين أفراد الجنس. ﴿ **مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ بواسطة الزواج حال الشبق[(١)] وغيرها، بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعاش، أو بأن تعيش الإنسان متوقف على التعارف، والتعاون المحوج إلى التواد والتراحم، وقيل: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد كقوله تعالى: ﴿ **وَرَحْمَةً مِنَّا** ﴾ [مريم: ٢١]. ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ فيعلمون ما في ذلك من الحكم" [(٢)].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. خلق الإنسان من العدم من أصل ترابي، وانتشارهم في أنحاء الأرض بسرعة عجيبة، من العلامات التي تدل على أن الله واحد لا مثيل له ظهور القدرة التي يعجز عنها المخلوقون[(٣)].
٢. جعل الزواج سبباً من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة. فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة[(٤)].
٣. جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل التزاوج أنساً بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً[(٥)].
٤. جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وعليه لا يجوز تزوج الآدمي بغير الآدمية كالجنية، إذ لا يحصل الأنس إلا بالجنس الواحد المتشابه[(٦)].

---

(١) **الشَّبَقُ**: شدة الغلمة، والشهوَة يقالُ: رجلٌ شَبِقٌ وامرأةٌ شَبِقةٌ. **[انظر**: العين: للفراهيدي (٥/ ٤٦)، تهذيب اللغة: للأزهري (٨/ ٢٦٤)].

(٢) أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٤).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨١)، التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٣٧).

(٤) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٩).

(٥) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٧١).

(٦) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٦٨).

٥. الآية تومئ إلى أن أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة؛ وذلك أن الختانين إذا التقيا هيجا ماء الصلب فإذا نزل حصل السكون ووقف الهيجان كما هو معروف[١].

٦. الاختلاف في النوع اختلاف تكامل، لا اختلاف تعاند وتصادم، فالمرأة خلقت للرقة والليونة والحنان، والرجل للقوة والخشونة، فهي تفرح بقوته ورجولته، وهو يفرح بنعومتها وأنوثتها، فيحدث التكامل الذي أراده الله وقصده للتكاثر في بني الإنسان[٢].

المطلب الثاني

دلالة خلق الكون واختلاف الأنفس

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٢، ٢٣]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله سبحانه دلائل الأنفس، أردف بذكر دلائل الآفاق، وأظهرها خلق السموات والأرض، ولما كان من الناس من ينسب الخلق إلى الطبيعة، قال تعالى ذاكراً من صفات الأنفس ما يبطل تأثير الآفاق بأنفسها من غير خلقه وتقديره، ثم لما ذكر بعض العرضيات اللازمة، وهما اختلاف الألسن والألوان ذكر الأعراض المفارقة، ومن جملتها النوم بالليل والحركة طلبا للرزق بالنهار[٣].

---

(١) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ١٧).

(٢) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٥٦)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٦).

(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/٩٢-٩٣)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٦٩).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ** ﴾: منطق ونغمة ألسنتكم، ولغاتها[١].

﴿ **وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾: من مادة لون، واللَّوْنُ: معروفٌ أي: أحمر، وأبيض، وأسود، وأسمر ، وجَمعُه: ألوانٌ، والفِعل: التّلوين والتَّلَوُّن[٢].

﴿ **لِلْعَالِمِينَ** ﴾: الإنس والجن، وبالكسر العلماء، وفي الكليات: أَصْنَاف الْخلق كل صنف مِنْهُم عَالم[٣].

﴿ **ابْتِغَاؤُكُمْ** ﴾: أي: تصرفكم في طلب المعاش، وطلبكم[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) اللفّ والترتيب[٥] في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾، إلا أنه فصل بين القرينين الأوّلين بالقرينين الآخرين؛ لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللفّ على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما، والظاهر هو الأول لتكرّره في القرآن[٦].

٢) أخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفعل، إشارة إلى أن العبد ينبغي أن لا يرى الرزق من كسبه وبحذقه، بل يرى كل ذلك من فضل ربه.

٣) قدم المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر؛ لأن الاستراحة مطلوبة لذاتها، والطلب لا يكون إلا لحاجة، فلا يتعب إلا محتاج في الحال أو خائف من المآل[٧].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٨٧)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٠٦).

(٢) **انظر**: العين: للفراهيدي (٨/ ٣٣٢)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٩).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٣)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٠٦)، الكليات: للكفوي (٦٥٨).

(٤) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧٥)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٩).

(٥) **اللف والنشر**: هُوَ من المحسنات المعنوية، وَهُوَ ذكر مُتَعَدد على التَّفْصِيل أَو الْإِجْمَال ثمَّ ذكر مَا لكل من غير تعْيين ثِقَة بِأَن السَّامع يردهُ إِلَيْهِ نَحْو قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [القصص: ٧٣]. [الكليات (ص: ٧٩٨)].

(٦) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٣).

(٧) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٣).

رابعًا: القراءات

واختلفوا في: ﴿ **لِلْعَالِمِينَ** ﴾، فروى حفص بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها ﴿ **لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1].

- ❖ **فحجة من قرأ بالكسر**: جمع عالِم؛ لأن العالِم بالشيء يكون أحسن اعتقادًا من الجاهل كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وحجته ما تقدم وما تأخر، فأما ما تقدم فقوله: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾، وأما ما تأخر فقوله:﴿ **لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾.
- ❖ **وحجة من قرأ بالفتح**: أنه جعله جمع **(عالَم)** والعالَم يحتوي على كل المخلوقات من إنس، وجانّ، وجماد، وحيوان[2].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبرنا الله سبحانه عن دلائل وحدانيته في الآفاق حيث يقول في كتابه: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ** ﴾ أي: اللغات أو أجناس النطق وأشكاله، ﴿**وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ كالسواد والبياض وغيرهما، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت المصالح، ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ** ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿**لِلْعَالِمِينَ**﴾ بفتح اللام وكسرها، أي: ذوي العقول، وأولي العلم، ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ أي: ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار، وهذا ضد النوم، ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** ﴾ أي: يعون، سماع تدبر واعتبار[3].

---

(١) **انظر**: النشر: لابن الجَزَرِي (٢/ ٣٤٤).

(٢) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٨)، الحجة في القراءات: لابن خالويه (٢٨٢).

(٣) **انظر**: مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩٦)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣١٠)، تفسير الجلالين: للمحلي، وللسيوطي (٥٣٣).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. اختلاف الأجواء على سطح الأرض واختلاف البيئات ذلك الاختلاف الناشئ من طبيعة وضع الأرض الفلكي، ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان. مع اتحاد الأصل والنشأة في بني الإنسان.
٢. خلق الله البشر متناسقين مع الكون الذي يعيشون فيه، وجعل حاجتهم إلى النشاط والعمل، يلبيها الضوء والنهار وحاجتهم إلى النوم والراحة يلبيها الليل والظلام[١].
٣. ذكر الله الأدلة العقلية؛ لينبه العقول إليها، وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها.
٤. كمال قدرة الله ﷻ ، ونفوذ مشيئته، باختلاف الألسن والألوان مع اتحاد الأصل.
٥. ومن عناية الله بعباده ورحمته بهم، أن قدر ذلك الاختلاف؛ لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد والمطالب[٢].
٦. ((اختلاف لغات البشر آية عظيمة، فهم مع اتحادهم في النوع كان اختلاف لغاتهم آية دالة على ما كونه الله في غريزة البشر من اختلاف التفكير، وتنويع التصرف في وضع اللغات، وتبدل كيفياتها باللهجات والتخفيف والحذف والزيادة بحيث تتغير الأصول المتحدة إلى لغات كثيرة))[٣].
٧. ((تقرير أن الذين ينتفعون بأسماعهم وعقولهم هم أهل حياة الإيمان إذ الإيمان روح متى دخلت جسماً حيي وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويفكر ويعقل))[٤].

---

(١) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٦٤).
(٢) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٣٩).
(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٧٣).
(٤) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٢).

المطلب الثالث

دلالة التدبير والتصرف في الكون

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٤، ٢٥]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر الله ما يعرض للأنفس من الأوصاف اللازمة والمفارقة، ذكر ما يعرض للأكوان والآفاق التي يشاهدها الجميع في كل الأوقات، ثم لما ذكر من العوارض التي للسماء والأرض بعضها، ذكر من لوازمها البعض وهي قيامها، فإن الأرض لثقلها يتعجب الإنسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السماء يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد، وهذا من اللوازم، فإن الأرض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه والسماء كذلك لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **الْبَرْقَ** ﴾: ((البرق نور وضياء يصحبان ويحثان السَّحَاب))[٢]، وبعبارة العصر الحديث هو: ((الشرارة الكهربائية التي تظهر في الجو وخاصة عند السحب، وينشأ عنها الرعد))[٣].

﴿ **السَّمَاءِ** ﴾: من السمو، سما الشيء يَسْمُو سُمُوّاً، أي: ارتفع، ويطلق لفظ السماء على مَا يُقَابل الأَرْض والفلك من البناء المتماسك وَمن كل شَيْء أَعْلَاهُ وكل مَا علاك فأظلك[٤].

﴿ **خَوْفًا** ﴾: ((الخوف خلاف الأمن، والأمن سكون النفس، والخوف انزعاجها وقلقها))[٥].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٣-٩٤-٩٥)، تفسير المراغي (٢١/ ٣٩).

(٢) غريب القرآن: للسجستاني (٢٣٨).

(٣) التفسير الواضح: للخطيب (٣/ ٢١).

(٤) **انظر**: العين: الفراهيدي (٧/ ٣١٨)، المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (١/ ٤٥٢).

(٥) الوجوه والنظائر: لأبي هلال العسكري (٢٠٣).

﴿ **طَمَعًا** ﴾: الطمع هو: ((توطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفوت))[1].

﴿ **أَنْ تَقُومَ** ﴾: **فيه وجهان:** أحدهما: أن تكون. الثاني: أن تثبت[2]، فمعنى القيام هنا: البقاء الكامل الذي يشبه بقاء القائم غير المضطجع وغير القاعد[3].

﴿ **بِأَمْرِهِ** ﴾: بتدبيره، وحكمته، وإذنه، وقدرته، أو بإرادته أن تقوم بغير عمد، والمعنى واحد، والأمر المضاف إلى الله هو أمره التكويني، وهو مجموع ما وضعه الله من نظام العالم العلوي والسفلي، ذلك النظام الحارس لهما من تطرق الاختلال بإيجاد ذلك النظام[4].

﴿ **دَعْوَةً** ﴾: أي: دعوة واحدة لا تتكرر وهي دعوة إسرافيل، أي: نفخته بالبوق[5].

ثالثًا: اللطائف

١) لما قدم دلائل الأنفس هاهنا قدم ما يعرض لها من الأوصاف اللازمة والمفارقة، وأخر الأوصاف التي للآفاق كما أخر دلائل الآفاق.
٢) قدم لوازم الأنفس على العوارض المفارقة حيث ذكر أولاً اختلاف الألسنة والألوان ثم المنام والابتغاء، وقدم في الآفاق العوارض المفارقة على اللوازم حيث قال: ﴿ **يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ** ... ﴾؛ وذلك لأن الإنسان متغير الحال والعوارض له غير بعيدة، وأما اللوازم فيه فقريبة. وأما السموات والأرض فقليلة التغير فالعوارض فيها أغرب من اللوازم، فقدم ما هو أعجب لكونه أدخل في كونه آية.
٣) كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء.
٤) قال هاهنا: ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾؛ لما كان حدوث الولد من الوالد أمرًا عاديًا مطردًا قليل الاختلاف كان يتطرق إلى الأوهام العامية أن ذلك بالطبيعة؛ لأن المطرد أقرب إلى الطبيعة

---

(١) الوجوه والنظائر: لأبي هلال العسكري (٢٣١).
(٢) النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٠٨).
(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٠).
(٤) **انظر**: تفسير القرطبي (١٤/ ١٩)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٩)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٠).
(٥) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٠٦)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٠).

من المختلف، لكون البرق والمطر ليس أمرًا مطردًا غير متخلف، إذ يقع ببلدة دون بلدة، وفي وقت دون وقت، وتارة تكون قوية، وتارة تكون ضعيفة فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال: هو آية لمن له عقل إن لم يتفكر تفكرًا تامًا[١].

٥) ومن الحكم الإلهية في كون البرق مرئيًا أن ذلك يثير في النفوس خوفًا من أن يكون الله سلطه عقابًا، وطمعًا في أن يكون أراد به خيرًا للناس فيطمعون في نزول المطر، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** ﴾ فإن نزول المطر مما يخطر بالبال عند ذكر البرق.

٦) ومن بديع الاستعمال تفنن هذه الآيات في التعبير عن معاني المصدر بأنواع صيغه الواردة في الاستعمال[٢].

٧) وجعلت الآية الرابعة والعشرين آيات؛ لانطوائها على دقائق عظيمة في خلق القوى التي هي أسباب البرق ونزول المطر وخروج النبات من الأرض بعد جفافها وموتها[٣].

٨) عبر بالطمع في الآية؛ لعدم الأسباب الموصلة إليه[٤].

٩) قال في الآية الخامسة والعشرين ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ** ﴾، وقال في التي قبلها: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ** ﴾ ولم يقل "**أَنْ يُرِيكُمُ**"، وإن قال بعض المفسرين إنَّ (أَنْ) مضمرة هناك معناه من آياته أن يريكم ليصير كالمصدر بأن، وذلك لأن القيام لما كان غير متغير أخرج الفعل بأن عن الفعل المستقبل وجعله مصدرًا، لأن المستقبل ينبئ عن التجدد، وفي البرق لما كان ذلك من الأمور التي تتجدد في زمان دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه شيئًا من الحروف المصدرية.

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٣-٩٤).

(٢) **من معاني المصدر الواردة:** التعبير بصيغة صريح المصدر تارة كقوله: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الروم: ٢٢]، وقوله: ﴿ **وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [الروم: ٢٣]، وبالمصدر الذي ينسبك من اقتران أن المصدرية بالفعل الماضي ﴿ **أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ [الروم: ٢١]، واقترانها بالفعل المضارع ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ** ﴾ [الروم: ٢٥]، وباسم المصدر تارة ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ [الروم: ٢٣]، ومرة بالفعل المجرد المؤول بالمصدر ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ** ﴾ [الروم: ٢٤].[**انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/٧٨-٧٩)].

(٣) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٧٨-٧٩).

(٤) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٧٣).

١٠) قال هاهنا: ﴿ **إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ** ﴾، وقال في خلق الإنسان أولاً: ﴿ **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ﴾ [الروم: ٢٠]، فهناك يكون خلق، وتقدير، وتدريج، وتراخ حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر، وأما في الإعادة لا يكون تدريج وتراخ، بل يكون نداء وخروج، فلم يقل هاهنا (ثم) [١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخاطبنا الله سبحانه ويبين لنا أن من آياته أنه ينزل على الناس الغيث الذي تحيا به البلاد والعباد، ويريكم قبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق ﴿ **خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ أي: الذي يُخَاف ويُطْمَع فيه. ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ** ﴾ دالة على عموم إحسانه، وسعة علمه، وكمال إتقانه، وعظيم حكمته، وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها. ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه، وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلاً عليه. ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ** ﴾ أي: ومن آياته العظيمة أنْ قامت السماوات والأرض، واستقرتا، وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا، ولم تسقط السماء على الأرض، ﴿ **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ** ﴾ فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بذكر الأدلة والبراهين العقلية[٣].
٢. الذي ينتفع بالآيات هم أصحاب صفة العقل؛ لأن العقل المستقيم غير المشوب بعاهة العناد، والمكابرة كاف في فهم ما في تلك المذكورات من الدلائل والحكم على نحو ما قرر في نظائره آنفا[٤].
٣. أصحاب العقول السليمة يستعملون عقولهم في الخير لا في الشر، وفي الحق لا في الباطل، وفي استنباط المعاني الدالة على كمال قدرة الله- تعالى- ورحمته[٥].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٥-٩٦).
(٢) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٠).
(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٠).
(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٧٩/٢١).
(٥) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٨).

٤. ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطرًا فيحيي به الأرض بعد جدبها وجفافها، إن في هذا لدليلا على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل مَن لديه عقل يهتدي به.

٥. ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتهما بأمره، فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين[١].

المطلب الرابع

دلالة خضوع الكون لإرادة الله، وقدرته على البعث

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٦، ٢٧]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله الآيات التي كان مدلولها القدرة على الحشر، والآيات الدالة على الوحدانية له سبحانه، أعقب ذلك بهاتين الآيتين وجعلهما كالنتيجة لما سلف[٢].

ثانيًا: معاني المفردات:

﴿ **قَانِتُونَ** ﴾: وظاهر معنى القنوت امتثال الأمر، **فقانتون:** أي: مطيعون، خاضعون، مقرّون بالعبوديّة[٣].

﴿ **أَهْوَنُ** ﴾: أيسر، وأسهل[٤].

---

(١) التفسير الميسر: لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) **انظر:** مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٦)، تفسير المراغي (٢١/ ٤١).

(٣) **انظر:** مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢١)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩١)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٩)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٢).

(٤) **انظر:** النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٠٩).

﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾: أي: الصفة العليا، بأنه لا إله إلا هو ولا معبود غيره، وليس كمثله شيء[١].

﴿ **الْعَزِيزُ** ﴾: أي: القاهر لكل مقدور ولا يقهر، والمنيع الَّذِي لَا يغلب[٢].

﴿ **الْحَكِيمُ** ﴾: وتسمية الله بأنه حكيم **على وجهين:**

أحدهما: يستحقه لذاته، وهو أنه عالم.

والآخر: يستحقه لفعله، وهو أن أفعاله محكمة، فهو الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء[٣].

ثالثًا: اللطائف

١) تخصيص العاقل بالقنوت بهذه الآية دون غيره من الكائنات مع كونها مسبحة لله خاضعة له؛ وذلك لأن التمرد على الله سبحانه وأحكامه لا يأتي إلا من ناحية العقل؛ لذلك بدأ الله به، بخلاف الجمادات التي لا تعقل ونحوها، فأمرهم يسير حيث لا يتأبَّى منهم شيء على الله[٤].

٢) جمع الله سبحانه كل المخلوقات في صفة القنوت له فقال: ﴿ **كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴾، مع كون المشاهد غير ذلك؛ وسبب هذا لأنهم لما تمرَّدوا على الله وكفروا به لم يتمردوا بذواتهم، بل بما خلق الله فيهم من إرادة الإختيار ليمتحنهم، فمنهم من سلك طريق الخير وبإمكانه المعصية، ومنهم من سلك طريق الشر وبإمكانه الطاعة، ولو أرادهم سبحانه مقهورين ما شذَّ واحد منهم عن مراد ربه، ولكنه يريد لعبده أنْ يأتيه طواعية مختاراً [٥].

٣) الضمير في قوله: ﴿ **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ للإعادة المفهومة من قوله: ﴿ **ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾، والتذكير للضمير باعتبار المعنى، أي: والعود أو الرد، أو الإرجاع أهون عليه[٦].

---

(١) **انظر:** تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٠)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٠)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٠).

(٢) **انظر:** مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٦٩٨)، نزهة الأعين: لابن الجوزي (٤٣٥)، المفردات: للراغب (٥٦٣).

(٣) **انظر:** الوجوه والنظائر: لأبي هلال العسكري (١٨٠)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٩٥).

(٤) **انظر:** الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٨٣).

(٥) **انظر:** المصدر السابق (١٨/ ١١٣٨٤).

(٦) **انظر:** الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٦)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٩).

٤) لم أخرت الصلة في قوله: ﴿ **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ وقدّمت في قوله: ﴿ **هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾ ؟ لقصد الاختصاص قيل: ﴿ **هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾ ، وأما هاهنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى.

٥) استعظمت الإعادة في قوله: ﴿ **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ** ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السماوات والأرض بأمره، ثم هوّنت بعد ذلك؛ لأن الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هوّنت بالقياس إلى الإنشاء. وقيل الضمير في عليه للخلق. ومعناه: أنّ البعث أهون على الخلق من الإنشاء؛ لأن تكوينه في حدّ الاستحكام، والتمام أهون عليه وأقل تعبًا وكبدًا، من أن يتنقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحدّ[(١)].

٦) بدء الخلق وإعادته قد ضربه الله ﷻ مثلًا فيما يصعب ويسهل. وهذه السهولة على طريقة التمثيل والتقريب، بما هو معروف عند الناس من أن إعادة الشيء من مادته الأولى أسهل من ابتدائه[(٢)].

٧) الاستدلال بالشاهد على الغائب، حيث جعل الله ﷻ ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته[(٣)].

٨) قال تعالى هنا ﴿ **وَهُوَ الذي يَبْدَؤُاْ الخلق ...** ﴾، بالفعل المضارع الدالّ على الاستمرارية، مع أنه سبحانه بدأ الخَلْق بالفعل ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٩] فإنْ ذكرت الأولى فقد بدأ الخَلْق، وإن ذكرت الاستمرارية في الإيجاد فهو يبدأ دائماً، وفي كل وقت ترى في خَلْق الله شيئاً جديداً، فالخَلْق لم يأتِ مرة واحدة، ثم توقف، بل بدأ ثم استمر[(٤)].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يبين الله جل وعلا أن له كل من في السماوات والأرض من الملائكة، والإنس، والجن ملكاً، وخلقاً، وتصرفاً لا يشاركه فيها أحد، وأن جميع الخلق قانتون خاشعون خاضعون منقادون

---

(١) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٦- ٤٧٧).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٤)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٧٩).

(٣) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ٢٠).

(٤) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٨٧).

لأمره تعالى، فهو تعالى يُنشئ الخلق من العدم، ثم يعيدهم بعد موتهم للحساب والجزاء، وأن إعادة الخلق أمر يسير هين عليه من بدئه، فقد قال المفسرون: خاطب تعالى العباد بما يعقلون، فإذا كانت الإعادة أسهل من الابتداء في تقديركم وحكمكم، فإن من قدر على الإنشاء كان البعث أهون عليه حسب منطقكم وأصولكم. ومن ثم ينزه نفسه فيقول: ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾ أي: له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه من الجلال والكمال، والعظمة والسلطان ﴿ **فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ أي: يصفه به من فيهما وهو أنه الذي ليس كمثله شيء ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ أي: القاهر لكل شيء الحكيم الذي كل أفعاله على مقتضى الحكمة والمصلحة(١).

خامساً: المقاصد والأهداف

١. ((تقرير عقيدة البعث والتوحيد بذكر الأدلة وضرب الأمثال وتفصيل الآيات.
٢. تفرّد الرب تعالى بالمثل الأعلى في كل جلال وكمال))(٢).
٣. ((الله تعالى لا يقال في حقه هذا سهل وهذا أسهل، ولا هيِّن وأهون؛ لأنه سبحانه لا يزاول الأشياء كما نزاولها نحن، ولا يعالج الأفعال، إنما يفعل سبحانه بكُنْ فيكون))(٣)، فكل شيء عنده من ناحية اليسر عليه في حيز واحد وحال متماثلة، ولكنه سبحانه يخاطب الناس في القرآن بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون علينا من البداءة(٤).
٤. خضوع الكون كله لإرادة الله ﷻ، وقدرته مؤمنهم وكافرهم مع اختلاف أحوالهم، ((فالمؤمن خاضع لله في منطقة الاختيار، وهي الإيمان والتكاليف، وخاضع لله فيما لا اختيار له فيه كالقضاء والأمور الاضطرارية، فهو يستقبلها عن رضا، أما الكافر فهو خاضع لله لا يستطيع الفكاك عن قضائه ولا عن قدره رغماً عنه في الأمور التي لا اختيارَ له فيها، لكنه يستقبلها بالسُّخْط وعدم الرضا، فهو كافر بالله كاره لقضائه))(٥).
٥. إثبات العزة والحكمة لله في جميع أفعاله وتصرفاته.

---

(١) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٣٨- ٤٣٩).
(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٥).
(٣) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٨٩).
(٤) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٣٥).
(٥) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٨٥).

المطلب الخامس

ضرب المثل لتقرير الوحدانية

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله ﷻ الإعادة والقدرة عليها، فأقام عليها الأدلة الدامغة وضرب لها الأمثال، أعقب ببيان الوحدانية أيضًا بضرب المثل بعد إقامة الدليل عليها(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مَثَلًا** ﴾: المَثَلُ: الشيءُ يُضرَبُ للشيء فيُجْعَل مِثْلَه، وعَن الفرّاء: « يُقَال: مَثَلٌ ومِثْل، وشَبَه وشِبه، بِمَعْنى وَاحِد »، فشِبْهُ الشيءِ في المِثال والقَدْر ونحوِه حتى في المعنى. ويقال: ما لهذا مَثيلٌ(٢).

﴿ **مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾: ((من العبيد والإماء))(٣).

﴿ **نُفَصِّلُ الْآيَاتِ** ﴾: أي: ((نبينها ونوضحها))(٤).

﴿ **أَهْوَاءَهُمْ** ﴾: الْأَهْوَاء جمع الْهوى، والهوى مَا يهواه الْإِنْسَان، محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه مع الْميل اليه بِمَا لَا يَنْبَغِي(٥).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٧)، تفسير المراغي (٢١/ ٤٣).

(٢) **انظر**: تهذيب اللغة: للأزهري (١٥/ ٧٠)، العين: للفراهيدي (٨/ ٢٢٨).

(٣) إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٩)، الوجيز للواحدي (٨٤١).

(٤) إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٥٩).

(٥) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٠٨)، الزاهر: للأنباري (٢/ ٣٨٨)، الفروق اللغوية: للعسكري (١٢٤).

ثالثًا: اللطائف

١) ((نفى جميع وجوه حسن العبادة عن الغير؛ لأن الأغيار إذا لم يصلحوا للشركة فليس لهم مُلك ولا مِلك، فلا عظمة لهم حتى يعبدوا لعظمتهم، ولا يرتجى منهم منفعة لعدم ملكهم حتى يعبدوا لنفع وليس لهم قوة وقدرة؛ لأنهم عبيد والعبد المملوك لا يقدر على شيء))[١].

٢) لم يناقش الله ﷻ المشركين في مسألة الشركاء بأسلوب الخبر منه سبحانه، إنما اختار أسلوب الاستفهام؛ لأنه أبلغ في تقرير الحقيقة: ﴿ **هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ ...** ﴾[٢].

٣) ﴿ **فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ** ﴾ استفهام الغرض منه الإنكار، ومناط الإنكار قوله: ﴿ **فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ...**﴾، أي: من شركاء لهم هذا الشأن[٣].

٤) ﴿ **مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ مِنْ هنا للتبعيض، و مِنْ في قوله: ﴿ **مِنْ شُرَكَاءَ** ﴾ جاءت مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري[٤].

٥) أدخل علي الهيئة المشبه بها استفهام الإنكار والجحود؛ لينتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة بطريق التصوير والتشكيل إبرازًا لذلك المعنى الاعتقادي الباطل في الصورة المحسوسة المشوهة الباطلة[٥].

٦) تقييد اتباع الهوى بأنه بغير علم في قوله: ﴿ **أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ تشنيع لهذا الاتباع فإنه اتباع شهوة مع جهالة.

٧) إسناد الإضلال إلى الله في قوله: ﴿ **فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ** ﴾ إسناد لتكوينه على ذلك لا للأمر به[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٩٨).

(٢) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٣٩٨).

(٣) **انظر**: فتح البيان: لصديق حسن خان (١٠/ ٢٤٣)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ٣٨) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٥).

(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٥).

(٥) **انظر**: المصدر السابق (٢١/ ٨٦).

(٦) **انظر**: المصدر السابق (٢١/ ٨٨).

رابعًا: المعنى الإجمالي

ضرب الله سبحانه للكفار ﴿ **مَّثَلاً** ﴾ من نفوسهم ومن جنسهم آدَمِيًّا مثلهُمْ لا يحتاج إلى حل وترحال؛ ليقررهم بتوحيده وإفراده بالعبادة، ولبيان قبح الشرك فقال: ﴿ **هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ من عبيدكم وَإِمَائِكُمْ الأرقاء ﴿ **مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ فهل يشاركونكم فيما رزقناكم من المَال والأهل وَالْولد فتصبحوا معهم سواء بسواء فلا تخافوهم﴿ **كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ كالأحرار الشركاء في الحقيقة، فإذا كنتم لا ترضونه لأنفسكم، فلما ترضونه لله سبحانه وتعالى المنزه عن الند والشريك وتشركون معه عَبِيدِه فِي ملكه، وَلَا تشركون عبيدكم فِيمَا رزقناكم، ثم بين الله أنه يوجه الخطاب لأهل العقول والألباب فهم الذين يساق إليهم الكلام، وهم من يصدق بأمثال الْقُرْآن فقال سبحانه: ﴿ **كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾، أما الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وفسدت عقولهم وفطرهم واتبعوا ﴿ **أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ علم** ﴾ وَلَا هدىً ولا برهان يقودهم لله سبحانه ﴿ **فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ الله** ﴾ فلا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم عن دينه وشرعه بظلمهم أنفسهم، ثم ختمت الآية ببيان أنه لا طريق لهداية من أضل الله فقال: ﴿ **وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾؛ لأنه ليس أحد معارضا لله أو منازعا له في ملكه [١].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. من أساليب إثبات الوحدانية، والبعث، ضرب الأمثال؛ وذلك لتقريبها للأفهام بحيث يفهمها الجميع العالم والجاهل، الكبير والصغير، وأيضاً لإبطال الشرك بأبلغ أسلوب، وأوضح بيان، وأصدق حجة، وأقوى دليل[٢].

٢. ((ما قيل في الشرك الجلي يجري مثله في الشرك الخفي فإن الحق تعالى غيور، لا يُحب العمل المشترك، ولا القلب المشترك. العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبل عليه))[٣].

٣. القوم العقلاء هم الذين ينتفعون بالآيات التنزيلية، والتكوينية باستعمال عقولهم، في تدبرها والتفكر فيها، وعليه فإن الذين يتخذون مع الله شركاء غير عاقلين[٤].

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٠).

(٢) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٨٥)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٨٢) .

(٣) البحر المديد: لابن عجيبة (٤/ ٣٣٨).

(٤) **انظر**: فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٥٨)، الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٤٠٥).

٤. تناقض الكفار في دعوى الشرك المتهافتة، يكشف عن العلة الأصيلة في هذا التناقض المريب، إنه الهوى الذي لا يستند على عقل أو تفكير[١].

٥. إن المشركين الذين أضلهم الله بظلمهم لأنفسهم بالشرك والكفر، لا أحد يقدر على هدايتهم؛ لأن الرشاد والهداية بتقدير الله، ولأنه ليس أحد معارضاً لله أو منازعاً له في ملكه[٢].

٦. مراعاة حال المخاطب وثقافته العلمية عند دعوته، فإنه لما ضرب الله تعالى المثل، واحتج به على قبح الشرك وتهجينه، حيث جعلوا له من عبده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ولا إلى حل وترحال وإعمال الجمال[٣].

المطلب السادس

دلالة الفطرة

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٣٠، ٣١]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما قامت الأدلة الدامغة كالأعلام، واتضحت الخفايا وبانت، وصرحت الإشارات، وأفصحت ألسن العبارات، على قضايا البعث والحشر، أعقب ذلك بتسلية الله لنبيه ﷺ بأمره بالاهتمام بنفسه، وعدم المبالاة بأمر هؤلاء المشركين المكذبين، وإقامة وجهه لهذا الدين غير ملتفت عنه يمنة ولا يسرة، فهو فطرة الله التي خلق العقول معترفة بها[٤].

---

(١) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٦٧).

(٢) **انظر**: فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٥٨)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٠).

(٣) **انظر**: تفسير القرآن الكريم: لابن القيم (٤٣١)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٠).

(٤) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٨٣)، تفسير المراغي (٢١/ ٤٥).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **فَأَقِمْ** ﴾: أَيْ: أقبل عليه واتبعه، ولا تُعرض عنه[١] .

﴿ **وَجْهَكَ** ﴾: أَيْ: قصدك، دينك، عملك[٢].

﴿ **حَنِيفًا** ﴾: الحنيف الذي يميل إلى الشيء فلا يرجع عنه، وفيه ستة تأويلات: مسلماً، مخلصاً، متبعاً، مستقيماً، حاجّاً، مؤمناً بالرسل كلهم[٣].

﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ** ﴾: يريد: دين الله، فالفطرة هي: الإسلام[٤].

﴿ **الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾: يعني: ((المستقيم الذي لا عوج فيه، وقد وجَّه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب))[٥].

﴿ **مُنِيبِينَ** ﴾: فيه أربعة تأويلات: مقبلين إليه، داعين إليه ، مطيعين له ، تائبين إليه من الذنوب، **وفي أصل الإنابة قولان: أحدهما:** أن أصله القطع، ومنه أخذ اسم الناب؛ لأنه قاطع فكأن الإنابة هي: الانقطاع إلى الله ﷻ بالطاعة. **الثاني:** أن أصله الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة، ومنه النوبة لأنها الرجوع إلى عادة[٦].

﴿ **وَاتَّقُوهُ** ﴾: أي: خافوا الله وراقبوه، أن تفرّطوا في طاعته، وتركبوا معصيته[٧].

---

(١) **انظر**: الوجيز: للواحدي (٨٤٢)، التفسير البسيط: للواحدي (١٨/ ٥٨).

(٢) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١١).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٤)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١١).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٤)، تفسير مجاهد (٥٣٩).

(٥) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ٩٩).

(٦) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٢)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩١)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٣).

(٧) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٠).

ثالثًا: اللطائف

١) ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ** ﴾ ((استعارة تمثيلية، بتشبيه المأمور بالتمسك بالدين ورعاية حقوقه وعدم مجاوزة حدوده والاهتمام بأموره، بمن أُمر أن ينظر إلى شيء محدد، ويسدد بصره إليه فلا يغيب عنه أو يغفل؛ وذلك لمراعاته والاهتمام بحفظه))[١].

٢) خص الله إقامة الوجه دون غيره في الآية؛ لأنه جامع حواس الإنسان، ولشرفه، ولأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب، ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن ولهذا قال: ﴿ **حَنِيفًا** ﴾ أي: مقبلاً على الله في ذلك معرضا عما سواه[٢] .

٣) أعقب الله ﷻ بالتقوى بعد قوله: ﴿ **حَنِيفًا** ﴾؛ لأنه لا يجوز أنْ تنيب إلى الله، وأن ترجع إليه، وأن تجعله في بالك ثم تنصرف عن منهجه الذي شرَّعه؛ لينظم حركة حياتك، فالإنابة وحدها والإيمان بالله لا يكفيان؛ بل لا بُدَّ من تطبيق المنهج بتقوى الله[٣].

٤) أعقب الله ﷻ بعد إرشاد الخلق للإنابة إليه، والتقوى، وبعد الأمر بإقامة الصلاة بالنهي والتحذير من الشرك، فما وجه الشرك ممَّنْ يُؤدِّي هذه التعاليم؟ قالوا: الشرك المنهيّ عنه هنا ليس اتخاذ الأنداد مع الله، إنما أشركوا مع الله نية أخرى، فالإشراك هنا بمعنى الرياء، والنظر إلى الناس لا إلى الله[٤].

٥) قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ** ﴾: من إطلاق الجزء وإرادة الكل، أي توجه إلى الله بكليتك.

٦) قوله تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ** ﴾: بينهما جناس اشتقاق[٥].

٧) توحيد الخطاب أولا في ﴿ **فَأَقِمْ** ﴾، ثم جمعه في ﴿ **مُنِيبِينَ** ﴾؛ وذلك لأن الخطاب بإقامة الوجه للنبي ﷺ أولاً، وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [الطلاق: ١] [٦].

---

(١) محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٣-١٤).

(٢) **انظر**: الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣١٢)، تيسير الكريم للسعدي (٦٤١).

(٣) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٤٢٠).

(٤) **انظر**: المصدر السابق (١٨/ ١١٤٢٢- ١١٤٢٣).

(٥) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٨١).

(٦) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٣٧)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٧٩).

رابعًا: المعنى الإجمالي

يأمر الله سبحانه رسولنا محمد ﷺ بأن يسدد وجهه غير ملتفت أو ملتفت عنه، ويستمر على الذي شرعه له، من الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، التي هداه لها، وكملها له غاية الكمال، وأن يلازم فطرت الله السليمة، ﴿ **الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، فلا تلتفت أنت لمن انتكست فطرته، واتبع شهواته فنقض توحيده واسلامه كاليهود والنصارى والمجوس، فإنه ﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ فلا يقدر أحد أن يغيره، أو ما ينبغي أن يغير ﴿ **ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ بالشرك والكفر، لأن صفة هذا الدين أنه مستقيم لا عوج فيه البتة ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ** ﴾ أي: كفار مكة ﴿ **لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ توحيد الله، واستقامته لعدم تدبرهم. ومن ثم يأمر الله المؤمنين بأن يكونوا ﴿ **مُنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ أي راجعين إليه تعالى فيما أمر به ونهى عنه، وأن يتقوه ويخافوه ويراقبوه، ويقيموا الصلاة الطاعة العظيمة، وأن لا يشركوا به شيئاً بل يكونوا من الموحدين المخلصين له العبادة، لا يريدون بها سواه[١].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. الإيمان الفطري الذي خلق الناس به، غير كاف لإثبات التوحيد الخالص لله ﷻ، ولا عبرة فيه في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي[٢].
٢. دأب الدين أبداً التخلية ثم التحلية، فأول الدخول إلى الإسلام التنزيه والتقديس من جميع الذنوب والمعاصي، ثم الأمر بفعل الطاعات[٣].
٣. هذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم، إنما تتبع الشهوات، والنزوات بغير ضابط ولا دليل.
٤. الترابط بين فطرة النفس البشرية، وطبيعة هذا الدين فكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه[٤].

---

(١) **انظر**: تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣١٣-٣١٦)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٦)، تفسير الجلالين: للمحلي، وللسيوطي (٥٣٥).

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/ ٩٩)، تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢١٠)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧٧).

(٣) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٩٠).

(٤) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٦٧).

٥. «الإسلام عام خالد مناسب لجميع العصور وصالح بجميع الأمم، ولا يستتب ذلك إلا إذا بنيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية ليكون صالحًا للناس كافة وللعصور عامة وقد اقتضى وصف الفطرة أن يكون الإسلام سمحًا يسرًا لأن السماحة واليسر مبتغى الفطرة»[١].

٦. وجوب الإقبال على الله تعالى بعبادته والإخلاص له فيها بترك الشرك والرياء.

٧. الإسلام هو دين الله الذي خلق الإنسان متأهلا له ولا يقبل منه دين غيره.

٨. وجوب الإنابة إلى الله تعالى، والرجوع إليه في كل حال.

٩. وجوب تقوى الله ﷻ في جميع أحواله الظاهرة والباطنة، والبراءة من الشرك والمشركين[٢].

المطلب السابع

مظاهر افتراق المشركين في دينهم

قال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما كان المشركون يظنون أنهم على صواب في عبادتهم غير الله ﷻ، نصب لهم الله سبحانه دليلاً على بطلانه بما لا أوضح منه، ولا يمكن أحداً التوقف فيه، وذلك أنه لا يمكن أن يكون الشيء متصفاً بنفي شيء، وإثباته في حالة واحدة، فإما إيمان وتوحيد خالص، أو شرك بائن[٣].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **فَرَّقُوا دِينَهُمْ** ﴾: أي: بدّلوا دينهم، وأوقعوا فيه الاختلاف[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٩٢).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٨)، بتصرف يسير.

(٣) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٩٠).

(٤) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٣)، جامع البيان للطبري (٢٠/ ١٠٠).

﴿ **شِيَعًا** ﴾: واحدها: شيعة، أي: حزب وفريق[١].

﴿ **فَرِحُونَ** ﴾: أي: مسرورون معجبون[٢].

ثالثًا: اللطائف

١) تكرار مِنْ التبعيضية؛ لاعتبار الذين ﴿ **فَرَّقُوا دِينَهُمْ** ﴾ بدلاً من ﴿ **الْمُشْرِكِينَ** ﴾ بدلاً مطابقاً، أو بياناً.

٢) استعارة المفارقة للنبذ إذ كان الإسلام هو الدين الذي فطر الله عليه الناس، فلما لم يتبعوه جعل إعراضهم عنه كالمفارقة لشيء كان مجتمعًا معه، وليس المراد الارتداد عن الإسلام[٣].

رابعًا: القراءات

﴿ **فَرَّقُوا** ﴾

قرأها حمزة والكسائي، ﴿ **فَارَقُوا** ﴾ بالألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد فيهما[٤].

فالحجة لمن أثبت الألف: أنه أراد: تركوه، وانصرفوا عنه، أي: تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه. **والحجة لمن طرحها:** أنه أراد: التفريق أي: جعلوه فرقاً. **وحجتهم** قوله: ﴿ **وَكَانُوا شِيَعًا** ﴾ أي: أحزاباً[٥].

---

(١) **انظر:** مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٢)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٦)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٣٧)

(٢) **انظر:** جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠١)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٣٢).

(٣) **انظر:** التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٩٥-٩٦).

(٤) **انظر:** النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٦٦).

(٥) **انظر:** حجة القراءات: لابن زنجلة (٢٧٨)، الحجة في القراءات: لابن خالَوَيْه (١٥٢)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٢).

خامسًا: المعنى الإجمالي

ينهى الله ﷻ المؤمنين من أن يكونوا من المشركين الذين ﴿ **فَرَّقُوا دِينَهُمْ** ﴾ أي: الذين بدّلوا دينهم الذي أمروا به فتركوا وفارقوا دين الإسلام، وخالفوه ﴿ **وَكَانُوا شِيَعًا** ﴾ فجعلوه أديانًا، وصاروا فرقاً اليهود، والنصارى، والمجوس ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ** ﴾ كلُّ جماعةٍ، وطائفة، وفرقة من الذين فارقوا دينهم الحق ﴿ **بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون ويظنون أنهم على الهدى والصواب معهم دون غيرهم، مع أنهم ليسوا على شيء من هذا الهدي، بل ضالون كما أخبر عنهم فقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩] (١).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. أمر الله ﷻ وحثه على الاجتماع والألفة ولزوم الجماعة، وحرمة الافتراق في الدين الإسلامي، ووجوب الاتحاد فيه عقيدة وعبادة وقضاء. فعين الهداية الاجتماع، وعين الضلالة الفرقة(٢).
٢. هذه الآية تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقًا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد.
٣. من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين، السعي في إفساد ذات البين بين المسلمين، ووضع الشقاق، والعوائق بينهم؛ بسبب خلافات فقهية، أو علمية، أو سياسية، أو في طرق العمل لدين الله، مع أن أصل التوحيد عندهم واحد.
٤. السعي في جمع كلمة المسلمين، وإزالة ما بينهم من الشقاق والعوائق، من أفضل الجهاد في سبيل الله، وأفضل الأعمال المقربة إلى الله(٣).

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٠-١٠١)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٢)، الوجيز: للواحدي (٨٤٢).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٦)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٧٨).

(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٠).

٥. الشرك ألوان، وأنماط كثيرة لا تنتهي، بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق، ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد، الذي تقوم السماوات والأرض بأمره، وله من في السماوات والأرض كل له قانتون[١].

٦. كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فرح يظن أنه هو المهتدي، فهذا حال أولئك المشركون جميعاً في شتى الأزمان والبقاع[٢].

٧. تعدد الأحزاب والفرق وعدم تكاملها، يؤدي إلى تفكك الأمة، وفقدان الثقة بالإسلاميين المتحدين شكلياً، المختلفين منهجيًا في طرق العمل، مما يؤدي إلى قوة طرف أعداء الأمة ويسهل عليهم ترويج الأباطيل حول المنهج الإسلامي الذي يريده الله ﷻ ، فيستفيدوا من الاختلاف وتصبح ورقة رابحة لهم.

---

(١) **انظر**: الظلال: لقطب (٢٧٦٨/٥).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٦).

المبحث الرابع

إرشادات وتوجيهات في النظام الاقتصادي

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: طبيعة المشركين في السراء والضراء

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان في الرخاء والشدة

المطلب الثالث: الحث على أداء الحقوق والنهي عن الربا

المطلب الرابع: إفراد الله بالخلق والرزق

المطلب الخامس: سبب ظهور الفساد الاقتصادي، وعاقبة المفسدين

المطلب الأول

طبيعة المشركين في السراء والضراء

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٣٣ – ٣٥]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما أثبت الله ﷻ التوحيد بالدليل، والبرهان، وبضرب المثل، وبين حال أولئك المشركين وتفرقهم، وكل فرقة تظن أنه على الهدى، بين بعد ذلك أن لهم حالة يعرفون بها، وهي الشرك في حالة الرخاء، والسعة، والخصب، وفي الشدائد يتركوا هذه الأصنام، ويلتجئوا ويتوبوا ويرجعوا لله ﷻ [(١)] .

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مَسَّ** ﴾: الْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ، وَيُقَال فِي كل مَا ينَال الْإِنْسَان ويصيبه من أَذَى، ومرض، وهو المراد هنا[(٢)].

﴿ **ضُرٌّ** ﴾: سوءُ الحال، والقحط، والشدة[(٣)].

﴿ **دَعَوْا رَبَّهُمْ** ﴾: ((أفردوه بالتضرع والدعاء))[(٤)].

﴿ **رَحْمَةً** ﴾: أي: السعة، والرخاء، والخصب، والنعمة[(٥)].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٠)، الوجيز: للواحدي (٨٤٢).

(٢) **انظر**: مقاييس اللغة: لابن فارس(٥/ ٢٧١)، الكليات: للكفوي (٧٩٩)، معجم اللغة: لأحمد مختار(٣/ ٢٠٩٧).

(٣) **انظر**: المفردات: للراغب (٥٠٣)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٧٨)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٣٣).

(٤) البحر المحيط: لأبي حيّان (٨/ ٣٩١).

(٥) **انظر**: التأويلات: للماتريدي (٨/ ٢٧٥)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٠٣).

﴿ **فَرِيقٌ** ﴾: أي طائفة، وجماعة[١].

﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ** ﴾: أي: يجحدوا النعمة التي أعطيناهم[٢].

﴿ **فَتَمَتَّعُوا** ﴾: والتمتع: الانتفاع بالملائم وبالنعمة مدة تنقضي[٣].

﴿ **سُلْطَانًا** ﴾: أي: حجة وعذراً، وقيل: كتابًا، وبرهانًا، ورسولاً[٤].

﴿ **يَتَكَلَّمُ** ﴾: أي: ينطق[٥].

ثالثًا: اللطائف

١) الأمر في ﴿ **فَتَمَتَّعُوا** ﴾ أمر ليس بلازم فهو ليس بأمر للطاعة، بل للتهديد، والوعيد، والتوبيخ[٦].

٢) ﴿ **أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً** ﴾ استفهام، والمراد به النفي يعني: لم ينزل عليهم حجة بذلك[٧].

رابعًا: المعنى الاجمالي

يخبر الله ﷻ أنه إذا مس هؤلاء المشركين وغيرهم ضر من مرض أو جدب ونحوه ﴿ **دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ أي: أخصلوا له الدعاء والتضرع، ﴿ **ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً** ﴾، وفرج عنهم الضر ﴿ **إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ يعني المشركين، فيأمرهم الله على وجه التهديد، والوعيد بقوله: ﴿ **لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ** ﴾ والبعض جعلها لام كي أي: لكي يكفروا، وقوله: ﴿ **فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ أي: اكفروا وتمتعوا بالصحة والرخاء فسوف تعلمون عاقبتكم

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠١)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٩٢).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠١).

(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٩٨).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٥)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩١)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٠٣)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٥).

(٥) **انظر**: تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩١)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٢).

(٦) **انظر**: معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨٦)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٢)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٩٨).

(٧) **انظر**: إعراب القرآن: للنحاس (٣/ ١٨٦)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٣).

إذا وردتم على ربكم. ثم قال تعالى: ﴿ **أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً** ﴾ أي: كتاباً وحجة في عبادتهم الأوثان. ﴿ **فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ** ﴾ أي: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم، فالمعنى: لم ننزل عليهم شيئاً من ذلك إنما اختلفوا من عند أنفسهم اتباعاً لأهوائهم(١).

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. العظة والتنبيه للمؤمنين في أن يكونوا في الأحوال كلها على حال واحد في الرخاء والشدة، ذاكرين له شاكرين؛ لأنهم في حال الشدة والبلايا أكثر ذكرًا له وإنابة من حال السعة والرخاء، فينبههم ليكونوا في كل حال ذاكرين له منيبين إليه راجعين.
٢. شدة سفه أُولَئِكَ الكفرة؛ حيث أنابوا إليه وأخلصوا له الدِّين عندما يصيبهم الشدة والبلاء، ويعرضون عنه ويشركون في ألوهيته عند السعة. فخالفوا طباع البشرية التي تحب من يحسن إليها وتبغض من يسئ لها(٢).
٣. من الشرك الذي يقع به بعض البشر إذا جاءهم فرج بعد شدة تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني بفلان، وبسبب الصنم الفلاني، أو علقوا ذلك بمخلوقين، أو بحذق آرائهم وغير ذلك، لا، بل ينبغي أن لا يعتقد أنه تخلص بسبب المخلوقات فإنه شرك خفي، وفيه قلة شكر لله تعالى(٣).
٤. بيان تهديد الله تعالى للمصرين على الشرك والكفر بعذاب يوم القيامة(٤).
٥. الكفار متناقضون في مواقفهم، فهم في الضراء يتضرعون إلى الله، وفي السراء مشركون به غيره.
٦. الكفار خاسرون؛ لأن استمتاعهم بنعم الله عليهم قصير، لأنهم في الآخرة ذاهبون إلى النار(٥).
٧. الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً، فهو يعطيها لمن يحب من المؤمنين، ولمن لا يحب من الكافرين، فلذلك ينبغي للعاقل الزهد فيها.
٨. سعة حلم الله ﷻ على المشركين الذين ما يلبثوا أن يؤمنوا حتى يكفروا.

---

(١) **انظر**: الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٩٠).
(٢) **انظر**: التأويلات: للماتريدي (٨/ ٢٧٤-٢٧٥).
(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٠)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٣٧).
(٤) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٨١).
(٥) التفسير المنهجي: للخالدي (٧/٢/٨٢-٨٣).

المطلب الثاني

طبيعة الإنسان في الرخاء والشدة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم: ٣٦، ٣٧]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه، وهو من تكون عبادته الله للدنيا، فإذا آتاه رضي وإذا منعه سخط وقنط[١]، أو أن إعادة الكلام على أحوال المشركين زيادة في بسط الحالة التي يتلقون بها الرحمة وضدها تلقيا يستوون فيه[٢].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **سَيِّئَةٌ** ﴾: أي: مصيبة، وبلاء، وعقوبة، وقحط المطر[٣].

﴿ **يَقْنَطُونَ** ﴾: أي: يئسون، فالقنوط: الإيَاسُ من الْخَيْرِ[٤].

﴿ **فَرِحُوا بِهَا** ﴾: المراد بالفرح هنا: ((الجحود والكفران للنعم، وليس مجرد السرور بالحصول على النعم))[٥].

ثالثًا: اللطائف

١) ((قدمت في هذه الآية إصابة الرحمة على إصابة السيئة، عكس التي قبلها؛ للاهتمام بالحالة التي جعلت مبدأ العبرة وأصل الاستدلال))[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠١).

(٢) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٠٠). بتصرف يسير.

(٣) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٢)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٥).

(٤) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٢)، تهذيب اللغة: للأزهري (٩/ ٢٥).

(٥) التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٨٧).

(٦) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٠٠).

٢) عبر- سبحانه- في جانب الرحمة (بإذَا)، وفي جانب المصيبة (بإنْ)؛ للإشعار بأن رحمته- تعالى- بعباده متحققة في كل الأحوال. وأن ما ينزل بالناس من مصائب، هو بسبب ما اجترحوه من ذنوب.

٣) نسب- سبحانه- الرحمة إلى ذاته فقال: ﴿ **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً** ﴾ دون السيئة فقد قال: ﴿ **وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ** ﴾؛ لتعليم العباد الأدب مع خالقهم ﷻ، وإن كان الكل بيده- سبحانه- وبمشيئته، وشبيه بهذا قوله- تعالى-: ﴿ **وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ [الجن: ١٠] [(١)].

٤) ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ...** ﴾ عبر هنا بلفظ ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا** ﴾ عن قضية بسط الرزق؛ لأنَّ بسط الرزق ممَّا يُرى، فناسب ذكرُ الرؤية[(٢)].

رابعاً: القراءات

﴿ **يَقْنَطُونَ** ﴾

قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وخلف بكسر النون﴿ **يَقْنِطُونَ** ﴾، وقرأ الباقون بفتحها ﴿ **يَقْنَطُونَ** ﴾[(٣)]، والخلاف في القراءتين يرجع إلى أصل الاشتقاق:

❖ **فحجة القراءة الاولى** أنها مضارع «قنَط، يقنِط» بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع مثل: «ضَرب يضرِب».

❖ **والحجة في القراءة الثانية** مضارع «قنِط، يقنَط» بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع، مثل: «تعِب، يتعَب»[(٤)].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يبين الله ﷻ حال الإنسان في الرخاء، والشدة فيظهر التناقض، والتضاد، فإذا أصابتهم الرحمة، والنعمة ﴿ **فَرِحُوا بِهَا** ﴾، وإن تصبهم الشدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان ﴿ **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي ﴿ **إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** ﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإياس، ثم يرشد الله الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم، بعيون قلوبهم،

---

(١) التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٨٧).

(٢) **انظر**: فتح الرحمن: لزكريا الأنصاري (١/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٣) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٠٢).

(٤) **انظر**: القراءات وأثرها: لمحيسن (١/ ٢٣٢).بتصرف يسير.

فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ أي: إن ما ذكر من قدرة الله لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها[١].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. ((من صفة الكافر يبطر عند النِّعمة ويقنط عند الشدة ولا يشكر في الأُولى ولا يحتسب في الثانية))[٢].
٢. تقلب الأحوال إنما هي وفق حكمة الله، وفيها للقلب المؤمن دلالة على أن مرد الأمر كله لله، ودلالة على اطراد السنة، وثبات النظام[٣].
٣. ((من فَطَرَ هذا العالم لا ينزل الشدة بعباده إلا لما لهم فيها من الخير كالتأديب والتذكير والامتحان، فهو كما يربى عباده بالرحمة يربيهم بالتعذيب فلو أنهم شكروه حين السراء، وتضرعوا إليه في الضراء، لكان خيرا لهم))[٤].
٤. ((الله تعالى وحده هو المتصرف في أرزاق العباد، فيوسع الخير في الدنيا لمن يشاء أو يضيق، على وفق الحكمة والعدل، فلا يصح أن يكون الفقر سببا للقنوط، ولا ينبغي أن يكون الغنى سبباً للبطر، فكل من الغنى والفقر من الله تعالى، وعلى المؤمن الموحد تفويض أمر الرزق إلى الله سبحانه))[٥].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٢- ١٠٣).
(٢) الوجيز: للواحدي (٨٤٣).
(٣) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٧١).
(٤) تفسير المراغي (٢١/ ٥٠).
(٥) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٩١).

المطلب الثالث

الحث على أداء الحقوق والنهي عن الربا

قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٨، ٣٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما اتضح وانجلى أن الله يبسط الرزق ويقدر، فلا ينبغي حينها أن يكثرت الإنسان المسلم بالدنيا، أو يتوقف الإنسان في الإحسان، والإنفاق خوفاً من المحق فإن الله إذا بسط الرزق لا ينقص بالإنفاق، وإذا قدر لا يزداد بالإمساك، فكان الخطاب هنا في مقام التطبيق العملي بالأمر بالإنفاق والإعطاء، وخص به خير الخلق، ليكون أوقع في نفوس الأتباع، وأجدر بحسن القبول منهم والسماع[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **ذَا الْقُرْبَى** ﴾: أي: قريب الرجل ورحمه، وقيل: القربى هنا قرابة رسول الله ﷺ [٢].

﴿ **الْمِسْكِينَ** ﴾: هو: الذي لا يجد كفايته، فهو أَحسنُ حَالاً من الْفَقِير، ويستدل لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ** ﴾ [الكهف: ٧٩] [٣].

﴿ **ابْنَ السَّبِيلِ** ﴾: **فيه قولان:** المسافر، أو الضيف الذي ينزل بك[٤].

﴿ **يَرْبُو** ﴾: يزيد، وينمى[٥].

﴿ **الْمُضْعِفُونَ** ﴾: أي: الذين يجدون التضعيف والزيادة من الثواب والحسنات[٦] .

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٢)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ٩٨).

(٢) **انظر**: الهداية: لمكي بن أبى طالب (٩/ ٥٦٩١-٥٦٩٢)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٦).

(٣) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٦)، تهذيب اللغة: للأزهري (١٠/ ٤١).

(٤) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٦)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٣).

(٥) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٣)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٤).

(٦) **انظر**: التبيان: لابن الهائم (٢٦١)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٢)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٨).

ثالثًا: اللطائف

١) تخصيص الأقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع أن الله ذكر الأصناف الثمانية في الصدقات؛ لأن المقصود هاهنا الشفقة العامة، فيحسن لهؤلاء سواء بمال الزكاة أو الصدقة.

٢) تقديم ذوي القربى على غيرهم من الأصناف؛ إنما هو لوجوب دفع حاجة القريب على غيره.

٣) ذكر الأقارب في جميع المواضع كذا اللفظ وهو ذووا القربى، ولم يذكر المسكين بلفظ ذي المسكنة؛ وذلك لأن القرابة لا تتجدد فهي شيء ثابت، وذو كذا لا يقال إلا في الثابت، فقال ذا القربى إشارة إلى أن هذا حق متأكد ثابت، وأما المسكنة فتطرأ وتزول[١].

٤) ذكر الربا هنا بالأسلوب الذي ورد به يمكن أن يكون إرهاصًا قرآنيًا مكيًّا بكراهية الربا التي جاءت بأسلوب تشريعي تحريمي في القرآن المدني[٢].

٥) ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ فيه التفات حسن من الخطاب إلى الغيبة[٣].

رابعًا: القراءات

﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ** ﴾

❖ قرأ ابن كثير ﴿ **وَمَا أَتَيْتُمْ** ﴾ بالقصر من غير مد على لفظ جئتم أي: ما جئتم، وقرأ الباقون بالمد ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ** ﴾ على وجه الإعطاء أي: ما أعطيتم[٤].

❖ قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب بالخطاب، وضم التاء ﴿ **لِتُرْبُوَ** ﴾، وإسكان الواو، وقرأ الباقون بالغيب وفتح الياء والواو ﴿ **لِيَرْبُوَ** ﴾[٥].

قال الطبري: ((أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما؛ لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال، وإذا ربا المال فبإرباء أربابه إياه ربا، فإذا كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب))[٦].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٢-١٠٣).

(٢) التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٥٣).

(٣) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨١).

(٤) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٥٨-٥٥٩).

(٥) النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٤).

(٦) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٦).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى آمرا بإعطاء ﴿ **ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ أي: من البر والصلة، ﴿ **وَالْمِسْكِينَ** ﴾ وهو الذي لا شيء له ينفق عليه أو له شيء لا يقوم بكفايته، ﴿ **وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، ﴿ **ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ** ﴾ أي: النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى، ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ** ﴾ أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله، وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه، إلا أنه قد نهي عنه بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** ﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب[(١)].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. الحث على أداء الحقوق لذوي القربى، وخاصة في حالة العوز والحاجة.
٢. الإحسان إلى الناس عامة، لاسيما المسكين، وابن السبيل؛ وذلك ((لأن الله ذكرهم معاً في غير بند الزكاة، فدلَّ ذلك على أن لهم حقاً غير الزكاة الواجبة))[(٢)].
٣. إخلاص النية لله ﷻ، فلا ينتظر الإنسان الثواب والشكر من الخلق مقابل إحسانه إليهم إذن فإن ((الربح الحقيقي ليس فيما يعطيه المرء لغيره من مال بقصد استغلاله وتكثيره فليس لهذا عند الله أجر. وإنما الربح الحقيقي هو في الزكاة التي تعطى للمحتاجين لوجه الله بدون مقابل ولا قصد استغلال وتكثّر في الدنيا. فالذين يفعلون ذلك هم الذين يربحون أضعافا مضاعفة بما يكون لهم عند الله من الأجر العظيم))[(٣)].
٤. من صفات المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة، القيام بخدمة الناس.
٥. النهي عن الربا، بسد أبوابه وذرائعه وذلك بإعطاء الشيء للتوصل للزيادة.

---

(١) تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣١٨) بتصرف يسير.
(٢) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٤٥١).
(٣) التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٥٣).

المطلب الرابع

إفراد الله بالخلق والرزق

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما وضح الله سبحانه وتعالى أنه لا زيادة إلا فيما يزيده، ولا خير إلا فيما يختاره، فكان ذلك مزهداً في زيادة الاعتناء بطلب الدنيا، ثم بين بطريق واضح مؤكداً مظاهر فضله على الناس من الخلق، والرزق، والإماتة والإحياء[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **شُرَكَائِكُمْ** ﴾: جمع شريك وهو المشارك، أي: الأصنام التي تعبدونها من دون الله[٢].

﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴾: يعني: سبحوه تسبيحاً، أي: نزهوه تنزيهاً، ولا تصفوه بالإشراك، لِعُلُوه عن الشريك[٣].

ثالثًا: اللطائف

١) السجع المرصع[٤] في قوله:﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ...** ﴾، وبيان أن كل واحدة منهنّ مستقلة بتأكيد؛ لتعجيز شركائهم، وتجهيل عبدتهم[٥] .

---

(١) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٠٢)، تفسير المراغي (٢١/ ٥٣)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٩١).

(٢) **انظر**: شمس العلوم: لنشوان الحميري (٦/ ٣٤٢٩)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٢)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣١٩).

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٧)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٤).

(٤) **هو**: اتفاق فاصلتين وزنًا وتقفية سواء في كل الفقرة أو أكثرها، ويكون ما في الفاصلة الأولى من الألفاظ مقابلة لما في الثانية كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] **[انظر**: كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي (١/ ٤٢٢)، جواهر البلاغة: للهاشمي (٣٣٠)، البلاغة العربية: للميداني (٥٠٥/٢)].

(٥) **انظر**: الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٢)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٩١).

٢) تكرار (مِنْ) وهي للتبعيض: ﴿ **هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ...** ﴾ والمعنى: لا يستطيع أحد من شركائكم أن يفعل شيئاً ولو هيِّناً من الخلق، أو الرزق، أو الإحياء، أو الإماتة. فهذه الأمور وغيرها متعلقة فقط بالله ﷻ المنزه عن الشركاء[١].

٣) الاستفهام في قوله- سبحانه-: ﴿ **هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ...** ﴾ للإنكار والنفي، على جهة التقرير والتوبيخ. أي: ليس من شركائكم الذين عبدتموهم من يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك، فكيف اتخذتموهم آلهة وأشركتموهم معي في العبادة؟[٢].

٤) ((جمع في هذه الآية بين إثبات الأصلين الحشر والتوحيد، أما الحشر فبقوله:﴿ **ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ والدليل قدرته على الخلق ابتداء، وأما التوحيد فبقوله: ﴿ **هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾))[٣].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم، ورزقكم، وإماتتكم، وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء، هذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئًا من ذلك، وكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟! ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فالله سبحانه وتعالى تقدس وتنزه وعلا عن شركهم، وعما يقولون علوا كبيراً فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم[٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. قدرة الله ﷻ على البعث والحشر، كما خلقنا أول مرة[٥].
٢. توحيد الربوبية دليل صريح لإثبات الألوهية لله، فالقادر على الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة يستحق أن يفرد بالعبادة، وأن ينزه ويقدس.

---

(١) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٤٦٩).

(٢) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٩١)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٣٩).

(٣) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٤).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٧)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٣).

(٥) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٩٦).

٣. جواز استخدام الأساليب والمقارنات العقلية في إثبات التوحيد.

٤. عبادة الآلهة العاجزة التي لا تنفع، ولا تضر دليل على شدة جهل المشركين، وضعف عقولهم.

المطلب الخامس

سبب ظهور الفساد الاقتصادي، وعاقبة المفسدين

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [الروم:٤١، ٤٢]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بين الله عجز شركائهم، وما هم فيه من الجهل باتخاذ الآلهة التي لا تنفع، ولا تضر، بين بعدها أن هذا الشرك الذي اكتسبته أيديكم سيكون وبالاً عليكم، وسبباً لظهور الفساد في البر والبحر، ثم أكد الله ﷻ هذا الأمر، بأن أمرهم بالسير للنظر في عاقبة المفسدين للاعتبار والادكار، والتأمل نصحاً لهم، ورفقاً[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **ظَهَرَ** ﴾: بان ووضح[(٢)].

﴿ **الْفَسَادُ** ﴾: الشرك ، المعاصي، القحط[(٣)].

﴿ **الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾: والمعنى يحتمل **وجهين: أحدهما:** عنى بالبرّ، الفلوات، وبالبحر: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار. **وثانيهما:** عنى بالبرّ: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، **والبحر:** البحر المعروف[(٤)].

---

(١) **انظر:** مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٥)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٠٤-١٠٦).

(٢) الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٤٧١).

(٣) **انظر:** جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٧)، بحر العلوم: للماوردي (٣/ ١٥)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣١٧).

(٤) **انظر:** جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٠٨)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٠٥)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٩٤-٥٦٩٥).

﴿ **لِيُذِيقَهُمْ** ﴾: ليصيبهم[١].

﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾: أي، يتوبون[٢].

ثالثًا: اللطائف

١) الطباق بين ﴿ **الْبَرِّ ... وَالْبَحْرِ** ﴾.

٢) المجاز المرسل بإطلاق الجزء، وإرادة الكل ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾[٣].

٣) ﴿ **لِيُذِيقَهُمْ** ﴾ الإذاقة: استعارة مكنية[٤] شبه ما يصيبهم من الآلام فيحسون بها بإصابة الطعام حاسة المطعم[٥].

رابعًا: القراءات

قرأ ابن كثير، وقنبل ﴿ **لِنُذِيقَهُمْ** ﴾ بالنون الله يخبر عن نفسه، وقرأ الباقون ﴿ **لِيُذِيقَهُمْ** ﴾ بالياء إخبارا عنهم أي: ليذيقهم الله[٦].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله ﷻ عن سبب ظهور الفساد ﴿ **الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ من قحط ومحق وموت وحرق وغرق إنما هو ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ أي: بسبب معاصيهم، وشركهم، ﴿ **لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا** ﴾ أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجمعها في الآخرة فهذا حالنا دائما، أذاقنا الله الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة. وسبب الإذاقة ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ عما هم عليه من المعاصي، ثم أمرهم بأن يسيروا

---

(١) **انظر**: جامع البيان للطبري (٢٠/ ١٠٩).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري(٢٠/ ١١٠)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٢).

(٣) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٩٧).

(٤) **الِاسْتِعَارَة المكنية**: "فَهِيَ أَن تذكر الْمُشبه وتريد الْمُشبه بِهِ دَالا على ذَلِك بِإِضَافَة شَيْء من لَوَازِم الْمُشبه بِهِ المساوية إِلَى الْمُشبه مثل أَن تشبه الْمنية بالسبع ثمَّ تفردها بِالذكر مضيفا إِلَيْهَا الأنياب والمخالب قَائِلا: (أَنْيَاب الْمنية أَو مخالب الْمنية قد نشبت بفلان) وَنَحْوه (لِسَان الْحَال نَاطِق بِكَذَا)" [الكليات: للكفوي (١٠٢)].

(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١١٣).

(٦) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/٣٤٥)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٠).

فينظروا كيف أهلك الله الأمم التي قبلهم كعاد وثمود وغيرهم، وكيف كانت عاقبتهم ومآلهم، حيث ﴿ **كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ** ﴾ فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يُحْذَى بكم حذوهم فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان[١].

سادسًا: المقاصد والاهداف

١. مراتب ظهور الفساد حاصلة على مقادير ما كسبت أيدي الناس، وأنّ الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وأنّ ما دونه من المعاصي يكون سببًا لذلك[٢].
٢. سعة رحمة الله ﷻ، حيث يذيقنا الله الشيء اليسير من أعمالنا، فكيف لو أذاقنا كل أعمالنا، إذن لما ترك على ظهرها من دابة[٣].
٣. الشرك والمعاصي والذنوب سبب لغضب الله ونكاله، بالمقابل فإن الطاعات سبب لرحمة الله وثوابه[٤].
٤. عذاب الله إذا أتى لا يختص بالمشركين وحدهم بل يأخذ الصالح بالطالح إن لم يأخذ على يده، كما قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال: ٢٥] [٥].
٥. الموعظة بالحوادث ماضيها، وحاضرها؛ للإقلاع عن الإشراك بالله ﷻ ، وعن تكذيب الرسول ﷺ [٦].
٦. المقصد، والحكمة من عذاب الله الرحمة بنا لعلنا نرجع ونتوب إليه.
٧. ضرورة دراسة تاريخ الأمم والشعوب؛ لمعرفة سنن الله في المجتمعات، والاستفادة منها، فالسعيد من وعظ بغيره.
٨. قاعدة ربانية، لا محاباة فيها لأحد، ألا وهي الجزاء من جنس العمل.
٩. الرحمة بالمشركين والعصاة والمذنبين، ومحبة توبتهم ورجوعهم إلى الله؛ لينجوا من عذابه وعقابه.
١٠. عاقبة المفسدين الهلاك والدمار في الدنيا قبل الآخرة.

---

(١) **انظر**: مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٣)، تفسير القرآن: لابن القيم (٤٣٣)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٣).

(٢) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١١٢)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

(٣) **انظر**: تفسير القرآن: لابن القيم (٤٣٣).

(٤) **انظر**: مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٣).

(٥) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٥).

(٦) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٠٩).

المبحث الخامس

من دلائل التوحيد ونتائج الأعمال

ويشتمل على ثمانية مطالب

المطلب الأول: الاستقامة سبيل النجاة يوم القيامة

المطلب الثاني: عاقبة الكفر وجزاء المؤمنين

المطلب الثالث: من دلائل وحدانية الله إرسال الرياح

المطلب الرابع: نتيجة التكذيب بآيات الله

المطلب الخامس: من دلائل وحدانية الله إنزال المطر

المطلب السادس: من دلائل وحدانية الله إحياء الموتى

المطلب السابع: التوفيق للهداية بيد الله وحده

المطلب الثامن: أطوار خلق الإنسان

المطلب الأول

الاستقامة سبيل النجاة يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما نهى الكفار عما هم عليه من الشرك، وأمرهم بالنظر في عاقبة الذين من قبلهم من الأمم البائدة فلما لم يتعظوا، صرف الخطاب عنهم، ووجهه لمن يسمع ويطيع، فخاطب النبي ﷺ وأمره بإخلاص دينه لله ﷻ؛ ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فإنه أمر به أشرف الأنبياء محمد ﷺ [(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **لِلدِّينِ الْقَيِّمِ** ﴾: والمقصود بالدين، الإسلام، والقيم، البليغ المستقيم[(٢)].

﴿ **يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ** ﴾: أي: يوم القيامة[(٣)].

﴿ **يَصَّدَّعُونَ** ﴾: أي: يتفرقون، فيصيرون فريقاً في الجنّة وفريقاً في السّعير[(٤)].

ثالثًا: اللطائف

جناس الاشتقاق بين قوله: ﴿ **فَأَقِمْ** ﴾، وقوله: ﴿ **الْقَيِّمِ** ﴾[(٥)].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٦)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٠٧).

(٢) **انظر**: الدر المنثور: للسيوطي (٦/ ٤٩٨)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٣)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣).

(٣) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٠)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٥)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٩٧).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٥)، التبيان: لابن الهائم (٢٦١)، ياقوتة الصراط: لغُلام ثَعْلَب (٤٠٣).

(٥) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥).

رابعًا: المعنى الإجمالي

يأمر الله ﷻ رسولنا محمدًا ﷺ، بأن يوجه وجهه للجهة التي أرادها وهي: ﴿ **لِلدِّينِ الْقَيِّمِ**﴾ أي: لطاعة ربك، والمِلةِ المستقيمةِ التي لا اعوجاج فيها عن الحقِّ ﴿ **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ** ﴾ أي: من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مردّ له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء فيكون حال الناس في ذاك اليوم كما وصف بقوله: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ** ﴾ يعني: يتفرقون، فيتفرّق الناس فرقتين من قولهم: " صَدَعتُ الغنم صدعتين "، إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير(١).

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. كمال الدين الإسلامي، وجديته، واستقامته دليل واضح على وجوب الاستقامة على الدين الإسلامي عقيدة وعبادة وقضاءًا وحكماً(٢).
٢. إذا جاء يوم القيامة لا يمكن رده، ولا يستطيع العاملون أن يستأنفوا العمل، بل فرغ من الأعمال فلم يبق إلا جزاء العمال(٣).
٣. الطريق الوحيد للخلاص من الشرك باتباع الدين القيم، أي الحق، وترك ما عداه من السبل الباطلة المعوجة(٤).
٤. ((النبي والمؤمنون مخاطبون بتوجيه القصد والعزيمة إلى اتباع الدين القيم، يعني الإسلام، في دار التكليف دار الدنيا، قبل مجيء يوم القيامة الذي لا يردّه الله عنهم ولا عن غيرهم، وليس لأحد دفعه أو منعه، لعجزه عن ذلك أمام قدرة الله وقدره وقضائه السابق))(٥).
٥. تفرق الناس يوم القيامة، ففريق المخلصين للجنة، وفريق المشركين لنار جهنم.

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٠-١١١).
(٢) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٧٣)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٨٧).
(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٣).
(٤) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١١٥).
(٥) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠١).

المطلب الثاني

عاقبة الكفر وجزاء المؤمنين

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [الروم: ٤٤، ٤٥]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما أمر الله باتباع الدين وإخلاصه لله له سبحانه وتعالى، أشار بعدها إلى تفرق الناس بين كافر ومؤمن، وتضمنت هذه الإشارة أيضاً غناه عنهم ببيان عاقبة الكفر لا تتعدى صاحبها، وعاقبة الإيمان والعمل الصالح هي الجنة(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يَمْهَدُونَ** ﴾: أي: يعملون، ويوطّئون، ويهيئون، ويسوون، و«المهاد»: الفراش(٢).

﴿ **مِنْ فَضْلِهِ** ﴾: يعني: من رزقه، ومن ثوابه، وكرامته(٣).

ثالثاً: اللطائف

١) ﴿ **فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ** ﴾ استعارة من تمهيد الفراش ونحوه، حيث شبه القائم بالأعمال الصالحة بمن يمهد فراشه ويعدّه للنوم عليه، توفيرا للراحة والسلامة. والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة، فتقر به أعينهم وتسر به أنفسهم في الجنة(٤).

٢) تكرير ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ** ﴾، وترك الضمير إلى الصريح؛ لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح(٥).

---

(١) **انظر**: مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٤)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٠٩).

(٢) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٢)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤١)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣).

(٣) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٦)، تنوير المقباس: لابن عباس (٣٤٢).

(٤) **انظر**: التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٥)، البحر المحيط: لأبي حيان (٨/ ٣٩٦)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٩٧).

(٥) الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

٣) عبر عن حالة الكافر بـ﴿ **فَعَلَيْهِ** ﴾ ، وهي تدل على الفعل والمشقة، وعن حال المؤمن بقوله: ﴿ **فَلِأَنْفُسِهِمْ** ﴾، باللام التي هي لام الملك[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر تعالى أن من كفر بالله فعليه أوزار كفره، وآثام جحوده نِعَمَ ربه، ثم ذكر صورة أخرى ﴿ **وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا** ﴾ أي: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿ **فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ** ﴾ فهؤلاء يستعدون، ويسوّون المضجع؛ ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، ثم يقول تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أي: يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله من فضله الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة، وقيل يصدعون ليجزيهم الله، أي ليميز الكافر من المسلم. ﴿ **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ أي: لا يحبّ أهل الكفر به[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. إثبات بغض الله ﷻ للكافرين، والمحبة لعباده المؤمنين[٣].
٢. يتفرق الناس يوم القيامة فريقين بحسب أعمالهم: فريق في الجنة، وفريق في السعير.
٣. ((للكافر جزاء كفره وهو النار، وللمؤمن الذي عمل صالحًا الجنة، وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوطّئون أو يقدمون لأنفسهم في الآخرة فراشًا ومسكنًا وقرارًا بالعمل الصالح))[٤].
٤. بين الله سبحانه أن الإيمان والعمل الصالح قرينان لا ينفكان عن بعضهما البعض، فإذا لم يؤمن العبد بالله تعالى وأتى بالأعمال جميعًا لا يقبل منه حتى يأتي بأصل التوحيد وكذلك المغبون من آمن بالله وحده لكنه ترك العمل وحرم نفسه وضيع كمال التوحيد بترك ركن العمل فلا بد من اجتماع الأمرين معًا ليسعد الإنسان وينال كرامة الله ورزقه.
٥. قيد الله سبحانه وتعالى العمل الذي يجزي به عباده بصفة الصلاح؛ ليبين لنا أنه لا يقبل أي عمل إلا إذا كان الصلاح صفته الملازمة له.

---

(١) البحر المحيط: لأبي حيان (٨/ ٣٩٦).
(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١١- ١١٢)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٤٣).
(٣) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢٠٩).
(٤) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠٢).

المطلب الثالث

من دلائل وحدانية الله إرسال الرياح

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما ذكر أن ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح؛ لأن الكريم لا يذكر لإحسانه عوضا، ويذكر لأضراره سببا؛ لئلا يتوهم به الظلم[١].

ثانياً: معاني المفردات

﴿ **الرِّيَاحَ** ﴾: مفردها رِيحُ وهي مؤنَّثةٌ، والجمعُ رياحٌ وأرواحٌ، وهي نَسِيمُ الهَوَاءُ[٢].

﴿ **مُبَشِّرَاتٍ** ﴾: أي: تبشر بالخير، فهي الرياح تهبُّ بالسحاب والغَيْث، والمطر[٣].

﴿ **وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾: أي: من القطر ونعمة المطر وهي الخصب[٤].

﴿ **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾: يعني: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم[٥].

ثالثًا: اللطائف

استخدام أسلوب الإطناب ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ..... الآية** ﴾؛ وذلك لتعداد النعم على عباده، وتذكيرهم بها[٦] .

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٧). بتصرف يسير.

(٢) **انظر**: المخصص: لابن سيده (٢/ ٤١٢)، التلخيص: لأبي هلال العسكري (٢٧٣).

(٣) **انظر**: التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠٣- ١٠٤)، تفسير مجاهد (٥٤٠)، العين: للفراهيدي (٦/ ٢٦٠).

(٤) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨١)، تفسير مجاهد (٥٤٠).

(٥) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٢).

(٦) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠٣).

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله ﷻ أن ﴿ **مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ** ﴾ يعني: ومن علامات وحدانيته أن يعرفوا توحيده بصنعه، فيرسل هذه الرياح ﴿ **مُبَشِّراتٍ** ﴾ أي: بالمطر، ويقال: يستبشر بها الناس. ثم قال: ﴿ **وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾ يعني: ليصيبكم من نعمته، وهو المطر، وأيضا يرسل الرياح ﴿ **لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ** ﴾ يعني: السفن تجري في البحر بالريح بِأَمْرِهِ، وذلك ﴿ **لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾ يعني: لتطلبوا في البحر من رزقه كل هذا بالرياح ﴿ **وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ رب هذه النعم فتوحّدوه[١].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. ((تقرير الربوبية لله المستلزمة لألوهيته بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والعدل))[٢].
٢. إرسال الرياح مبشرات بالغيث، فتحيا به الأرض وتستمر به الحياة، من الأدلة على وحدانية الله تعالى، ورحمته التي وسعت كل شيء[٣].
٣. ((المقصود من النعم أن تقابل بشكر الله تعالى ليزيدكم الله منها ويبقيها عليكم، وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدَّل نعمة الله كفرا ونعمته محنة وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره))[٤].
٤. جعل الله لكل شيء سبباً، فقد جعل الرياح سبباً لنزول الغيث، وجريان الفلك، وذلك كله دليل على قدرة الله ﷻ ووحدانيته.[٦]

---

(١) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٦).
(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٨٨).
(٣) **انظر**: تفسير المراغي (٢١/ ٥٨-٥٩)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٣).
(٤) تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٤).
(٥) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١١٩).

المطلب الرابع

نتيجة التكذيب بآيات الله

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

هذه الآية جملة معترضة، بعد أن بين الله ﷻ البراهين، ولم ينتفع بها الكفار سلى بها قلب النبي ﷺ، وقال حال من تقدمك كان كذلك فلا تقنط أو تيأس، ومن ثم أراد الله ﷻ تحذير المكذبين من قريش أن يصيبهم ما أصاب المكذبين قبلهم(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ** ﴾: ((أي: كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام))(٢).

﴿ **بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾: جمع بينة، وهي: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، والمعنى هنا المعجزات، والحجج، والدلالات الواضحات(٣).

﴿ **أَجْرَمُوا** ﴾: من جَرَمَ وأجرم، أي: أذْنب، وارْتكب جرماً، واكتسب إثماً(٤).

ثالثًا: اللطائف

١) جناس الاشتقاق ﴿ **أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا** ﴾(٥).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٨)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١١٩).
(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٨٧).
(٣) **انظر**: المفردات: للراغب (١٥٧)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨١)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٤٣).
(٤) **انظر**: المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (١/ ١١٨)، التفسير الوسيط: لمجمع البحوث (٨/ ٦٢).
(٥) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠٣).

٢) الإيجاز بالحذف لأمر يُفهم من السياق في قوله: ﴿ **فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا** ﴾ أي: فكفروا فانتقمنا ممن كفر، ووضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف، والإشعار بكونه علة للانتقام[١].

٣) إيجاز الاحتباك حيث حذف منها أولاً الإهلاك الذي هو أثر الخذلان لدلالة النصر عليه، وحذف ثانيًا الإنعام لدلالة الانتقام عليه[٢].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يسلي الله ﷻ نبيه ﷺ، فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم، وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم، التي كان أولها أن جاءوهم بالمعجزات الواضحات، والحجج الباهرات على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئت أنت قومك بالبينات فكذّبوهم، كما كذّبك قومك، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، والنتيجة ﴿ **فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا** ﴾ أي: أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك، فلا تحزن فقد وجب علينا نصر المؤمنين على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَن كفر بك، ومظفروك بهم[٣].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تبشير النبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، وكل من سار على درب النبي ﷺ أنه سيظفر، وينتصر ولو بعد حين[٤].

٢. زيادة التشريف والتكريم للمؤمنين، بأن يعدهم الله بالنصر والظفر، فلذلك يجب أن يظلوا دائما مطمئنين إلى أن الله قد وعدهم بالنصر والتأييد وجعل ذلك حقا عليه، وأنه لن يخلف وعده، وفيها إشعار بأن الانتقام من المجرمين لأجلهم[٥].

---

(١) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ٤٣)، الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٥٠٣)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٦٤).

(٢) نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١١٨)، بتصرف يسير .

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٣- ١١٤)، تفسير القرآن: ابن كثير (٦/ ٣٢١).

(٤) **انظر**: معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨١).

(٥) **انظر**: التفسير الوسيط: لمجمع البحوث (٨/ ٦٣)، التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٥٨).

٣. سنة الابتلاء، والتمحيص للأنبياء وأتباعهم، وأن الكفر ملة واحدة في كافة العصور، وأن عاقبته هو انتقام الله ﷻ .

٤. حاجة المسلمين إلى تسلية وتثبيت قلوبهم اليوم خاصة وفي ظل الأوضاع العصيبة من الظلم والقهر والطغيان التي يعيشها المسلمون اليوم، لا سيما في فلسطين، في ظل تخاذل وتنكب القريب والبعيد.

المطلب الخامس

من دلائل وحدانية الله إنزال المطر

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم: ٤٨، ٤٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها

« لما أقام سبحانه الدليل على البعث وإقامة الوجود بتصريفه الرياح كيف يشاء وأتبعه آية التسلية والتهديد، وكان عذاب المذكورين فيها بالريح أو ما هي سببه أو لها مدخل فيه، أتبع ذلك الإعلام بأنه مختص بذلك سبحانه تنبيهاً على عظيم آية الرياح للخص على تدبرها، مؤكداً لأمر البعث ومصرحاً به »[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **فَتُثِيرُ** ﴾: أي: تحرك، وتسير، وتدفع، وتهيج، يقال: ثار الغبار إذا ارتفع[(٢)].

﴿ **فَيَبْسُطُهُ** ﴾: أي: ينشره، ويجمعه[(٣)].

---

(١) نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١١٨).

(٢) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٦)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤١).

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٤)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤١)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٤)، الهداية: لمكي بن أبي طالب(٩/ ٥٦٩٩).

﴿ **كِسَفًا** ﴾: أي: قطعاً ، ومتراكماً بعضه على بعض ، أو في سماء دون سماء. وكلها معاني محتملة[١].

﴿ **الْوَدْقَ** ﴾: يعني: القطر، والمطر، وقيل: البرق[٢].

﴿ **يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** ﴾: أي: من بينه[٣].

﴿ **لَمُبْلِسِينَ** ﴾: متحيرين، يائسين[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) التعبير بصيغة المضارع في: ﴿ **يُرْسِلُ** ﴾، ﴿ **فَتُثِيرُ** ﴾، ﴿ **فَيَبْسُطُهُ** ﴾، ﴿ **يَجْعَلُهُ** ﴾؛ لاستحضار الصور العجيبة في تلك التصرفات حتى كأن السامع يشاهد تكوينها مع الدلالة على تجدد ذلك.

٢) جمع الرياح؛ لما شاع في استعمالهم من إطلاقها بصيغة الجمع على ريح البشارة بالمطر[٥].

٣) ﴿ **مِنْ قَبْلِهِ** ﴾ تكرير، يفيد التوكيد[٦] .

رابعًا: القراءات

❖ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر بالإفراد بغير ألف ﴿ **الرِّيحِ** ﴾، وقرأ الباقون بالجمع بالألف ﴿ **الرِّيَاحَ** ﴾[٦] **والحجة أنه:** ما كان بالجمع رحمة، وما كان بالإفراد عذاب[٨].

❖ قرأ أبو جعفر، وابن عامر براوييه ابن ذكوان وهشام بخلف عنه بإسكان السين ﴿ **كِسْفًا**﴾، والباقون بالفتح ﴿ **كِسَفًا** ﴾، ومعنى القراءتين واحد[٩].

---

(١) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢١)، التبيان: لابن الهائم (٢٦١).

(٢) **انظر**: تفسير مجاهد (٥٤٠)، النكت والعيون (٤/ ٣٢١)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٢).

(٣) **انظر**: مجاز القرآن (٢/ ١٢٤)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٢).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٩)، ياقوتة الصراط: لغلام ثعلب (٤٠٤).

(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٢٠-١٢١).

(٦) **انظر**: معانى القرآن: للأخفش (٢/ ٤٧٦)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٥).

(٧) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٠).

(٨) **انظر**: المفردات: للراغب (٣٧٠)، الجامع: للقرطبي (١٤/٤٤).

(٩) **انظر**: المبسوط: لابن مهران (٣٤٩)، النشر: لابن الجزري (٢/٣٠٩)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٠).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام نعمته أنه ﴿ **يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا** ﴾ من الأرض، ﴿ **فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ أي: يمده ويوسعه ﴿ **كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ أي: على أي حالة أرادها من ذلك ثم ﴿ **يَجْعَلُهُ** ﴾ أي: ذلك السحاب الواسع ﴿ **كِسَفًا** ﴾ أي: سحابا ثخينا قد طبق بعضه فوق بعض. ﴿ **فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ** ﴾ أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما أتت عليه. ﴿ **فَإِذَا أَصَابَ بِهِ** ﴾ بذلك المطر ﴿ **مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ يبشر بعضهم بعضا بنزوله؛ وذلك لشدة حاجتهم، وضرورتهم إليه فلهذا قال: ﴿ **وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** ﴾ أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم عندهم وفرح واستبشار[(١)].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. إنشاء السحاب واحياء الأرض وارسال الرياح، كله هذا دليل على قدرة الله التي يعجز عنها المخلوقون[(٢)].
٢. تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة والحجج العقلية؛ لتقريبها للأذهان، والأفهام.
٣. بيان كيفية إنشاء السحاب ونزول المطر، وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم الإلهي، وهو وجه من وجوه الإعجاز العلمي في العصر الحديث.
٤. اضطراب أحوال الكفار، وتناقضها، في الشدة يقنطون وفي الرخاء يكفرون، ويتنعمون في ملك الله ويعبدون غيره، وما ذلك كله إلا لفساد قلوبهم ولجهلهم بالله تعالى وآياته[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٤).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٨٩).

(٣) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩١)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٠٨-١٠٩).

المطلب السادس

من دلائل وحدانية الله إحياء الموتى

قال تعالى: ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥٠، ٥١]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ضرب الله ﷻ أمثلة من الطبيعة والكون على قدرته في إنزال المطر الذي تحيا به نفوس ومعنويات البشر فتستبشر بعد إبلاسها، ليجعلها تمهيداً لتقرير هؤلاء المشركين بقدرة الله على البعث، وإحياء الموتى، وبين أيضا عدم دوامهم على حالة الاستبشار، بل لو أصاب زرعهم ريح مصفر لكفروا فهم منقلبون غير ثابتين لنظرهم إلى الحال لا إلى المآل[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ** ﴾: يعني: آثار المطر، والغيث[٢].

﴿ **يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾: جعلها تنبت بعد جدبها[٣].

﴿ **فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا** ﴾: فيه قولان: أحدهما: فرأوا السحاب مصفراً، الثاني: فرأوا الزرع مصفراً جافاً بعد اخضراره[٤].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٠٩).

(٢) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٢)،جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٦)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٠).

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٦).

(٤) **انظر**: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٦)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢١)، الوجيز: للواحدي (٨٤٥)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٢).

ثالثًا: اللطائف

١) بعد التعبير عن حدث الإحياء بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار ﴿ **يُحْيِ** ﴾، ذكر الاسم الدال على ثبوت الصفة ﴿ **لَمُحْيِ** ﴾ ثم جاء بكل صفات الكمال في ﴿ **وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، ليدلل على اتصاف الله ﷻ بصفات الكمال في كل الأوقات.

٢) لم يعبر الله ﷻ عن إرسال الرياح بالفعل ﴿ **يُرْسِلُ** ﴾ كما في الآية السابقة، بل عبر بإنْ الدالة على الشك، والفعل الماضي الدال على الانتهاء فقال سبحانه :﴿ **وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا** ﴾؛ وذلك لأن المقصود بالريح هنا هي ريح الشر ونادراً ما تحدث، ونادراً ما يُسلِّطها الله على عباده(١).

رابعًا: القراءات

❖ قرأ نافع، ويعقوب، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وأبو بكر شعبة، بالإفراد بغير ألف ﴿ **فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ** ﴾، **وحجتهم:** أن الواحد ينوب على الجميع، ولأنه مضاف إلى مفرد.

❖ وقرأ الباقون، بالجمع ﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ** ﴾، **وحجة الجمع:** لأن رحمة الله يجوز أن يراد بها الكثرة(٢).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يأمرنا الله بالنظر في آثار نعمته، و﴿ **كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج كريم، ثم يخبر فيقول ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ** ﴾ الذي أحيا الأرض بعد موتها ﴿ **لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ فلا يعجز الله سبحانه شيء ؛ لأن قدرته مطلقة سبحانه، وإن لم يفهم البشر هذا إنما هو لقصر عقولهم، ومن ثم أيضاً يخبر تعالى عن حالة الخلق وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها، ونشر رحمة الله تعالى فلو أرسلنا على هذا النبات

---

(١) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٥١٧، ١١٥١٩).

(٢) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٥)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦١).

الناشئ عن المطر، وعلى زروعهم ريحًا مضرة متلفة أو منقصة، ﴿ **فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا** ﴾ قد تداعى إلى التلف ﴿ **لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ فينسون النعم الماضية ويبادرون إلى الكفر[١].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. الاستدلال على البعث، بأسلوب منطقي، منتزع من واقع الناس، ومن المشاهد التي يرونها في حياتهم، ليقررهم بالمشاهد الغائبة عنهم، القادر على إحياء الأرض الموات قادر على إحياء الأموات[٢].
٢. الكفر بأنعم الله ﷻ مطبوع في نفوس المشركين، وإن تظاهروا بالإيمان في بعض الأوقات التي يصيبهم بها الضر، ودليل ذلك سرعة عودتهم إلى ما كانوا عليه إذا كشف الله سبحانه وتعالى عنهم العذاب والضر.
٣. من أحوال الكفار والمشركين جريان عبارات السخط والقنوط على أقوالهم؛ لذلك يبتعد المسلم عن التشبه بهم.
٤. الواجب على المسلم أن يتوكل على الله تعالى في كل حال، ويلجأ إليه بالاستغفار إذا احتبس عنه القطر أو أي شيء من أشياء الدنيا، ولا ييأس من روح الله تعالى ويبادر إلى الشكر بالطاعة إذا أصابته رحمة ولا يفرط في الاستبشار، وأن يصبر على بلائه فلا يكفر عند نزول البلاء[٣].

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٤).

(٢) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢١)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٩٨).

(٣) **انظر**: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٢٤-١٢٥)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٦٥).

المطلب السابع

التوفيق للهداية بيد الله وحده

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٥٢، ٥٣]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما أعلم الله سبحانه رسوله ﷺ بأدلة توحيده، وضرب له الأمثلة عليها، ورغب ورهب، وبين له حال المشركين وإصرارهم على الكفر وعدم الإيمان رغم الأدلة والبراهين سواء المرئية التي شاهدوها في الكون، أو الآيات التي سمعوها من الرسل؛ عندها بين الله ﷻ أن التوفيق للهداية بيده، وأن أمرهم ليس لأحد غيره سبحانه؛ وذلك ليربط على فؤاد نبيه ﷺ ويسليه عم يلقاه من الاعراض عن دعوته، ومثل له حال هؤلاء المشركين بثلاثة أصناف من الناس، وهم الميت، والأصم، والأعمى، والمعلوم أن إرشاد الميِّتِ محالٌ والمحالُ أبعد من الممكن، وكذا إرشاد الأصمِّ والأعمى من الأمور الصعبة؛ لذلك لم يستفيدوا من الدعوة ولم يؤمنوا(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **الصُّمَّ** ﴾: من الصَّمَمُ: وأصل الصَّمَمُ الانسداد ، يقال قناة صماء ، إذا لم تكن مجوفة، وصممت القارورة، إذا سددتها، **فالأصم**: من انسدَّتْ خروق مسامعه، وفقد حاسّة السّمع، وبه يوصف من لا يُصغِي إلى الحقّ ولا يقبله(٢).

﴿ **وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾: أَي: معرضين(٣).

﴿ **بِهَادِ** ﴾: يحتمل معنيين: بصارف، وبمانع(٤).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٠)، اللباب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٤٢٨)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٢٤).

(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٤٩٢)، النكت والعيون: للماوردي (١/ ٨١).

(٣) **انظر**: تنوير المقباس: للفيروز أبادي (٣٤٣)، تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٢١).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٦)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٧).

﴿ **الْعُمْيِ** ﴾: العَمَى: يقال في افتقاد البصر عَمًّا من شَأْنه أَن يبصر، وفي افتقاد البصيرة، ويقال في الأوّل: أَعْمَى، وفي الثاني: أَعْمَى وعَمٍ[١].

﴿ **مُسْلِمُونَ** ﴾: يعني: مخلصون، خاضعون، متذللون لله ﷻ [٢].

ثالثًا: اللطائف

١) ﴿ **فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ... الآية** ﴾ استعارة تصريحية[٣]، حيث شبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم، وبالصم في عدم سماعهم للمواعظ والبراهين[٤].

٢) تخصيص عدم السماع من الأصم في حال الإدبار، مع أنه لا يسمع سواء أقبل أو أدبر؛ وذلك لأنه إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة، فإذا ولى وأدبر لا يسمع ولا يفهم بالإشارة[٥].

رابعًا: القراءات

١ - ﴿ **وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ** ﴾

❖ قرأ ابن كثير ﴿ **وَلَا يَسْمَعُ** ﴾ بالياء وفتحها، ورفع ﴿ **الصُّمُّ** ﴾، أي: لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم ما يقال له.

❖ وقرأ الباقون ﴿ **وَلَا تُسْمِعُ** ﴾ بالتاء وضمها، ونصب ﴿ **الصُّمَّ** ﴾ على أنها خطاب لرسول الله ﷺ، وحجتهم ما ذكره في أول الآية، وهو قوله: ﴿ **فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾[٦].

---

(١) **انظر**: المفردات: للراغب (٥٨٨)، الكليات: للكفوي (٢٥).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٧)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٨).

(٣) **الاستعارة التصريحية** : هي التي يذكر فيها المشبه به مع ذكر القرينة، نحو: لقيت أسدًا في الحمام، وإذا قلنا: المنية، أي الموت، أنشبت، أي علقت أظفارها بفلان، فقد شبهنا المنية بالسبع في اغتيال النفوس. [**انظر**: التعريفات: للجرجاني (٢٠)].

(٤) **انظر**: التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٥)، الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣١٦)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥).

(٥) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٢١)، مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧٠٦).

(٦) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦١)، الحجة للقراء: لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٤٩)، الحجة في القراءات: لابن خالويه (٢٤٨-٢٤٩).

٢- ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ** ﴾

- قرأ حَمْزَة ﴿ **بِهَادِ** ﴾ بِالتَّاءِ مَفْتُوحَة وإسكان الْهَاء من غير ألف هكذا **(تَهْدِي)**، ويفتح ياء ﴿**الْعُمْيَ**﴾ على النصب.
- وَالْبَاقُونَ بِالْبَاء مَكْسُورَة وَفتح الْهَاء وألف بعْدهَا ﴿ **بِهَادِ** ﴾، وخفض ياء ﴿ **الْعُمْيِ** ﴾[١].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يسلي الله ﷻ نبيه في هذه الآيات فيضرب له المثل في الكفار الذين لم يؤمنوا به سبحانه، فيخبره عن حالهم أنهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، ولا يبصرون فلن تقدر أن تفهمهم، فهون عليك فإنك قد أديت ما أرسلت به، وإن الله قد ختم الله على سمعهم وأبصارهم، فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، وكذلك هم كالأصم إذا ولى مدبراً هل يسمعك أو يفهمك، فمن أعماه الله عن الحق والاستقامة لن يستطيع ولن يقدر أحد أن يسدده، إنما أنت تُسمع وتُفهم فقط من آمن بآياتنا؛ لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبَّره وفهمه وعقله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله الذي حدّ فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع، فيكون حالهم الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له، ولمواعظه، وأوامره، ونواهيه[٢].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. اتصاف المؤمن بالحياة والسمع؛ لانتفاعهم بها في الإيمان بالله، وقبول الحق والعمل به، ولأن المؤمن ترد على قلبه أمطار البراهين فتنبت في قلبه العقائد الحقة، ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الأفعال الحسنة، وتختفي السيئة[٣].
٢. بيان أن الكفار أموات، ولذا هم لا يسمعون ولا يبصرون[٤].

---

(١) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦١)، التيسير: للداني (١٦٩).
(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٦-١١٧)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٠).
(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١١)، تيسير الكريم للسعدي (٦٤٤).
(٤) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩١).

٣. الرد على المعتزلة القدرية[١] بإثبات المشيئة والإرادة لله ﷻ، فإنهم قالوا الله يريد من الكل الإيمان، غير أن بعضهم يخالف إرادة الله[٢].

٤. انقسام الخليقة إلى مؤمنين بالله ﷻ، كافرين به، وأن إيمان المؤمن إنما هو بتوفيق الله.

٥. أن يستمر الداع في دعوته، وألا ينظر للنتائج، فهي بيد الله وحده، فقد تعبدنا الله بأن ندعو إليه، ولم يتعبدنا بالنتائج.

المطلب الثامن

أطوار خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

ولما دل سبحانه على قدرته على البعث بوجوه من الدلالات والحجج، وأعاد من الدلائل التي مضت دليلا من دلائل الآفاق، وهو إرسال الرياح وذكر أحوال الريح من أوله إلى آخره أعاد دليلا من دلائل الأنفس وهو خلق الآدمي وذكر أحواله، فكان دليلاً من الأدلة الجامعة على قضية البدء والإعادة[٣].

---

(١) **هم:** أصحاب واصل بن عطاء الغزالي، اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وقد زعموا ان الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله ﷻ في اكسابهم ولا في أعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير؛ ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية، ومنها اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وهى أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر؛ ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها. **[انظر:** التعريفات: للجرجاني (٢٢٢)، الفرق بين الفرق: لعَبْد القَاهر البَغْدادي (٩٤)].

(٢) **انظر:** مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١١)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٤٦).

(٣) **انظر:** مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١١)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٢٧).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مِنْ ضَعْفٍ** ﴾: الضَّعْفُ: خلافُ القوّة، وقد ضَعُفَ فهو ضَعِيفٌ[١]، **والمقصود به في الآية على وجهين:** الأول: أي، من نطفة وماء مهين، والثاني: أي، في حال ضعف، وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر، أي صغارًا أطفالًا[٢].

﴿ **قُوَّةً** ﴾: أي: شبابًا[٣].

﴿ **ضَعْفًا وَشَيْبَةً** ﴾: أي: هرماً وكبراً، **والشيبة:** مصدر كالشَّيب، أي: الشمط[٤].

ثالثًا: اللطائف

١) الطباق بين ﴿ **ضَعْفٍ**. . . **قُوَّةً** ﴾.
٢) صيغة المبالغة ﴿ **الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾؛ لأن معناه المبالغ في العلم والقدرة[٥].
٣) تنكير ﴿ **ضَعْفٍ** ﴾ و﴿ **قُوَّةً** ﴾ للنوعية فـ﴿ **ضَعْفٍ** ﴾ المذكور ثانياً هو عين ﴿ **ضَعْفٍ** ﴾ المذكور أولاً، و﴿ **قُوَّةً** ﴾ المذكورة ثانياً عين ﴿ **قُوَّةً** ﴾ المذكورة أولاً[٦].

رابعًا: القراءات

﴿ **مِنْ ضَعْفٍ** ﴾: **قرأ** عاصم وحمزة بفتح الضاد في المواضع الثلاثة، واختلف فيه عن حفص فروى عنه أنه اختار فيها الضم أيضاً خلافاً لعاصم فيكون له الوجهين، و**قرأ** الباقون بالضم ﴿ **مِنْ ضُعْفٍ** ﴾[٧].

---

(١) المفردات: للراغب (٥٠٦).
(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١١٨)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٨)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٤٦)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٥).
(٣) **انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٠٧)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٢) معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩١).
(٤) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٥)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٤)، التفسير البسيط: للواحدي (١٨/ ٨٣).
(٥) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥)، التفسير المنير: للزحيلي (١١٣/٢١).
(٦) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٢٨).
(٧) النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٥).

خامسًا: المعنى الإجمالي

((ينبه الله تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاماً ثم يكسى لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى. ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة[١]، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة؛ ولهذا قال: ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾ أي: يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد، ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾))[٢].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. ((الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة، وصفة إلى صفة، أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر))[٣].
٢. ((تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية التي لا ترد بحال))[٤].
٣. بيان أطوار خلق الإنسان، حيث يمر بمراحل ثلاث، متفاوتة هبوطا وصعودا، ضعفا وقوة، لا يبقى على حال واحدة، وإنما يتغير، وهذا دليل على القدرة المطلقة لله سبحانه في خلقه[٥].
٤. كما أن خلق الإنسان قد مر بأطوار ومراحل مختلفة، كذلك بناء الدول والممالك تمر بمراحل وأطوار يجب أن يفطن لها الإنسان، وكذلك البناء العلمي وغيره من الأشياء؛ لذلك يجب أن يتماشى الإنسان وفق هذه الأطوار فلا يقفز قفزات مستعجلة غير حكيمة تؤدي إلى هلاكه وهلاك بنائه.

---

(١) **اللِّمَّةُ:** الشَّعْر إذا جَاوز شحمة الْأُذُنَيْنِ فَهِيَ لِمَّة، وعَنِ الْأَصْمَعِيِّ: اللِّمَّةُ أَكْثَرُ مِنَ الْوَفْرَةِ. **[انظر:** جمهرة اللغة: لابن دريد (١/ ١٦٨)، غريب الحديث: للحربي (١/ ٣٢١)].

(٢) تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٢٧).

(٣) الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٨٦).

(٤) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٣).

(٥) **انظر:** أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١١٥).

المبحث السادس

نـهاية المجرمين وصبر المؤمنين

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أحوال الناس يوم القيامة

المطلب الثاني: موقف الكفار من الآيات

المطلب الثالث: حض النبي ﷺ على الصبر

المطلب الأول

أحوال الناس يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم: ٥٥ – ٥٧]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله تعالى قدرته على البعث بشتى الأدلة والبراهين، أردف بذكر أحوال الناس يوم القيامة من الأشقياء والسعداء؛ ليكون في ذلك عبرة لمن يَذَّكَر[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يُقْسِمُ** ﴾: ((يحلف))[(٢)].

﴿ **لَبِثُوا** ﴾: ((اللبث بِالْمَكَانِ: الْإِقَامَة بِهِ ملازما لَهُ))[(٣)].

﴿ **سَاعَةٍ** ﴾ ((الوقت القليل من الزمان))[(٤)].

﴿ **يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾: يوم القيامة[(٥)].

﴿ **مَعْذِرَتُهُمْ** ﴾: من مادة (عَذَرَ)، وهو: رَوْمُ[(٦)] الإنسانِ إِصْلَاحَ مَا أُنْكِرَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ، وَالِاسْمُ

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١١)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٢٨)، تفسير المراغي (٢١/ ٦٦).

(٢) معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٦)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩١)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٨).

(٣) الكليات: للكفوي (٤٣٤).

(٤) المفردات: للراغب (٤٣٤).

(٥) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٣).

(٦) **الرَّوْمُ**: طَلَبُ الشَّيْءِ. [العين: للفراهيدي (٨/ ٢٩١)].

الْعُذْرُ، وأصل العذر إزالة الشيء عن جهته اعتذر إلى فلان فعذره، أي: أزال ما كان في نفسه عليه في الحقيقة أو في الظاهر. والتعذيرِ في الأمر: التقصير فيه[١].

﴿ **يُسْتَعْتَبُونَ** ﴾: يطْلب مِنْهُم العتبى، أي: الرِّضَا، والرُّجُوع عَن الذَّنب والإساءة[٢].

ثالثًا: اللطائف

١) الجناس التام في قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ .... مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾، فالمراد بالساعة أولاً القيامة، وبالثانية المدة الزمنية[٣].

٢) ذكر الإيمان بعد العلم في قوله ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ** ﴾؛ تنبيهاً عليه، وتشريفا لأمره[٤].

٣) تكرير الألفاظ الدالة على أسماء يوم القيامة، وإضافة البعث ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** ﴾، ﴿ **إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾، ﴿ **فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ** ﴾، ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ** ﴾، للتأكيد على قضية البعث، وترسيخها في النفوس، وترهيب الكفار والمشركين من هذا اليوم.

رابعًا: القراءات

﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ .... الآية** ﴾

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بالياء على التذكير ﴿ **يَنْفَعُ** ﴾، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ﴿ **تَنْفَعُ**﴾.[٥] **والحجة** لمن قرأ بالتاء إنما هو لمراعاة اللفظ، حيث إن لفظ **(المعذرة)** مؤنث فتم تأنيث الفعل من أجله، **وأما حجة** من قرأ بالياء فلأنه مصدر **(كالعُذر)**، فذهب إلى المعنى لا إلى اللفظ[٦].

---

(١) **انظر**: مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/ ٢٥٣)، الصحاح: للجوهري (٢/ ٧٤٠)، الفروق اللغوية: للعسكري (٢٣٥).

(٢) **انظر**: غريب القرآن: للسجستاني (٥٣٧)، المعجم الوسيط: لمجمع اللغة (٢/ ٥٨٢).

(٣) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٥)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١١٦).

(٤) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٤).

(٥) النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٦).

(٦) **انظر**: معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٦٦).

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله عن يوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، وعن حال المجرمين الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وحلفهم بالله أنهم ﴿ **مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ أي: في قبورهم، فهم كذلك في الدنيا ﴿ **كَانُوا يُؤْفَكُونَ** ﴾ يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: ﴿ **لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ أي: في كتاب الأعمال، ﴿ **إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾ أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، ﴿ **فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ** ﴾ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿ **وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ أنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون، فيوم القيامة حين تبعثون من قبوركم ﴿ **لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ** ﴾ يعني: المكذّبين بالبعث في الدنيا ﴿ **مَعْذِرَتُهُمْ** ﴾، وهو قولهم: ما علمنا أنه يكون، ولا أنا نُبعث، ﴿ **وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** ﴾ يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُسترجعون يومئذ عما كانوا يكذّبون به في الدنيا[1].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. توكيد البعث وإنذار للكافرين بهوله، ولسوف يقف المجرمون أمام الله.
٢. بيان أن معذرة الظالمين إذا جاء الموت أو يوم القيامة لا تقبل منهم، ولن ينفعهم ما يقدمون من أعذار، ولن يطلب منهم الاستعتاب والتوبة.
٣. فضل العلم والإيمان وأهلهما، في الدنيا والآخرة.
٤. طبع الله على قلوب الكفار وختم عليها بالخاتم فلا يدخلها نور لأنهم مردوا على التكذيب والعناد، وملئت عقولهم بالخرافات والضلالات.
٥. قصر عمر الدنيا إذا قورن بعمر الآخرة، لذلك يغتنمها الإنسان في طاعة الله.
٦. قوله تعالى: ﴿ **ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ** ﴾ لا يعني إنكار عذاب القبر أو التهوين من شأنه.

---

(١) **انظر**: جامع البيان للطبري (٢٠/ ١١٨-١١٩)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٢٨).

٧. الواقع خير شاهد ودليل، لذا يقول المؤمنون للكفار: إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه[١].

المطلب الثاني

موقف الكفار من الآيات

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٨، ٥٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما وضحت هذه السورة طرق الإيمان، ودلائل الوحدانية، وإثبات البعث، عقب ذلك بالتنويه بالقرآن، وبلوغه الغاية القصوى في البيان والهدى، فلم يُبْقِ لأحد عذرٌ ولا شيئٌ من إشكال، ومع هذا فإن موقف الكفار من هذه الآيات هو الكفر والتكذيب[٢].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مُبْطِلُونَ** ﴾: يقال: أبطل الرجل إذا جاء بالباطل. وأكذب إذا جاء بالكذب. والمعنى: كاذبون، ومزورون[٣].

﴿ **يَطْبَعُ** ﴾: من طَبَعَ، والطبع على القلب: هو الختم عليه، وتصييره غير قابل لفهم الأمور الدينية[٤].

---

(١) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٦٢)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١١٨-١١٩)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٣)، التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ٣٩).

(٢) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٣٤-١٣٥)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٣- ١٣٤).

(٣) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٩)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١١).

(٤) **انظر**: غريب القرآن: للسجستاني (٣١٦)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٤).

ثالثًا: اللطائف

١) صيغة الإفراد في ﴿ **وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ ...** ﴾، ثم الانتقال إلى صيغة الجمع في ﴿ **إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ** ﴾ فلم يقولوا لرسولهم مثلاً: أنت مبطل؛ وذلك لأن الرسول حين يُكذِّبه قومه فيقولون: أنت مبطل، فلعل من أتباعه المؤمنين به مَنْ يدافع عنه ويشهد بصدقه، فجاءت صيغة الجمع لتفيد الشمول، فكأنهم يقولون: أنت مبطل وكل مَنْ (يتشدد لك)، أو يكون المعنى ﴿ **إِنْ أَنتُمْ ..**﴾ يعني: كل الرسل ﴿ **مُبْطِلُونَ** ﴾ أي: كاذبون.

٢) وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون، فلماذا يختم على قلوبهم، ولماذا يحاسبهم؟؛ وذلك لأن عدم العلم نتيجة غفلتهم وتقصيرهم، فإن الله قد أقام لهم الأدلة والآيات الكونية الدالة على وجوده تعالى، فلم ينظروا في هذه الآيات، ولم يؤمنوا بها[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن ضربه الأمثال للناس في هذا القرآن؛ احتجاجًا عليهم، وتنبيهًا لهم عن وحدانية الله. ومن ثم يخاطب نبيه ﷺ ﴿ **وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ** ﴾ أي: بدلالة على صدق ما تقول ﴿ **لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ** ﴾ يقول: ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوّتك، إن أنتم أيها المصدّقون محمدًا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور. ثم يبين الله جزاء الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، هو الختم على قلوبهم فلا يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. من سنن الله سبحانه في خلقه دعوتهم، وإرشادهم للحق بشتى الأمثال المتعددة، وشتى ألوان الأدلة المشاهدة؛ ليستدلوا بها على غير المشاهد، ليأخذوا من مرائيهم، ومن حواسهم دليلاً

---

(١) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٥٣، ١١٥٥٦).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٢٠).

على ما غاب عنهم؛ لئلا يكون هناك عذر أو حجة لأحد ممن كفروا برسلهم، وهذا من صميم العدل الإلهي.[١]

٢. تعجل الكفار إلى تكذيب النبي ﷺ إذا ما أنزلت عليه آية، والقول إن ما جاء به باطل؛ لأن هذا هو شأن الجاهل الضّال المنغلق قلبه، والمعمية بصيرته.[٢]

٣. خطر الجهل في الدين، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهتدون إلى سبل الخير وطريق السعادة والكمال؛ لذلك جاءت الآيات والأحاديث بالحث على طلب العلم.

٤. أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه فيصبح لا يفهم ولا يعقل شيئا.[٣]

٥. الخَتْم على قلوب المشركين لا يكون إلا بعد استنفاد كل وسائل الدعوة، فلم يستجيبوا فلا أملَ في هدايتهم ولا جدوى من سماعهم.[٤]

٦. أهمية فهم أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد، والتي من ضمنها ضرب الأمثال، لنسهم في نجاح الدعوة وتفوقها.

٧. مراعاة الخطاب القرآني لبيئة المدعوين، حيث يستخدم أساليب موجودة في بيئة المخاطب، ولكن بطريقة عرض جديدة، ويضرب المثل بالأشياء المشاهدة لديهم.

---

(١) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٨/ ١١٥٤٧)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٥).

(٢) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٦٣).

(٣) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٥-١٩٦).

(٤) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٥٥).

المطلب الثالث

حض النبي ﷺ على الصبر

قال تعالي: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ [الروم: ٦٠]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما اشتد عناد الكفار، ولم يؤمنوا ويصدقوا بالنبي ﷺ، وما جاء به من الحق، خاصة وبعد ظهور الأدلة الساطعة، أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على هؤلاء الجاهلين، وعدم الالتفات إلى عنادهم، وأنسه وسلاه بتحقيق وعده من الانتقام من المكذبين، ونصره عليهم(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ** ﴾: من الخفة: أي لا تضطرب لكلامهم، ولا يستفزنك(٢).

﴿ **لَا يُوقِنُونَ** ﴾: على وجهين: أي: لا يؤمنون، أو شاكون لا يصدقون(٣)، وعلى كلا الوجهين فالمعنى واحد فإن الإيمان في اللغة هو التصديق(٤).

ثالثًا: اللطائف

التناسق والترابط المعجز بين أول السورة، وآخرها، فكما افتتحت بالوعد بالنصر في قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٤، ٥، ٦]، فقد ختمت بالوعد بالنصر أيضًا(٥) .

---

(١) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٠٣)، تفسير المراغي (٢١/ ٦٨)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٣٥).

(٢) **انظر**: التسهيل: لابن جزي (٢/ ١٣٦)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٢).

(٣) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ١٩)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٤) **انظر**: مختار الصحاح: للرازي (٢٢).

(٥) **انظر**: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٠٣)، التفسير الحديث: لدروزة (٥/ ٤٦٤).

رابعًا: القراءات

قرأ رويس بتخفيف النون في ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنْكَ** ﴾، وقرأ الباقون بتشديدها ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ** ﴾[١].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر عن ما يناله من أذى المشركين، وأن يبلِّغهم رسالة ربه، ثم يقول له إن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبَّاعك في الأرض حقّ، فالواجب عليك وأصحابك الثبات، وأيضاً ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ أي: لا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله، والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته[٢].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. وجوب الصبر والتزام الحلم والأناة مهما جهل الجاهلون[٣].
٢. أوقات الشدة هي إبتلاء وتمحيص؛ للتمييز بين الصادقين والكاذبين، حتى لا يبقى تحت راية لا إله إلا الله إلا الصناديد الأقوياء القادرون على حمل هذا اللواء إلى العالم كله، وحتى تنفي الخَبث عن هذا الدين من المنتفعين وغيرهم من أصحاب الأغراض والحاجات[٤].
٣. ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ إشارة إلى وجوب مداومة النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء إلى الإيمان فإنه لو سكت لقال الكافر إنه متقلب الرأي، لا ثبات له[٥].
٤. عدم الاستعجال في رؤية ثمرات الجهد الدعوي، وقطف الثمرات، وتأخير النصر لا يعني ترك الدعوة.
٥. الثبات على الحق في وجه الكفار والمشركين، وعدم الانخداع بوسائلهم، أو مجاراتهم في باطلهم، فإن الثبات دعوة بلسان الحال.

---

(١) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، المبسوط: لابن مهران (١٧٣).
(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٢٠).
(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٦).
(٤) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٥٨).
(٥) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٣).

٦. الكثرة ليست دليلاً على صحة المنهج المعتقد، كما أن القلة لا تنبئ عن بطلان المنهج، فقد جاء الخطاب للنبي مفرداً ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ** ﴾، ولم يكن أتباعه كثر، ووصف الكفار الذين على الباطل بلفظ الجمع ﴿ **الَّذِينَ** ﴾.

الفصل الثالث

تربية الأبناء

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: خصائص القرآن و صفات المحسنين

المبحث الثاني: الجزاء من جنس العمل

المبحث الثالث: قصة لقمان ووصاياه لابنه

المبحث الرابع: دلائل التوحيد والتحذير من دعوة الشيطان

المبحث الأول

خصائص القرآن و صفات المحسنين

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: خصائص القرآن

المطلب الثاني: صفات المحسنين وثمارها الطيبة

المطلب الأول

خصائص القرآن

قال تعالى:﴿ الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان:١، ٣]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن أشار الله سبحانه في أواخر الروم إلى القرآن وكونه معجزة، وضرب فيه شتى أنواع الأمثال، ومع ذلك كذب به الكفار، عندها أخذ الله يسلي النبي ﷺ بأمره بالصبر والثبات، وجعل يعدد له في بداية سورة لقمان خصائص القرآن من الإحكام، والهدى، والرحمة، ومع هذه الصفات لا ينتفع به إلا أهل الطاعات(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **الْكِتَابِ** ﴾: القرآن(٢).

﴿ **الْحَكِيمِ** ﴾: من الحكمة، والحكيم- بزنة فعيل- مأخوذ من الفعل حكم بمعنى منع، تقول: حكمت الفرس، إذا وضعت الحَكَمَة في فمها لمنعها من الجموح والشرود. **والمعنى هنا على أربعة أوجه: أحدها:** المحكم أَحكمت آياته بالحلال والحرام والأحكام. **الثاني:** المتقن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو قريب من المعنى الأول. **الثالث:** البين أنه من عند الله. **الرابع:** أنه يظهر من الحكمة بنفسه كما يظهره الحكيم(٣)، وهذه المعاني يحتملها النص كلها.

﴿ **هُدىً** ﴾: يعني: بياناً من الضلالة(٤).

﴿ **لِلْمُحْسِنِينَ** ﴾:هم الذين يَفْعلون هذه الطاعاتِ، ويحسنون العمل بما أنزل الله في هذا القرآن(٥).

---

(١) **انظر:** مفاتيح الغيب: الرازي (٢٥/ ١١٤).

(٢) مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٦).

(٣) **انظر:** الفروق اللغوية: للعسكري (١٧٤)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٠٩)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٦).

(٤) بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٠).

(٥) **انظر:** جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٢٤)،الدر المصون: للسمين الحلبي (٩/ ٦٠).

ثالثًا: اللطائف

١) التعبير بالمصدر عن اسم الفاعل في قوله: ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ** ﴾؛ وذلك للمبالغة في الهداية، والرحمة.

٢) ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ** ﴾ أشار إلى الآيات القريبة **{بتلك}** الدالة على البعد، ولم يشر إليها **{بهذه}** الدالة على القرب؛ لبيان علو الرتبة، ولسمو ورفعة القدر والشأن[١].

رابعًا: القراءات

﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً** ﴾

قرأ حمزة ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةٌ** ﴾ بالرفع، على معنيين: أحدهما على إضمار هو هدى ورحمة، والثاني تلك هدى ورحمة للمحسنين. وقرأ الباقون ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً** ﴾ بالنصب على الحال، فيكون المعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية[٢].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى ﴿ **آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير، وأنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها، وقد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. ومع كل هذا الإحكام والإتقان، إلا أن أكثر الناس محرومون الاهتداء بها، معرضون عن الإيمان والعمل بها، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق. فإنه ﴿ **هُدًى** ﴾ لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق الجحيم، ﴿ **وَرَحْمَةً** ﴾ لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء[٣].

---

(١) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٩)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٢٧).

(٢) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٦)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٣).

(٣) تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٦) بتصرف يسير.

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. بيان إعجاز القرآن حيث أُلِفَ من مثل آلم، وص، وطس، ولم يستطع خصومه تحديه، وهذا على حد من قال بأن هذه الحروف إنما جاءت للتحدي والإعجاز.
٢. بيان أن القرآن بيان للهدى المنجي المسعد، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه[١].
٣. ((هذا القرآن ممتنع أن يتطرق إليه الفساد، ومبرأ من الخلل والتناقض والاختلاف))[٢].
٤. لن تتحصل البشرية على الهداية والرحمة، إلا بالقرآن الكريم واتباع ما جاء فيه من الأحكام والتشريعات والعقائد والأخلاق فإنها من عند حكيم خبير يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده.

المطلب الثاني

صفات المحسنين وثمارها الطيبة

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان: ٤، ٥]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر الله سبحانه أن الهداية والرحمة تكون للمحسنين، ثم بين الله ﷻ صفاتهم من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، واليقين بالبعث وبكل ما جاء به[٣].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يُقِيمُونَ** ﴾: الْإِقَامَة: ((من أَقَامَ الشَّيْء إِذا قومه وسواه، أَو من أَقَامَهُ إِذا أدامه وَاسْتمرّ عَلَيْهِ، أَو من قَامَ بِالْأَمر وأقامه: إِذا جد فِيهِ وتجلد))[٤].

---

(١) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٨)، بتصرف يسير.
(٢) التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١١٠).
(٣) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٥)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٦٨).
(٤) الكليات: للكفوي (١٦٠).

﴿ **الصَّلَاةَ** ﴾: هي: الدعاء في قول الأكثرين[١]، **وفي الشرع** هي: الأركان المعهودة المقصودة، أو عبارة عن أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة[٢].

﴿ **يُؤْتُونَ** ﴾: الإيتاء: الإعطاء[٣].

﴿ **الزَّكَاةَ** ﴾: أصل الزَّكَاةِ: النّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، يقال: زَكَا الزّرع يَزْكُو: إذا حصل منه نموّ وبركة. وفي الشرع: عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالكٍ مخصوص[٤].

ثالثًا: اللطائف

١. الإطناب في قوله: ﴿ **وَهُمْ بالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ أولئك على هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾، وذلك بتكرار ضمير الغيبة ﴿ **هُمْ** ﴾، واسم الإشارة ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾؛ لزيادة الثناء عليهم والتكريم لهم.
٢. قوله تعالى: ﴿ **وأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ يفيد الحصر، أي: هم المفلحون لا غيرهم[٥].
٣. تنكير ﴿ **هُدًى** ﴾ للتعظيم[٦].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن نعت وصفات المحسنين، فهم ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ** ﴾ يعني: يقرون بالصَّلاةَ المفروضة ويتمونها بحدودها، ثم وصفهم بأنهم ﴿ **يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ المفروضة عليهم في أموالهم، ووصفهم بالإيمان بالبعث فقال ﴿ **وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور بيّن لهم طريقهم ووفّقهم لذلك

---

(١) **انظر**: جمهرة اللغة: لابن دريد (٢/ ١٠٧٧)، الزاهر: لأبي بكر الأنباري (١/ ٤٥).
(٢) **انظر**: أنيس الفقهاء: لابن الرومي (١٥)، التعريفات: للجرجاني (١٣٤).
(٣) المفردات: للراغب (٦١).
(٤) **انظر**: المفردات: للراغب (٣٨٠)، التعريفات: للجرجاني (١١٤).
(٥) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٤٩)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٢٧).
(٦) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٦)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١١١).

﴿ **وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحونَ** ﴾ أي: هؤلاء هم الفائزون بالخير، المنْجِحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة[١].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. فضل إقامة الصلاة وأدائها على وجهها وفي وقتها أداء كاملاً، كيف لا وقد فرضها الله علينا بالمباشرة، في رحلة الإسراء والمعراج، أما باقي التكاليف فقد فُرِضَتْ بواسطة الوحي.
٢. فضل إيتاء الزكاة في إحياء روح التكافل والتعاون، وزيادة روح المحبة بين الناس مما يؤدي إلى تماسك المجتمع والأمة.
٣. فرض الله سبحانه الزكاة للفقراء والمساكين من عباده؛ إنما هو ليضمن لهم مُقومات الحياة، والعيش الكريم في كونه الذي استخلفهم فيه ودعاهم إليه، ولم لا وأنت إذا دعوْتَ شخصاً إلى بيتك لا بُدَّ أنْ تكرمه، وتقوم على راحته، وتوفير ما يلزم له، فكأنها إشارة لكل من ولى أمراً من أمور المسلمين أن يوفر العيش الكريم لمن تحت يده.
٤. الهداية والدلالة الحقة لا تكون إلا لله، والقانون الذي ينبغي أن يحكمنا ونطمئن إليه لا يكون إلا لله؛ لأن البشر ربما ينتفعون من قوانينهم، وقد تتحكم فيهم الأهواء أو يميلون لشخص على حساب الآخر[٢].
٥. إن من أخص صفات المحسنين إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان باليوم الآخر[٣].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٢٤)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٠).

(٢) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٧٣- ١١٥٧٤- ١١٥٧٨- ١١٥٧٩)، الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٨٣-٢٧٨٤)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ١٩٨).

(٣) التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٢٩).

المبحث الثاني

الجزاء من جنس العمل

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: إعراض الكافرين عن القرآن وجزاؤهم

المطلب الثاني: جزاء المؤمنين جنات النعيم

المطلب الثالث: الاعجاز في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله تعالى

المطلب الأول

إعراض الكافرين عن القرآن وجزاؤهم

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [لقمان: ٦، ٧]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين الله سبحانه وتعالى أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكيمة، وبين أيضاً حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، عطف بذكر حال الكفار الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب فاشتغلوا بها[١].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾: **فيه ثمانية أقوال لأهل التفسير**، وهي: الغناء؛ لأنه يلهي عن ذكر الله، والطبل والمزمار، والباطل، والشرك، وما ألهى عن الله سبحانه، والجدال في الدين والخوض في الباطل، وقيل: السحر، والقمار، والكهانة [٢].

والذي يرجحه الباحث ما اختاره ابن جرير وابن عطية؛ جمعًا بين الأدلة، أن المقصود بلهو الحديث، كلّ ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله، من غناء ونحوه، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لعموم قوله تعالى[٣] .

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٥)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٠).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٧)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٤)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٦)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٨- ٣٢٩).

(٣) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٠)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٦).

﴿ **لِيُضِلَّ** ﴾: من ضل، والضَّلَالُ: العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية، ويقال الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنّ الطّريق المستقيم الذي هو المرتضى[١]، والمعنى هنا: ليصدّ، ويخرج الناس من الهداية[٢].

﴿ **عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ : أي: مذل[٣].

﴿ **وَلَّى مُسْتَكْبِرًا** ﴾: يعني: أدبر، وأعرض مستكبراً عن سماع الحق، من الإيمان والقرآن[٤].

﴿ **وَقْرًا** ﴾: أي صمماً، وثقلاً في الأذن بحيث يعسر إدراك المسموعات[٥].

ثالثًا: اللطائف

١) ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ استعارة تصريحية، حيث شبّه حال المشترين للهو بحال من يشتري سلعة وهو خاسر فيها، واستعار لفظ يشتري لمعنى يستبدل بطريق الاستعارة التصريحية.

٢) التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿ **كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً** ﴾، حيث ذكرت أداة التشبيه الكاف، وحذف وجه الشبه.

٣) أسلوب التهكم والاستهزاء في قوله: ﴿ **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾؛ لأن البشارة إنما تكون في الخير، واستعمالها في الشر سخرية وتهكم واستهزاء[٦].

---

(١) المفردات: للراغب (٥٠٩).

(٢) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٠).

(٣) النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٢٩).

(٤) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢١)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧١٤).

(٥) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٢٧)، المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٦)، التبيان: لابن الهائم (٢٦٢).

(٦) **انظر**: صفوة التفاسير (٢/ ٤٤٩-٤٥٠)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٣٠-١٣١).

رابعًا: القراءات

١. ﴿ **وَيَتَّخِذَهَا** ﴾: قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالنصب، نسقاً على قوله: ﴿ **لِيُضِلَّ** ﴾ و﴿ **وَيَتَّخِذَهَا** ﴾، وقرأ الباقون بالرفع ﴿ **وَيَتَّخِذُهَا** ﴾ بالنسق على قوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾.

٢. ﴿ **لِيُضِلَّ** ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء ﴿ **لِيَضِلَّ** ﴾، على معنى ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يكن يقدر أنه يضل فإنه سيصير أمره إلى أن يضل، وقرأ الباقون بالضم ﴿ **لِيُضِلَّ** ﴾، على معنى ليضل غيره، فإذا أضل غيره فقد ضل هو أيضاً[(١)].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يخبر الله ﷻ أن من الناس من يختار الأحاديث الملهية للقلوب، من الكلام محرم، والغناء، واللغو، والباطل من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، والأقوال التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا. وسبب شراء لهو الحديث؛ ﴿ **لِيُضِلَّ** ﴾ الناس ﴿ **بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره وصده عن كلام الحق المحكم، ولا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزوًا ويسخر بها، وبمن جاء بها؛ لهذا كان جزاؤهم ﴿ **عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ بما ضلوا وأضلوا، ولهذا قال ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا** ﴾ ليؤمن بها وينقاد لها، إلا أنه ﴿ **وَلَّى مُسْتَكْبِرًا** ﴾ أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، رادٍّ لها، ﴿ **كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا** ﴾ بل ﴿ **كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا** ﴾ أي: صمما لا تصل إليه الأصوات؛ فهذا لا حيلة في هدايته. ﴿ **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ مؤلم لقلبه، ولبدنه، لا يقادر قدره، ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة[(٢)].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. ((في الآيات تنديد بفريق من الناس يتمسكون بالأحاديث الباطلة ليضلوا بها سامعيها عن سبيل الله دون علم))[(٣)].

---

(١) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٦، ٢٩٩)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٣).

(٢) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٧)، بتصرف.

(٣) التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٤٢).

٢. حرمة الغناء، وحرمة شراء الأغاني في الأشرطة والإسطوانات، وحرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه، فقد استدل ابن مسعود وابن عباس وغيرهما بقوله: ﴿ **لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ على منع استماع المزامير، والغناء بالألحان وآلات الطرب.[١] كيف لا، وقد صح عن النبي ﷺ " **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**" [٢].

٣. هناك فرق بين عذاب المؤمن وعذاب الكافر، فإن عذاب المؤمن ليطهر فهو غير مهين، بخلاف عذاب الكافر فهو مهين، فالجزاء من جنس العمل من يريد أن يهين كلام الله أهانه الله ﷻ.[٣]

٤. حال الكفار والمشركين في كل زمان مقابلة الحجة والبيان، بالسخرية، والاستهزاء، والتهكم، وليس بحجة مثلها.

٥. من أسباب الضلال والكفر، الكبر، والجهل بالله ﷻ وبدينه وبرسله.

---

(١) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٢)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٣٤)، زاد المسير: لابن الجوزي (٣/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ: الأَشْرِبَةِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، (٧/ ١٠٦)، برقم (٥٥٩٠)، من حديث أبي مالك الأشعري.

(٣) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٥-١١٦).

المطلب الثاني

جزاء المؤمنين جنات النعيم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [لقمان: ٨، ٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر الله ﷻ حال هؤلاء الكفرة الذين يعرضون، ويتولون عن آياته مستكبرين، ويقبلون على اللهو والمعاصي، وعندما بشرهم وتوعدهم بالنار على أفعالهم، عقب بذكر المؤمنين وما وعدهم به من جَنَّاتِ النَّعِيمِ؛ ليبين الفرق بين من يسمع ويطيع، وبين من يتولى ويستكبر(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **جَنَّاتُ** ﴾: ((بساتين))(٢).

﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾: من خَلَدَ، والخُلُود: هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، والخُلُودُ في الجنّة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها، والمعنى هنا: ماكثين فيها إلى غير نهاية(٣).

﴿ **الْعَزِيزُ** ﴾: هُوَ: المنتقم من أعدائه الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه؛ ليمنعه من إنجاز وعده، أو تحقيق وعيده، يقدر على الشيء وضده(٤).

---

(١) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٦)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٦).

(٢) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٢).

(٣) **انظر**: المفردات: للراغب (٢٩١-٢٩٢)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧١٤).

(٤) **انظر**: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٢٧)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٢)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧٠).

ثالثًا: اللطائف[1]

١) توحيد العذاب في الآيتين السابقتين، وجمع الجنات هنا؛ إشارة إلى أن الرحمة واسعة أكثر من الغضب.

٢) تنكير العذاب، وتعريف الجنة بالإضافة إلى المعرف ﴿ **جَنَّاتُ النَّعِيمِ** ﴾؛ إشارة إلى أن الرحيم يبين النعمة، ويعرفها إيصالا للراحة إلى القلب، ولا يبين النقمة، وإنما ينبه عليها تنبيها.

٣) قال **عذاب**، ولم يصرح بأنهم فيه خالدون، وإنما أشار إلى الخلود بقوله: ﴿ **مُهِينٌ** ﴾، وصرح في الثواب بالخلود بقوله: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾، وأكد ذلك بقوله: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا** ﴾، ولم يذكره في الآيتين السابقتين.

٤) قال في الآية السابقة لغيره ﴿ **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ** ﴾؛ وقال هاهنا بنفسه ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ** ﴾، ثم لم يقل أبشركم به؛ لأن البشارة لا تكون إلا بأعظم ما يكون، لكن الجنة دون ما يكون للصالحين بشارة من الله، وإنما تكون بشارتهم منه برحمته ورضوانه.

رابعًا: المعنى الإجمالي

يذكر الله ﷻ مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ﴿ **أن لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ** ﴾ أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمراكب والنساء، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولا، وأن هذه الجنات هي ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا** ﴾ أي: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله، والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعال لما يشاء، القادر على كل شيء، وأيضاً ﴿ **هُوَ الْعَزِيزُ** ﴾، الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ﴿ **الْحَكِيمُ** ﴾ في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين[2].

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٦). بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٢). بتصرف يسير.

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. خلق الله سبحانه هذا الكون الفسيح بكافة أشكاله ومناظره وما يحتويه من مخلوقات على هيئة الصلاح والإبداع، فالشيء الصالح عليك أنْ تزيد من صلاحه، فإنْ لم تقدر فلا أقلَّ من أنْ تدعَ الصالح على صلاحه فلا تفسده.

٢. ذكر الله سبحانه جزاء الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿ **لَهُمْ جَنَّاتُ النعيم** ﴾ فهي جنات لا جنة واحدة، ثم هي جنات النعيم أي: المقيم الذي لا تفوته ولا يفوتك[١].

٣. «دعوة الله تقوم على دعامتي الترهيب والترغيب والبشارة والنذارة»[٢].

٤. أسلوب القرآن الكريم قائم على مقابلة الأشياء بأضدادها، فبعد أن ذكر عذاب الكفار، ذكر نعيم المؤمنين؛ لبيان الفرق بينها فيختار الناس أحسنها، ولمخاطبة العقل والعاطفة، فيرغب ويرهب بأحسن طريقة، وأوجز عبارة[٣].

---

(١) الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٩٤) بتصرف يسير.

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٢).

(٣) **انظر**: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ١٣٦).

المطلب الثالث

الاعجاز في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله تعالى

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان: ١٠، ١١]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما ختم الله سبحانه حديثه السابق بصفتي العزة – وهي غاية القدرة –، والحكمة – وهي ثمرة العلم –، استئنف مستدلاً بمشاهد هذا الكون الفسيح على عزته وحكمته، وإتقان أفعاله وإحكامها؛ وذلك ليقرر ويثبت التوحيد، ويبطل الشرك والكفر من نفوس وحياة البشر(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **عَمَدٍ** ﴾: من عَمَدَ، والعَمْدُ: قصد الشيء والاستناد إليه، والعِمَادُ: ما يُعْتَمَدُ. والجمع عُمُدٌ، وعَمَدٌ، وعِمَادٌ وهو الأسطوانة(٢).

﴿ **رَوَاسِيَ** ﴾: أي: جبالاً ثابتة(٣).

﴿ **تَمِيدَ** ﴾: الميد: هُوَ الْميل، والاضطراب، والتحرك يمنة ويسرى(٤).

﴿ **بَثَّ** ﴾: فيه ثلاثة أوجه: خلق، وبسط، وفرق(٥).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/ ١١٧)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧٠)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٥٢)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٤٥).

(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٥٨٥)، تفسير الجلالين (٥٤١).

(٣) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٦)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٥).

(٤) **انظر**: جامع البيان للطبري (٢٠/ ١٣٣)، تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٢٨).

(٥) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٢)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٣٠).

﴿ **زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾: المقصود بالزوج: النوع، والصنف، واللون، وليس بالذي هو ضد الفرد، وكريم يعني: حسن[١].

ثالثًا: اللطائف

١) أسلوب الاستفهام والسؤال على جهة التوبيخ في قوله: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ...** ﴾[٢].

٢) قوله تعالى: ﴿ **بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ إضراب عن تبكيت[٣] الكفار بالتورّط بالضلال الذي لا يخفى على ناظر، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم[٤].

٣) الالتفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة في ﴿ **أَنْزَلْنَا** ﴾، ﴿ **فَأَنْبَتْنَا** ﴾؛ وذلك لإبراز مزيد الاعتناء والاهتمام بأمر هذه النعمة[٥] .

رابعًا: المعنى الإجمالي

يبين الله سبحانه آثاراً من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعماً من آثار رحمته، من خلق السموات السبع بغير عماد رغم عِظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل، وخلق الأرض وجعل فيها الجبال العظيمة الشامخة لتستقر بساكنيها فلا تضطرب، ونشر فيها أيضاً من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم، ولما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركا، ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾ المنظر، وبعد كل هذه الأدلة التي تدل على قدرته سبحانه وتعالى، يقول لهم ﴿ **فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة، فثبت

---

(١) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٧)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٧)، تنوير المقباس: للفيروز آبادي (٣٤٤)، الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣١٩).

(٢) **انظر**: الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣١٩).

(٣) **التَّبْكيتُ**: من بكَّتَ يبكِّت، تَبْكِيتًا، فهو مُبكِّت، والمفعول مُبكَّت، وهو: أَن تستقبِلَ الرَّجلَ بِمَا يكرَهُ. **[انظر**: معجم اللغة: لأحمد مختار (١/ ٢٣٣)، تهذيب اللغة: للأزهري (١٠/ ٨٩)].

(٤) **انظر**: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٢)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٣).

(٥) **انظر**: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧٠)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٤٦).

عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد؛ لهذا قال: ﴿ **بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ أي: جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة ولا نشوراً، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور(١).

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تقرير وحدانية الله ﷻ، وإبطال أمر الشرك، وتبكيت أهله، عن طريق الاستدلال بخلق السموات والأرض، وما فيهما من نعمه سبحانه، وعجز آلهة المشركين المزعومة عن الخلق فما دونه(٢).
٢. إن أي قضية تسلم لصاحبها ومدعيها إذا لم يَقُمْ لها معارض، فإن كانت هذه القضية صحيحة، كما وضح سبحانه أنه الخالق، ولم يأتِ أي معارض لقوله سبحانه، إذن هو المستحق للعبادة، وإذا كان هناك خالق غيره سبحانه فأين هو؟ هل درى أن واحداً آخر أخذ منه الخَلْق، ولماذا لم يعارض ويدافع عن حقِّه؟ وفي كلا الحالين لا يصلح أن يكون إلهًا يُعبد(٣).
٣. ((كتاب الله يقرر أن وجود هذه الجبال يحفظ توازن الأرض فلا تميد ولا تتأرجح ولا تهتز))(٤).
٤. ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء، لا قصور الأدلة، ووضوح الحجج، فكيف إذا وصف هذا الضلال بالمبين، إذن لا تُرْجى معه هداية لهؤلاء الظالمين.(٥)

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٧-٦٤٨).
(٢) **انظر**: تفسير المراغي (٢١/ ٧٧).
(٣) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٥٩٧- ١١٥٩٨).
(٤) الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٨٦).
(٥) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٢)، الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٦٠٧).

المبحث الثالث

قصة لقمان ووصاياه لابنه

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: امتنان الله على لقمان بإيتاء الحكمة

المطلب الثاني: الوصية بالتوحيد والتحذير من الشرك

المطلب الثالث: الوصية بالوالدين

المطلب الرابع: كمال علم الله سبحانه وتعالى

المطلب الخامس: الوصية بالصبر

المطلب السادس: الوصية بحسن الأخلاق وآداب معاملة الناس

المطلب الأول

امتنان الله على لقمان بإيتاء الحكمة

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

بعد أن بين الله ﷻ فساد اعتقاد المشركين، وأنهم على الضلال المبين، أعقب بقصة لقمان؛ لبيان بطلان الشرك، ويبين فضله ومنه على المؤمنين بإيتائهم الحكمة التي حرم منها المشركون(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **لُقْمَانَ** ﴾: هو: لقمان بن باعورا، ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، وعاش ألف سنة، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وأكثر السلف على أنه عبد حكيم صالح وليس بنبي(٢).

﴿ **الْحِكْمَةَ** ﴾: من حَكَمَ، الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، فالحِكمةُ: مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم(٣)، **والمعنى هنا:** الفقه والعقل والإصابة في القول، وقيل: النبوة، والقرآن، والأمانة(٤).

﴿ **حَمِيدٌ** ﴾: أي: محمود على كل حال، وإن لم يحمده أحد(٥).

---

(١) **انظر:** إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧١)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١١٧)، تفسير المراغي (٢١/ ٧٩).

(٢) **انظر:** الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٢-٤٩٣)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٣)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٤٨).

(٣) **انظر:** مقاييس اللغة: لابن فارس (٢/ ٩١)، العين: للفراهيدي (٣/ ٦٦).

(٤) **انظر:** تفسير مجاهد (٥٤١)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧١٩)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٣٢).

(٥) **انظر:** جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٦)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٣).

ثالثًا: اللطائف

١) الطباق بين **[اشْكُرْ أو يَشْكُرْ. . وكَفَرَ]**.

٢) صيغة المبالغة ﴿ **غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾، ومعناه كثير الغنى، والحمد[١].

٣) جاء الشكر بصيغة المستقبل، والكفر بصيغة الماضي؛ ليرشد أنه ينبغي على الشاكر أن يتكرر شكره في كل وقت لتكرر النعمة، والكفر ينبغي أن ينقطع فمن كفر ينبغي أن يترك الكفران، أو تنبيهاً على أن الشكر بكماله لم يوجد، وأما الكفران فكل جزء يقع منه تام.

٤) تقديم الشكر على الكفران في الآية للترغيب بالشكر[٢].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة فيقول: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾ يعني: أعطينا لقمان العقل والفقه والإصابة في غير نبوة. ويقال أيضاً: الحكمة والعقل والإصابة في القول، ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله فقال ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ** ﴾ أي: اشكر لله بما أعطاك من الحكمة، ثم أخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر الله، عاد وبال ذلك عليه فقال: ﴿ **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ** ﴾ يعني: ثواب الشكر لنفسه، ثم يرهب من يكفر ويجحد نعمة الله ﷻ فيقول: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ أي: غني عن خلقه، وعن شكرهم حَمِيدٌ في فعاله[٣].

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين الذي يتخذون مع الله سبحانه ءالهة أخرى[٤].
٢. الله سبحانه غني عن شكر الناس له كما أنه لا يضرّه كفرهم، فالشاكر ينفع نفسه، والكافر يضر نفسه.

---

(١) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٤٢).

(٢) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٩).

(٣) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٣-٢٤)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٨).

(٤) **انظر**: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٦).

٣. ((الله مستوجب للحمد والوجود بذاته مستغن عن غيره سواء أحمده الناس أم لم يحمدوه واعترفوا به أم جحدوه))[١].

٤. ((نبه الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر))[٢].

المطلب الثاني

الوصية بالتوحيد والتحذير من الشرك

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

بعد أن بين سبحانه أن لقمان أوتى الحكمة، فشكر ربه على نعمه المتظاهرة عليه، ثم أردف ذلك الشكر بالقيام بوعظ ابنه بذلك أيضاً؛ وهذا لأن علو مرتبة الإنسان بأن يكون كاملاً في نفسه بإخلاص التوحيد لله ﷻ والشكر له، ومكملاً لغيره بأن يدعوهم لتوحيد الله سبحانه، وترك الشرك بعبادة سوى الله تعالى[٣].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **يَعِظُهُ** ﴾: من وَعَظَ، وهو التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب، والتخويف بِسوء الْعَاقِبَة. والمعنى أي: يُذكِرُهُ ويؤدبه[٤] .

---

(١) التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٤٦).

(٢) الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٣).

(٣) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١١٩)، تفسير المراغي (٢١/ ٨١).

(٤) **انظر**: المفردات: للراغب (٨٧٦)، غريب القرآن: للسجستاني (٤١١)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٣٣).

ثالثًا: اللطائف

تصغير ﴿ **بُنَيَّ** ﴾ للإشفاق، والبعض قالوا: ليس هو على حقيقة التصغير وإن كان على لفظه، وإنما هو على وجه الترقيق والتلطف[١].

رابعًا: القراءات

قرأ ابن كثير بإسكان الياء ﴿ **يَا بُنَيْ** ﴾؛ لأنه صغر الابن ولم يضفه إلى نفسه، وقرأ حفص بفتح الياء ﴿ **يَا بُنَيَّ** ﴾ أراد يا بنياه، وقرأ الباقون بكسر الياء ﴿ **يَا بُنَيِّ** ﴾؛ لأنهم أرادوا (**يا بنييي**) بثلاث ياءات الأولى للتصغير، والثانية أصلية لام الفعل، والثالثة ياء الإضافة إلى النفس فحذفت الأخيرة اجتزاء بالكسر وتخفيفاً، وأدغمت ياء التصغير في ياء الفعل؛ فالتشديد من أجل ذلك[٢].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده، وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولاً ووعظه بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا فقال: ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ** ﴾، ثم قال محذرا له: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ أي: هو أعظم الظلم، فهو ذنب عظيم لا يغفر أبداً كما بين الله فقال ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]، وكان ابن لقمان الحكيم وامرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما[٣].

---

(١) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٤)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٦٣).

(٢) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢٨٩/٢)، حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٤).

(٣) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٢٤/٣)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٦).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. فقه الأولويات في الدعوة إلى الله ﷻ ، وتقديم الأهم فالمهم، والقريب من البعيد، حيث بدأ لقمان في الوعظ بالأهم وهو المنع من الإشراك، وبدأ بأهل بيته بولده يدعوه، فهذه قاعدة في الدعوة يجب أن يتنبه إليها الدعاة في كل زمان ومكان[١].

٢. مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد.

٣. التهويل في شأن الشرك وإنه لظلم عظيم[٢].

٤. ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله سبحانه؛ لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل[٣].

٥. من فقه الدعوة التلطف واللين والتودد في مخاطبة المدعو بالعبارات التي تقرب المسافة بين الداع والمدعو فقد ابتدأ لقمان موعظته لابنه بلفظ ﴿ **يَا بُنَيْ** ﴾ .

٦. من فقه الدعوة ومن أسباب نجاحها، أن لا ينسى الداعي أهله من دعوته، فاستقامتهم تكون دعوة بلسان الحال للأخرين، بحيث تقطع حبال المتربصين بالدعوة، وشياطين الإنس الذين يتتبعون عورات الدعاة بسقطات أهليهم.

٧. من فقه في الدعوة مناقشة الفكرة والقضية، وبيان فسادها، لا التجريح بحامليها وإن كانوا على الضلال المبين؛ لأن الشخصيات تفنى والقضية تبقى.

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي(٢٥/ ١١٩)، اللباب: لابن عادل (١٥/ ٤٤٥).

(٢) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٦).

(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٥٥).

المطلب الثالث

الوصية بالوالدين

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

تعددت أقوال العلماء في مناسبة هاتين الآيتين أثناء وصية لقمان، ومن أقرب الأقوال أن الله ﷻ لما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك وعبادة غيره، أتبعه بأمر القيام بحق الوالدين، لما لهما من الحق علينا، وأن هذا لا يتنافى مع توحيد الله سبحانه[(١)]، وقيل: هو كلام معترض، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهى عن الشرك[(٢)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَوَصَّيْنَا** ﴾: من الفعل وَصَى، والوَصِيَّةُ: التّقدّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ، والمعنى هنا وصينا أي: أمرنا[(٣)].

﴿ **وَهْنًا** ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الشدة، والجهد، والضعف[(٤)].

﴿ **فِصَالُهُ** ﴾: أي: فطامه[(٥)].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٠)، اللباب: لابن عادل (١٥/ ٤٤٥)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٦٢)، تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٨).

(٢) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٨)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٤)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧١)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٦٣).

(٣) **انظر**: المفردات: للراغب (٨٧٣)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٦)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٤).

(٤) **انظر**: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٣٤)، تحفة الأريب: لأبي حيّان الأندلسي (٣١٩)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٦)، غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٤).

(٥) التبيان: لابن الهائم (٢٦٢)، معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٧).

﴿ **جَاهَدَاكَ** ﴾: يعني: قاتلاك، وأراداك[1].

﴿ **مَعْرُوفًا** ﴾: أي بالمعروف، ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال، من البر والصلة والعشرة الجميلة[2].

﴿ **أَنَابَ** ﴾: أي: تَابَ، ورجع، وأقبل[3].

ثالثًا: اللطائف

١) مساواة الله تعالى الأم والوالد في رتبة الوصية بهما على العموم فقال: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ** ﴾ ، ثم خصص الأم بدرجة ذكر الحمل ودرجة ذكر الرضاع فتحصل للأم ثلاث مراتب وللأب واحدة؛ وذلك لزيادة العناية والاهتمام بالخاص[4].

٢) تقديم ما حقه التأخير مثل ﴿ **إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾، ﴿ **إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ** ﴾؛ وذلك لإفادة الحصر، أي، إليّ لا إلى غيري[5].

رابعًا: المعنى الإجمالي

لما أمر الله بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ** ﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، وخاصة الأم فهي من حملت وتعبت، وأرضعت، ثم قيل له: ﴿ **اشْكُرْ لِي** ﴾ وشكر الله ﷻ بالقيام بعبوديته، وأداء حقوقه، ومن ثم ﴿ **وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما، وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل، ثم أخبر بأنه سيرجع إلى من أوصاه بهذه الوصايا، ولكن إن جاهداك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في العبادة ما لا تعلم أنه لي شريك، فلا تطعهما فيما أراداك

---

(١) بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٤)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٣٧).

(٢) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٧)، معالم التنزيل: للبغوي (٣/ ٥٨٨).

(٣) **انظر**: غريب القرآن: للسجستاني (٦٦)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٧)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٣٩)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٥).

(٤) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٨)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣).

(٥) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٤٢).

عليه من الشرك، ومع هذا أيضاً ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدنيا مَعْرُوفاً** ﴾ أي: بالطاعة لهما فيما لا إثم عليك فيه، وأيضاً ﴿ **واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ أي: واسلك طريق من تاب ورجع عن شركه إلى الإسلام(١).

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. الأمر ببر الوالدين وتعظيمه، وطاعتهما في المعروف، فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات وتستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أمر جهاد الكفاية، والإجابة للأم في الصلاة مع إمكان الإعادة(٢).
٢. «الله تعالى هو المستحق للشكر أولاً؛ لأنه سبحانه هو الذي أنشأ من عدم، وأمدَّ من عُدْم، ثم الوالدان؛ لأنهما السبب في الإيجاد وإنشاء الولد»(٣).
٣. بيان مدة الرضاع وهي في خلال العامين لا تزيد على التخيير لا الوجوب.
٤. وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة(٤).
٥. إثبات البعث، وأن مصير كل البشر الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٨)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧٢٤).
(٢) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٤٩).
(٣) الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٦٤٤).
(٤) أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٠٦) بتصرف يسير.

المطلب الرابع

كمال علم الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦]

أولاً مناسبة الآية لما قبلها

لما قال الله ﷻ : ﴿ **فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾، وقع لابن لقمان الحكيم أن ما يفعل في خفية يخفى، فأجابه لقمان أن أي شيء مهما صغر أو كبر لا يخفى على الله، أو أنه شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك، وتأكيده بالاعتراض(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **مِثْقَالَ حَبَّةٍ** ﴾: أي: زنة، ووزن حبة، فمِثقال كل شَيْء وَزنه(٢)

﴿ **خَرْدَلٍ** ﴾: الجمع خَرَادِلُ، ومفرده خَرْدلة: فهو نبات عشبيّ، ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق، بذوره لاذعة تُستعمل في الطبِّ، فهو مُسَخِّنٌ مُلَطِّفٌ جاذِبٌ، قالِعٌ للبَلْغَمِ، مُلَيِّنٌ هاضمٌ، ويُتَبَّل به الطعام، ودُخانُه يَطْرُدُ الحَيَّاتِ، وماؤُهُ يُسَكِّنُ وجَعَ الآذانِ تَقْطيراً، ومَسْحوقُهُ على الضِرْسِ الوَجِعِ غايَةٌ. ويطلق أيضاً على العضو الوافر من اللحم(٣).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٠)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (٧/ ٧٢).

(٢) **انظر**: مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٧)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤١)، تحفة الأريب: لأبي حيان (٨٢)، جمهرة اللغة: لابن دريد (٢/ ٨٣٠).

(٣) **انظر**: معجم اللغة: لأحمد مختار (١/ ٦٢٩)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٩٩٢)، لسان العرب: لابن منظور (١١/ ٢٠٣).

ثالثًا: اللطائف

١) فن التمام أو التتميم في قوله: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ...** ﴾، والمعنى أنه تمم خفاء الخطيئة في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، والأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض البعيدة، أو في أعالي الفضاء[١].

٢) تمثيل سعة علم الله وإحاطته من خلال علمه أدق وأخفى الأشياء، في أخفى الأمكنة في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ** ﴾.

٣) صيغة المبالغة في قوله: ﴿ **لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾، ومعناه كثير اللطف[٢].

٤) قوله تعالى: ﴿ **يَأْتِ بِهَا اللَّهُ** ﴾ كناية عن التمكن منها، وهو أيضاً كناية رمزية عن العلم بها؛ لأن الإتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها، لا يكون إلا عن علم بكونها في ذلك المكان وعلم بوسائل استخراجها منه[٣].

رابعًا: القراءات

١) قرأ ابن كثير ﴿ **يَا بُنَيَّ** ﴾ في هذا الموضع بكسر الياء مشددة في الحرف الأوسط، وهو ﴿ **يَا بُنَيِّ** ﴾[٤]

٢) قرأ نافع براوييه برفع اللام في ﴿ **مِثْقَالُ** ﴾، وقرأ الباقون بالنصب ﴿ **مِثْقَالَ** ﴾[٥]، فحجة الرفع على أنه اسم كان التامة[٦]، بمعنى حدث ووقع، أي: إن وقع مثقال حبة. وأنث الفعل في هذه القراءة لإضافة مثقال إلى المؤنث، وأما حجة النصب على أنه خبر كان، وأن يكون اسمها هو أحد تلك المقدرات المظلمة أو الحسنة، المعنى: إن تكن المظلمة أو الحسنة مثقال حبة من خردل[٧].

---

(١) **انظر**: الجدول: لصافي (٢١/ ٨٦)، إعراب القرآن: لدرويش (٧/ ٥٤٤).

(٢) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٤٢).

(٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٦٣).

(٤) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(٥) **انظر**: المصدر السابق (٢/ ٣٢٤).

(٦) **كَانَ التَّامَّة**: بِمَعْنى وجد وَحدث الشَّيْء فِي موصوفية نَفسه، فَكَانَ الِاسْم الْوَاحِد كَافِياً. **[انظر**: الكليات: للكفوي (٧٤٧)]

(٧) **انظر**: حجة القراءات: لابن زنجلة (٥٦٥)، فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٧٥).

خامسًا: المعنى الإجمالي

هذه الوصية من جملة وصايا لقمان الحكيم لابنه، قصد بها إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى، أراد أن يفهمه هذا المقصد بضرب المثل بالخردلة؛ لأنه يقال: إن الحس لا يدرك لها ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا. أي: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، فلا تهتم بمسألة الرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إلي، وختم قوله محذراً مرهباً ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت، ولطفت، وتضاءلت، ﴿ **خَبِيرٌ** ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم(١).

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. حتى تؤتي الموعظة أكلها لا بد من جمعها بين الرجاء والخوف، بالإضافة إلى تَبْيِينِ قدرة الله تعالى(٢).
٢. سعة علم الله، وكمال خبرته قدرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.
٣. الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ(٣).
٤. دقة الحساب الإلهي ولو بمثقال وزنة حبة، وعدالة الميزان الرباني فلا يوجد ظلم البتة(٤).
٥. ضرورة الحوار بين الآباء والأبناء، خاصة في الأمور الشرعية، وتربيتهم وتعليمهم وتحصينهم بما يحتاجونه من أمور الدين.
٦. أهمية أسلوب ضرب الأمثلة في تقريب، وتقرير المعاني في النفوس البشرية.
٧. البعد عن أسلوب التعنيف والزجر والضرب في تربية الأبناء، بل بالترغيب والإقناع؛ لأنه أدعى للإتباع.

---

(١) **انظر**: الجامع: للقرطبي (١٤/ ٦٦)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٨).
(٢) **انظر**: الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣٢١).
(٣) **انظر**: تيسير الكريم: للسعدي (٦٤٨).
(٤) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٨٩).

المطلب الخامس

الوصية بالصبر

قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها

لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزمه من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصًا، وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئاته اختلفت(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **بِالْمَعْرُوفِ** ﴾: الْمَعْرُوف: كل مَا سكنت إِلَيْهِ النَّفس واستحسنته لحسنه عقلا أَو شرعا أَو عرفا فَهُوَ مَعْرُوف، ومعناه في سياق الآية: طاعة الله(٢).

﴿ **الْمُنْكَرِ** ﴾: والمُنْكَرُ: كلُّ فِعْلٍ تحكُم العقولُ الصحيحةُ بقُبْحِهِ، أو تتوقَّفُ في استقباحِهِ واستحسانه العقولُ، فتحكم بقبحه الشّريعة، من الشّرك، والقبيح من القَوْل وَالْعَمَل(٣).

﴿ **عَزْمِ** ﴾: عَزْم مصدرٌ. يجوزُ أَنْ يكونَ بمعنى مفعول أي: مِنْ معزوماتِ الأمورِ أو بمعنى عازِم، وقيل أنَّ العينَ تُبْدَلُ حاءً فقال: حَزْمٌ وعَزْمٌ. والصحيحُ أنهما مادَّتان مختلفتان اتَّفَقتا في المعنى. والعزم هو: ما عَقدَ عليه القلبُ أنَّكَ فاعلهُ، أو من أمرٍ تيقّنْتَهُ. وما لفلان عزيمة، أي: ما يثُبتُ على أمرٍ يَعْزِم عليه(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢١) اللباب: لابن عادل (١٥/ ٤٤٩).

(٢) **انظر**: الكليات: للكفوي (٨٠٤)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧٢٩).

(٣) **انظر**: المفردات: للراغب (٨٢٣)، تنوير المقباس: للفيروزآبادي (٣٤٥).

(٤) **انظر**: الدر المصون: للسمين الحلبي (٩/ ٦٥)، تهذيب اللغة: للأزهري (٢/ ٩٠)، العين: للفراهيدي (١/ ٣٦٣).

ثالثًا: اللطائف

١) تخصيص الطاعات المذكورة في السياق، من الأمر بإقام الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من دون بقية الطاعات؛ لأنها أمهات العبادات، وعماد الخير كله[١].

٢) المقابلة بين قوله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[٢] .

رابعًا: القراءات

قرأ البزي ﴿ **يَا بُنَيَّ** ﴾ بالفتح وفقًا لحفص في هذا الموضع، وقرأ قنبل بتخفيف الياء وإسكانها ﴿ **يَا بُنَيْ**﴾[٣].

خامسًا: المعنى الإجمالي

يوصى لقمان الحكيم ابنه بأعظم الطاعات، وهي الصلاة بحدودها وفروضها وأوقاتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الجهد والطاقة، وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل هو في نفسه يأتمر بالمعروف، ويزدجر، ولما علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر فقال: ﴿ **وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ** ﴾ هذا إشعار بأن المغير يؤذي أحياناً، وهذا القدر هو على جهة الندب والقوة في ذات الله، وأما على اللزوم فلا. وختم بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ يحتمل أن يريد مما عزمه الله وأمر به، ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم والسالكين طريق النجاة، والأول أصوب[٤].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. هذه الآية دليل على أن هذه الطاعات المذكورة فيها، كانت مأموراً بها في سائر الأمم السابقة[٥].

---

(١) **انظر**: فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٧٥)

(٢) **انظر**: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٤٢).

(٣) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(٤) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية(٤/ ٣٥١)، تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٨).

(٥) **انظر**: مدارك التنزيل: للنسفي (٢/ ٧١٦).

٢. هذه الآية بياناً لهذه الأمة، وإذناً لهم، أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله ﷻ [١].

٣. التزود قبل أي معركة مع الشر، بالزاد الأصيل زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة. ثم التزود الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله ﷻ من أذى في سبيله[٢].

٤. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه[٣].

٥. إقام الصلاة تكميل لنفس الداعِ، بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد تكِميلاً لنفوس الناس بحيث يأتمرون بأمر الله وينتهون بنهيه فيتحصلوا على الاستقامة، والصبر على الشدائد يشترك فيه الداعِ والمدعو[٤].

٦. القابض على دينه، المتمسك به في غالب الأزمان والأوقات كالقابض على الجمر؛ لأنه يخالف هوى المعظم والسواد الأعظم من الناس، فيرمونه عن قوس واحدة، لا سيما أن أمرهم ونهاهم[٥].

٧. الحض على الأمر بالمعروف وتغيير المنكر وإن نال الداع والمغير ضرراً، فإن من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره، ومع هذا لا يعني أن يكون الداعِ متهوراً، يعرض دعوته للضرر والخطر بحجة وجوب الابتلاء، بل لا بد أن يكون منضبطاً بضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦].

---

(١) بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٦).

(٢) **انظر**: الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٩٠).

(٣) **انظر**: تيسير الكريم للسعدي (٦٤٩).

(٤) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٥).

(٥) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٧٥).

(٦) **انظر**: الجامع: القرطبي (١٤/ ٦٩)، الجواهر الحسان: للثعالبي (٤/ ٣٢١).

المطلب السادس

الوصية بحسن الأخلاق وآداب معاملة الناس

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩]

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها

لما أمر لقمان ابنه بعبادة الله ﷻ وبأن يكون داعٍ إليه، أخبره بما يجب عليه من الأخلاق الحميدة التي تكون في حياة الداع؛ ليحذرها، ولتكون دعوته مؤثرة في نفوس الناس، فلا ينفروا منها(١).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **تُصَعِّرْ** ﴾: وأصل هذه الكلمة مأخوذ من الميل، يقال: رجل أصعر إذا كان مائل العنق. وجمعه صعر، وهو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس، ومنه، الصعر: وهو داء يأخذ الإبل في أعناقها ورؤوسها حتى يلفت أعناقها(٢).

﴿ **مَرَحًا** ﴾: أي: خيلاء، وتبختراً، وكبراً(٣) .

﴿ **مُخْتَالٍ** ﴾: أي : متكبراً(٤).

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٢)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٧٦)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٦٦).

(٢) **انظر**: تفسير مجاهد (٥٤٢)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٧)، الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣١٥)، الدر المصون: للسمين الحلبي (٩/ ٦٦).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٨)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٧٠)، تنوير المقباس: للفيروز آبادي (٣٤٥)، التبيان: لابن الهائم (٢٦٢).

(٤) تفسير مجاهد (٥٤٢)، الكليات: للكفوي (٨٨٥).

﴿ **فَخُورٍ** ﴾: هو: المتكبّر المتطاول على الناس بنفسه، المفتخر عليهم بما يصفه من مناقبه، وهو أيضاً يعدّد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله[١].

﴿ **اقْصِدْ** ﴾: أي: اعدل، والقصد: ما بين الإسراف والتّقصير، أي التّوسّط بين الغلوّ والتّقصير، وقيل: أي، تواضع، وقيل معنى اقصد: أسرع[٢].

﴿ **اغْضُضْ** ﴾: أي: انقص منه واخفضه، وَيُقَال غض مِنْهُ إِذا نقص مِنْهُ[٣].

﴿ **أَنْكَرَ** ﴾: أي: أقبح، وأشد[٤] .

ثالثًا: اللطائف

١) الاستعارة التمثيلية في قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ حيث شبَّه الرافعين أصواتهم بأنهم كالحمير في رفع الصوت، ولم يذكر أداة التشبيه؛ ليخرج مخرج الاستعارة للمبالغة الشديدة في الذم، والتنفير عن رفع الصوت[٥].

٢) تخصيص ذكر صوت الحمير دون غيره من الأصوات؛ لأن صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وسائر الناس بالقبح، وإن كان قد يكون ما سواه أقبح منه في بعض الحيوان، وإنما ضرب الله المثل بما هو المعروف عند الناس[٦].

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة: للأزهري (٧/ ١٥٤)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤٥)، النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٣٤١).

(٢) **انظر**: التبيان: لابن الهائم (٢٦٢-٢٦٣)، جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤٦)، تفسير القرآن: لابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٧).

(٣) **انظر**: معاني القرآن: للزجاج (٤/ ١٩٩)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٦)، معاني القرآن: للنحاس (٥/ ٢٨٩)، غريب القرآن: للسجستاني (٩٤).

(٤) **انظر**: معاني القرآن: للفراء (٢/ ٣٢٨)، مجاز القرآن: لأبي عبيدة (٢/ ١٢٧)، ياقوتة الصراط: لغلام ثعلب (٤٠٥)، تحفة الأريب: لأبي حيان (٢٩٥).

(٥) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٥)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٣)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٤٢).

(٦) بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٦) بتصرف يسير.

رابعًا: القراءات

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب بتشديد العين من غير ألف ﴿ **تُصَعِّرْ** ﴾، وقرأ الباقون بتخفيفها وألف قبلها ﴿ **تُصَاعِرْ** ﴾[(١)]، وهما لغتان: لغةُ الحجازِ التخفيفُ، وتميمٌ التثقيلُ، ومعناهما واحد[(٢)].

خامسًا: المعنى الإجمالي

تكلم لقمان الحكيم في هاتين الآيتين بوصايا ذهبية لابنه، وللدعاة إلى التوحيد من بعده، ولعموم الموحدين، وأهم هذه الوصايا التحذير من الكبر بتصعير الخد للناس والإعراض عنهم إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم، ومن ثم يبين له أحد مظاهر الكبر محذراً له قائلاً ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ** مَرَحًا ﴾؛ والسبب ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره، وأيضاً: ﴿ **إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٧]، ومن ثم علمه أداب المشي في الأرض ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ أي: امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء، ولا بالسريع، بل عدلاً وسطاً بين بين. وينتقل بعدها لأدبٍ آخر من آداب الداعي، ألا وهو ﴿ **وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ** ﴾ أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ أي: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، فإياك أن تتشبه بها فيبغضك الله ﷻ [(٣)].

سادسًا: المقاصد والأهداف

١. الدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل[(٤)].
٢. تحريم الكبر، بشتى ألوانه وأشكاله، سواء في الكلام، أو المشي وغيره؛ لأن الله ﷻ لا يحبه.

---

(١) النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٦).
(٢) **انظر**: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٦)، الدر المصون: للسمين الحلبي (٩/ ٦٥).
(٣) **انظر**: تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٣٨- ٣٣٩).
(٤) الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٩٠).

٣. اعتدال وتوسط الداعي في كل شيء حتى في مشيته، حتى لا يكون التناقض بين أقواله وأفعاله.

٤. أسلوب الدعوة بالقدوة، حيث يدعو الداعي الناس بأدبه، وأخلاقه وسمته.

٥. ترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم، وقبح رفع الصوت في المخاطبة من غير ضرورة ولا فائدة؛ لأنه مكروه عند الله جدًا[١].

٦. تبيين العلة وسبب النهي عن الفعل في بعض الأوقات، لإقناع المدعو حيث بينت الآيات سبب النهي عن الكبر؛ بأن الله لا يحبه، وسبب النهي عن علو الصوت بغير حاجة لأنه فيه تشبيه بأصوات الحمير القبيحة.

٧. إثبات صفة الحب و صفة البغض لله ﷻ .

٨. جواز تشبيه بعض صفات البشر المخالفة للشرع بصفات الحيوانات.

---

(١) **انظر**: غريب القرآن: لابن قتيبة (٢٩٤)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٧٢)، غرائب القرآن: للنيسابوري (٥/ ٤٢٦).

المبحث الرابع

دلائل التوحيد والتحذير من دعوة الشيطان

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: مشاهد دلائل التوحيد في الكون

المطلب الثاني: التحذير من دعوة الشيطان

المطلب الأول

مشاهد دلائل التوحيد في الكون

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما بين الله سبحانه أنه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد وإلقائه في الأرض الرواسي، وعدد بعض نعمه ودلائل وحدانيته، ومن ثم انتقل إلى قصة لقمان الحكيم الذي فهم هذه المعاني بما أعطاه الله من حكمة ثم ربى ابنه عليها، بعدها استئنف الكلام السابق، فرجع إلى تعداد دلائل الوحدانية وما صحب ذلك من منة على الخلق، وأيضاً فيه اشارة للحكيم لقمان أن تواضع فإن ما بك من نعمة فمن الله ﷻ حتى لا تفقد هذه النعم[(١)].

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **وَأَسْبَغَ** ﴾: من سَبَغَ، أي: وأوسع، وأكمل، وأتم[(٢)].

﴿ **نِعَمَهُ** ﴾: جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال، والنعم هي: كل نفع قصد به الإحسان، وتحمد عاقبته[(٣)].

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٣-١٢٤)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٨٣-١٨٤)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ١٧٣).

(٢) **انظر**: المفردات: للراغب (٣٩٥)، الوجيز: للواحدي (٨٤٩)، تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٢٣٥)، الجامع: للقرطبي (١٤/ ٧٣).

(٣) **انظر**: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤/ ٣٥٢)، الكشاف: للزمخشري (٣/ ٤٩٩)، روح المعاني: للألوسي (١١/ ٩١).

ثالثًا: اللطائف

١) الاستفهام في قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ** ﴾؛ تهويلا لأمر الجدال بِغَيْرِ عِلْمٍ، ولتقرير الواقع وتأكيده[١]

٢) الطباق بين قوله تعالى: ﴿ **ظَاهِرَةً** ﴾، وقوله ﴿ **وَبَاطِنَةً** ﴾[٢].

رابعًا: القراءات

قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص ﴿ **نِعَمَهُ** ﴾ بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع، وقرأ الباقون ﴿ **نِعْمَةً** ﴾ بإسكان العين وتاء منونة على التأنيث والتوحيد[٣]، ومعناهما واحد حيث يقول الامام الطبري: ((والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة، ومعنى الجماع، وقد يدخل في الجماع الواحدة)) [٤] .

خامسًا: المعنى الإجمالي

يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفا محفوظا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ** ﴾ أي: مبين مضيء[٥].

---

(١) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ٩٣)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٢٤).

(٢) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٨)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ١٥٨).

(٣) **انظر**: النشر: لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، حجة القراءات (٥٦٥- ٥٦٦).

(٤) جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤٨).

(٥) تفسير القرآن: لابن كثير (٦/ ٣٤٧).

سادسًا: المقاصد والأهداف:

١. الاستدلال على وحدانية الله بمخلوقاته ونعمه؛ فإن الصنعة تدل على الصانع، ولاستحالة وجود مخلوق بدون خالق، ومع هذا من الناس من يجادل في الله ويثبت غيره، بدون أدنى دليل أو برهان[١].
٢. تحريم الجدل القائم على الجهل والهوى، والإرشاد إلى أن يكون الجدل قائماً على أصول علمية حقة؛ لأن ظاهر الذم للمجادلين في الآية أن جدالهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.
٣. انقسام الأدلة في الاستدلال إلى أدلة نقلية وعقلية، وجواز الاكتفاء بأحدهما في الجدل.
٤. المقصد من تعداد نعم الله ﷻ أن نشكرها ونقوم بحقها، وذلك بطاعة وطاعة رسوله ﷺ [٢].

المطلب الثاني

التحذير من دعوة الشيطان

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها

لما بين الله ﷻ أن جدالهم من غير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، بعدها بين أن مستندهم إنما هو التقليد، وإتباع الشيطان ولو دعاه إلى النار، وعذاب السعير[٣].

---

(١) **انظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٥٢)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٤).
(٢) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ٩٣)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢١١).
(٣) **انظر**: اللباب: لابن عادل (١٥/ ٤٥٥)، غرائب القرآن: للنيسابوري (٥/ ٤٢٩)، نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٨٧).

ثانيًا: معاني المفردات

﴿ **عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب، والسعير من (سَعَرَ) السِّينُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اشْتِعَالِ الشَّيْءِ وَاتِّقَادِهِ وَارْتِفَاعِهِ، مِنْ ذَلِكَ السَّعِيرُ: سَعِيرُ النَّارِ، وَاسْتَعَارُهَا: تَوَقُّدُهَا[1].

ثالثًا: اللطائف

١) الاستفهام والحذف في قوله: ﴿ **أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾؛ وذلك للإنكار، والتوبيخ، والتعجب، والمعنى أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان إلى عذاب السعير، أي: موجباته فيتبعونه[2].

٢) عبر بالمضارع في قوله: ﴿ **يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾؛ تصويراً لحالهم في ضلالهم وأنه مستمر، وأطلق العذاب على سببه[3].

رابعًا: المعنى الإجمالي

يبين الله ﷻ أنه إذا قيل لكفار مكة الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله من القرآن الكريم، وصدِّقوا به، وأحلّوا حلاله، وحرموا حرامه، فكان ردهم ﴿ **قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾ من الأديان الباطلة الفاسدة؛ لاعتقادهم أنهم كانوا أهل حقّ، فيرد الله ﷻ عليهم؛ ليبين لهم ضلالهم وخسرانهم ﴿ **أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ** ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ﷺ، وبعدها يبين لهم موجبات اتباعهم أنه ﴿ **إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب[4].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤٩) مقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ٧٥).

(٢) **انظر**: الكشف والبيان: للثعلبي (٧/ ٣٢٠)، الهداية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٧٣٤)، مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٢٥)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٥٨).

(٣) **انظر**: نظم الدرر: للبقاعي (١٥/ ١٨٨).

(٤) **انظر**: جامع البيان: للطبري (٢٠/ ١٤٩)، بحر العلوم: للسمرقندي (٣/ ٢٧).

خامسًا: المقاصد والأهداف

١. تحريم وامتناع تقليد من لم يعلم أنه مستند الى دليل حق، أو التقليد بالباطل، كتقليد بعض المسلمين اليوم للكفار في عاداتهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم[١].
٢. التقليد الباطل على الشرك، واتباع دعوة الشيطان تنتهي بأصحابها إلى عذاب السعير، ومع هذا هم مصرون على هذا الباطل ولو قادهم إلى ذلك المصير[٢].
٣. شدة تمسك كفار العرب –بل الناس جميعاً بتقاليد آبائهم–، واعتبارهم إياها مقدسة لا يجوز التساهل فيها، واعتبار الدعوة إلى تركها بدعة وعدوانًا؛ لذلك فإن من أهم أسباب الضلال التمسك الأعمى بالعادات، والتقاليد الموروثة.
٤. تقرير سقوط حق الطاعة على الأبناء إذا ما أرادهم آباؤهم على الشرك والكفر واتباع الشيطان[٣].
٥. ضلال الآباء والأبناء إنما هو نتاج دعوة ووسوسة الشيطان، فالشيطان قَدْر مشترك بينهم وبين آبائهم، وبين جميع الناس في دعوتهم للكفر والضلال.
٦. منافذ الإغواء للبشر جميعاً مرة تأتي من النفس بالتقليد الأعمى، ومرة تأتي من الشيطان بوسوسته وتزيينه للباطل، وبهما يُطمس نور الإيمان ونور المنهج في نفس المؤمن[٤].
٧. تأثير البيئة المحيطة في عقائد وشخصيات الأفراد، فتجد الإنسان الذي يعيش في بيئة مؤمنة يؤخذ منها طابع الإيمان والعكس، وتجد أيضًا اختلاف شخصية من يعيش في الحضر عن ذاك الذي يعيش في البادية وهكذا، فعلى الدعاة أن يبتكروا أساليب وطرق دعوية تحاكي بيئة كل إنسان ومخاطبته من خلال واقعه؛ للوصول للثمرة المرجوة.

---

(١) **انظر**: روح المعاني: للألوسي (١١/ ٩٣)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢١١).
(٢) **انظر**: أنوار التنزيل: للبيضاوي (٤/ ٢١٦)، الظلال: لقطب (٥/ ٢٧٩٣).
(٣) **انظر**: التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٥٤– ٢٥٥).
(٤) **انظر**: الخواطر: للشعراوي (١٩/ ١١٧٠٤).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، الحمد لله آلائه، الحمد لله على نعمائه، وأصلي وأسلم على أفضل أوليائه محمد ﷺ ، والرضا عن أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الله سبحانه: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨]، وأي فضل وأي رحمة خير من القرآن الكريم كتاب ربنا فهو أفضل ما نطق به البشر، فأحمد الله ﷻ أن شرفني واصطفاني فجعلني من الذين يكتبون في هذه السلسلة العطرة في مقاصد وأهداف القرآن الكريم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً: أهم النتائج

١. أهمية علم مقاصد السور في فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، واستنباط واستخراج نظريات قرآنية تعالج الواقع بقدر المستطاع.
٢. معرفة المقصد القرآني، رسالة للمغالي بالقرآن، والجافي عنه؛ للاعتدال والتوسط في إسقاط الأحكام على الواقع، والرجوع لمنطوق ومفهوم النص معاً.
٣. من أهم الصفات التي يشترك فيها القرآن المكي الاهتمام بالجانب العقدي، مثل قضية توحيد الألوهية والبعث؛ لترسيخه في نفوس المؤمنين الجدد.
٤. القرآن الكريم يدعو إلى أدب الحوار، والمجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف في الاعتقاد، فكيف بمن وافق في عقيدته، وأيضًا قيام الحوار القرآني على الأدلة والبراهين العقلية والحسية، والفطرية، وضرب أمثال، والترغيب والترهيب في دعوة الكفار إلى التوحيد، وإقامة الحجة عليهم وإثبات ضلالهم.

٥. دين الكفار والمشركين قائم على الهوى والكبر، والتقليد، والاتباع الأعمى لمن تقدم من الآباء والأجداد.

٦. دعوة القرآن للتأمل في آيات الله ومخلوقاته في الكون، والمجتمعات، والنفس البشرية، للاستفادة وأخذ العظة والعبرة.

٧. مجاهدة النفس عن الوقوع في الملذات والمحرمات، طريق للهداية لطريق الحق والخير والرشاد.

٨. النصر والهزيمة بعد الأخذ بالأسباب الشرعية بيد الله ﷻ، فلا يلتمس المسلم النصر من عند غير الله سبحانه.

٩. دعوة القرآن الكريم إلى الثبات على دين الله سبحانه وتعالى، وفطرته التي فطر الناس عليها.

١٠. السبب الرئيس وراء ظهور الفساد في البر والبحر إنما هو جزاء وفاقاً بما كسبته أيدي الناس، فالقاعدة الربانية تقول: الجزاء من جنس العمل.

١١. الاهتمام القرآني بفقه الدعوة خاصة فقه الأولويات والموازنات فيها، والذي يتضح من خلال دعوة القرآن الكريم الناس إلى العقيدة الصحيحة وتقديم تصحيح العقيدة على الأمر بمفردات الشريعة وأعمال الجوارح، وفي حوار الأقرب لاتباع الحق وتأجيل مناظرة الأبعد عنه، وأيضًا يظهر هذا الفقه من خلال مراعاة الخطاب القرآني للبيئة المحيطة بالمدعوين، ومناقشتهم بالذي يعرفونه ويفهمونه.

١٢. من صفات المشركين المتناقضة أنهم يعودون إلى الله ﷻ في حال الشدة، ويكفرون في حال الرخاء.

١٣. سنن الله في المجتمعات، بحيث ينصرها إن حققت التوحيد، ويهلكها في حالة الإشراك به، وعالمية الاسلام في تشريعاته، وانفتاحه عما يدور حوله من أحداث، وضرورة دراسة تاريخ الأمم والشعوب؛ لمعرفة سنن الله في المجتمعات، والاستفادة منها، فالسعيد من وعظ بغيره.

١٤. التنويه بهدي القرآن الحكيم ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفساني، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه.

١٥. الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان. فالمعركة بين الحق والباطل لا تنحصر داخل حدود جغرافية أو جنسية، فكما أن المؤمنين إخوة فالكافرين بعضهم أولياء بعض. فعلى المسلمين أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة، مهما تنوعت العلل والأسباب.

١٦. تعدد الأحزاب والفرق وعدم تكاملها، يؤدي إلى تفكك الأمة، وفقدان الثقة بالإسلاميين المتحدين شكلياً، المختلفين منهجياً في طرق العمل، مما يؤدي إلى قوة طرف أعداء الأمة ويسهل عليهم ترويج الأباطيل حول المنهج الإسلامي الذي يريده الله سبحانه، فيستفيدوا من الاختلاف وتصبح ورقة رابحة لهم.

١٧. أهمية فهم أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد، والتي من ضمنها ضرب الأمثال، لنسهم في نجاح الدعوة وتفوقها.

١٨. مراعاة الخطاب القرآني لبيئة المدعوين، حيث يستخدم أساليب موجودة في بيئة المخاطب، ولكن بطريقة عرض جديدة، ويضرب المثل بالأشياء المشاهدة لديهم.

١٩. عدم الاستعجال في رؤية ثمرات الجهد الدعوي، وقطف الثمرات، وتأخير النصر لا يعني ترك الدعوة.

٢٠. الثبات على الحق في وجه الكفار والمشركين، وعدم الانخداع بوسائلهم، أو مجاراتهم في باطلهم، فإن الثبات دعوة بلسان الحال.

٢١. حال الكفار والمشركين في كل زمان مقابلة الحجة والبيان، بالسخرية، والاستهزاء، والتهكم، وليس بحجة مثلها.

٢٢. شدة تمسك كفار العرب –بل الناس جميعاً بتقاليد آبائهم–، واعتبارهم إياها مقدسة لا يجوز التساهل فيها، واعتبار الدعوة إلى تركها بدعة وعدوانا؛ لذلك فإن من أهم أسباب الضلال التمسك الأعمى بالعادات، والتقاليد الموروثة.

٢٣. من فقه الدعوة التلطف واللين والتودد في مخاطبة المدعو بالعبارات التي تقرب المسافة بين الداع والمدعو فقد ابتدأ لقمان موعظته لابنه بلفظ ﴿ **يَا بُنَيْ** ﴾ .

٢٤. من فقه الدعوة ومن أسباب نجاحها، أن لا ينسى الداعي أهله من دعوته، فاستقامتهم تكون دعوة بلسان الحال للأخرين، بحيث تقطع حبال المتربصين بالدعوة، وشياطين الإنس الذين يتتبعون عورات الدعاة بسقطات أهليهم.

٢٥. من فقه الدعوة مناقشة الفكرة والقضية، وبيان فسادها، لا التجريح بحامليها وإن كانوا على الضلال المبين؛ لأن الشخصيات تفنى والقضية تبقى.

٢٦. حاجة المسلمين إلى تسلية وتثبيت قلوبهم اليوم خاصة وفي ظل الأوضاع العصيبة من الظلم والقهر والطغيان التي يعيشها المسلمون اليوم، لا سيما في فلسطين، في ظل تخاذل وتنكب القريب والبعيد.

ثانياً: أهم التوصيات

١. أوصي نفسي وأخواني بأفضل وصية وهي تقوى الله تعالى، فهي سبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

٢. العمل على نشر علم مقاصد القرآن الكريم، وتيسيره لعامة الناس.

٣. عمل دراسات تخصصية في مقاصد وأهداف القرآن الكريم في الاعتقاد، والتشريع، والأخلاق، لاستخراج نظريات قرآنية تخدم الإسلام والمسلمين، وتبني الجامعة الإسلامية لمثل هذه المشروعات.

٤. إخراج سلسلة مقاصد وأهداف القرآن الكريم للنور، وذلك بتكفل الجامعة بطباعتها، وترجمتها للغات عديدة حتى يعم النفع والخير.

وختاماً:

فهذا جهد متواضع أسعى فيه لخدمة الإسلام والمسلمين، وليكون فاتحة خير لمن يكتبون في هذا الباب، فأسأل الله سبحانه القبول والتوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثًا: فهرس الأعلام

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

خامسًا: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ... ﴾	٢١	١١
٢	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ...﴾	١٧٩	١١
٣	﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... ﴾	١٨٣	١١
٤	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾	٢٥٦	٥٢
	سورة النساء		
٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...﴾	٤٨	٢١٦
٦	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ .....﴾	٨٢	ب
	سورة الأنعام		
٧	﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾	١٠٥	٣
٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ... ﴾	١٥٩	١٤٦
	سورة الأعراف		
٩	﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	٢٩	١٣٥
١٠	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ.... ﴾	١٤٦	٥
	سورة الأنفال		
١١	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ...﴾	٢٥	١٦٢
	سورة التوبة		
١٢	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾	٢٩	٤٧
	سورة يونس		
١٣	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ...﴾	٥٨	٢٣٧
	سورة إبراهيم		
١٤	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾	٧	ث، ٤٢

سورة النحل			
١٥	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ...﴾	٩	٨
١٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ... ﴾	٣٦	١٠
سورة الإسراء			
١٧	﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ ... ﴾	٣٧	٢٢٠
١٨	﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ ... ﴾	٥٩	٥٤
١٩	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٣٧
٢٠	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ...﴾ [الإسراء: ٦٧]	٦٧	٧٩
سورة الكهف			
٢١	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ... ﴾	٧٩	١٥٥
سورة مريم			
٢١	﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾	٢١	١٢٤
سورة الأنبياء			
٢٢	﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	٣٥	٨٠
٢٣	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٠
سورة النمل			
٢٤	﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ... ﴾	١٩	ث
سورة القصص			
٢٥	﴿ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ... ﴾	٤	٢٢
٢٦	﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾	٦١	١١٢
٢٧	﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... ﴾	٨٥	٢٣
٢٨	﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ...﴾	٨٧	٢٣
٢٩	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ... ﴾	٨٨	٢٣
سورة العنكبوت			
٣٠	﴿ الم ﴾	١	١٥، ٢٠، ٢٣

٣١	﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ... ﴾	٢	١٥، ٢٣، ٢٥
٣٢	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..﴾	٣	٢٢، ٢٥
٣٣	﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾	٦	٢٣
٣٤	﴿ وتَقطَعونَ السبيلَ ﴾	٢٩	٢٠
٣٥	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ... ﴾	٤١	١٥
٣٦	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	٤٥	١١
٣٧	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا ... ﴾	٤٦	٤٧
٣٨	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ... ﴾	٤٧	٤٧، ٥٠
٣٩	﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ... ﴾	٤٨	٥٠
٤٠	﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ... ﴾	٤٩	٥٠
٤١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ...﴾	٥٠	٥٣
٤٢	﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	٥١	٥٣
٤٣	﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا...﴾	٥٢	٥٥
٤٤	﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ ﴾	٥٣	٥٧
٤٥	﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ ...﴾	٥٤	٥٧
٤٦	﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ...﴾	٥٥	٥٧
٤٧	﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	٥٦	٢٢، ٦٢
٤٨	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ...﴾	٥٧	٦٢، ٦٨
٤٩	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ...﴾	٥٨	٦٥
٥٠	﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ...﴾	٥٩	٦٥
٥١	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ...﴾	٦٠	٦٨
٥٢	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ...﴾	٦١	٧١
٥٣	﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾	٦٢	٧١
٥٤	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	٦٣	٧٣
٥٥	﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ ...﴾	٦٤	٢٤، ٧٦
٥٦	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ ...﴾	٦٥	٢٠، ٧٨

٥٧	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ...﴾	٦٦	٨٧
٥٨	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ...﴾	٦٧	٢٠، ٢٤، ٨٠٩
٥٩	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ...﴾	٦٨	٨٤
٦٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴾	٦٩	٥، ٢٤، ٨٦
سورة الروم			
٦١	﴿ الم ﴾	١	٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٩١
٦٢	﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾	٢	٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٩١
٦٣	﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ ...﴾	٣	٢٤، ٢٥، ٩١
٦٤	﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ...﴾	٤	٢٥، ٣٠، ٩١، ١٩١
٦٥	﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ...﴾	٥	٩١، ١٩١
٦٦	﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ...﴾	٦	٩٥، ١٩١
٦٧	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾	٧	٩٥
٦٨	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ...﴾	٨	٣٤، ٩٧
٦٩	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ...﴾	٩	٣٤، ١٠٠
٧٠	﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى ...﴾	١٠	١٠٢
٧١	﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾	١١	١٠٦
٧٢	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ...﴾	١٢	٣١، ١٠٨
٧٣	﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ ...﴾	١٣	١٠٨
٧٤	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ...﴾	١٤	١١٠
٧٥	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	١٥	٣٥، ١١٢
٧٦	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...﴾	١٦	١١٢
٧٧	﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ...﴾	١٧	٢٧، ١١٤
٧٨	﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	١٨	١١٤
٧٩	﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ...﴾	١٩	١١٨

٨٠	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ...﴾	٢٠	١٢٢
٨١	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ...﴾	٢١	١٢٢
٨٢	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	٢٢	١٢٥
٨٣	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...﴾	٢٣	١٢٥
٨٤	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ...﴾	٢٤	١٢٩
٨٥	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ ...﴾	٢٥	١٢٩
٨٦	﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	٢٦	١٣٣
٨٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ...﴾	٢٧	٣٤، ١٣٣
٨٨	﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ...﴾	٢٨	١٣٧
٨٩	﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	٢٩	١٣٧
٩٠	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ...﴾	٣٠	١٤٠
٩١	﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ...﴾	٣١	١٤٠
٩٢	﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ...﴾	٣٢	١٤٤
٩٣	﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ...﴾	٣٣	٣٤، ١٤٩
٩٤	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ...﴾	٣٤	١٤٩
٩٥	﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ...﴾	٣٥	١٤٩
٩٦	﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ...﴾	٣٦	١٥٢
٩٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ...﴾	٣٧	١٥٢
٩٨	﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ...﴾	٣٨	٣١، ١٥٥
٩٩	﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ ...﴾	٣٩	١٥٥
١٠٠	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ...﴾	٤٠	١٥٨
١٠١	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...﴾	٤١	١٦٠
١٠٢	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا ...﴾	٤٢	١٦٠
١٠٣	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ...﴾	٤٣	١٦٤
١٠٤	﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ...﴾	٤٤	١٦٦
١٠٥	﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ...﴾	٤٥	١٦٦

١٠٦	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ...﴾	٤٦	١٦٨
١٠٧	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا ...﴾	٤٧	١٧٠
١٠٨	﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ...﴾	٤٨	١٧٢
١٠٩	﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ...﴾	٤٩	١٧٢
١١٠	﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ...﴾	٥٠	١٧٥
١١١	﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ...﴾	٥١	١٧٥
١١٢	﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ...﴾	٥٢	١٧٨
١١٣	﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ...﴾	٥٣	١٧٨
١١٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ...﴾	٥٤	١٨١
١١٥	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ...﴾	٥٥	٣٠، ١٨٥
١١٦	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...﴾	٥٦	٣٤، ١٨٥
١١٧	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ...﴾	٥٧	١٨٥
١١٨	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ...﴾	٥٨	٣٣، ١٨٨
١١٩	﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ ...﴾	٥٩	١٨٨
١٢٠	﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ...﴾	٦٠	١٩١
سورة لقمان			
١٢١	﴿ الم ﴾	١	٣٣، ٣٤، ٣٩، ١٩٦
١٢١	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ...﴾	٢	٣٣، ٣٤، ١٩٦
١٢٢	﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ...﴾	٣	٤٤، ١٩٦
١٢٣	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ...﴾	٤	٣٨، ١٩٨
١٢٤	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ...﴾	٥	٤٠، ١٩٨
١٢٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ...﴾	٦	٣٥، ٤٠، ٢٠٢
١٢٦	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا ...﴾	٧	٣٤، ٢٠٢
١٢٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ...﴾	٨	٢٠٦
١٢٨	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ ...﴾	٩	٢٠٦

١٢٩	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَ ...﴾	١٠	٢٠٩
١٢٩	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ...﴾	١١	٢٠٩
١٣٠	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ...﴾	١٢	٣٤، ٤٠، ٢١٣
١٣١	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ...﴾	١٣	٣٥، ٥٠، ٨٥، ٢١٥
١٣٢	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ...﴾	١٤	٢١٨
١٣٣	﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ...﴾	١٥	٢١٨
١٣٤	﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ...﴾	١٦	٢٢١
١٣٥	﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾	١٧	٢٢٣
١٣٦	﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ...﴾	١٨	٢٢٧
١٣٧	﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ...﴾	١٩	٢٢٧
١٣٨	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ...﴾	٢٠	٢٣٢
١٣٩	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...﴾	٢١	٢٣٤
١٤٠	﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ...﴾	٢٢	٤١
١٤١	﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ ... ﴾	٢٣	٤١
١٤٢	﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾	٢٤	٤١
١٤٣	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾	٢٧	٣٧، ٤١
١٤٤	﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	٢٨	٣٤
١٤٥	﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ ... ﴾	٣٢	٣٩، ٤٤
١٤٦	﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾	٣٣	٤١
١٤٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾	٣٤	٤١
سورة السجدة			
١٤٨	﴿ الم ﴾	١	٤٤
١٤٩	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... ﴾	٤	٤٣
سورة سبأ			
١٥٠	﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾	١٨	١١٦

سورة ص			
١٥١	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... ﴾	٢٩	١٠
سورة الزمر			
١٥٢	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾	٣٠	١١٩
سورة محمد			
١٥٣	﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾	١٧	٨٧
١٥٤	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ .... ﴾	٢٤	خ
سورة الذاريات			
١٥٥	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٥	٥٥
١٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١١
سورة النجم			
١٥٧	﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ...﴾	٣١	١٠٧
سورة الواقعة			
١٥٨	﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾	٧٩	٥
سورة الجن			
١٥٩	﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي ...﴾	١٠	١٥٣
سورة المدثر			
١٦٠	﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾	٦	١٥٨
سورة الغاشية			
١٦١	﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾	٣	٦٧
١٦٢	﴿ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾	٤	٦٧
سورة البينة			
١٦٣	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ .... ﴾	٥	٤
سورة قريش			
١٦٤	﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾	٤	٨٢

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي	الحكم	رقم الصفحة
١	" **أعطيت مكان التوراة السبع...**"	أحمد	صحيح	١٩، ٣١، ٣٩
٢	" **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ...**"	البخاري ومسلم	صحيح	٤
٣	" **كان يصلي في كسوف الشمس...**"	الداراقطني	صحيح	١٥
٤	" **لما كان يوم بدر....**"	الترمذي	صحيح	٢٨، ٢٩
٥	" **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ...**"	البخاري	صحيح	٢٠٥
٦	" **أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ ...**"	ابن جرير	ضعيف	٣٧
٧	" **أنه صلى صلاة الصبح، فقرأ الروم ....**"	النسائي	حسن	٢٦
٨	"**صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة،....**"	أحمد	حسن	٢٦
٩	"**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يُصَلِّي بِنَا الظُّهْرَ، فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ...**"	ابن ماجة والنسائي	مختلف فيه	٣٦، ٣٩
١٠	"**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"	أحمد	صحيح	ث

ثالثًا: فهرس الأعلام

م	العلم	رقم الصفحة
١	ابن أبي الدنيا	٧
٢١	ابن الجوزي	٢٧
٢	ابن حزم	٩٢
٢٠	ابن عطية	٢٧
٣	أبو روح الكلاعي	٢٦
٤	أبو عمرو الداني	٣١
١٩	البراء بن عازب	٣٦
٥	جابر بن زيد	١٦
٦	الزجاج	٨٧
٧	الزركشي	٥
٨	السخاوي	١٥
١٨	الشاطبي	١٣
٩	الضحاك	٨١
١٠	الطاهر بن عاشور	١٠
١١	عبد الرحمن بن زيد	٤٧
١٣	الفراء	٥١
٢٢	القرطبي	٣٠
١٢	القشيري	٢٨
١٤	الماوردي	٣٧
١٥	واثلة بن الأسقع	١٩
١٦	يحيى بن سلام	١٦
١٧	يحيي بن جعدة	٥٣

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم	
ثانيًا: كتب التفسير	
١	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٣	أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م .
٤	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
٥	بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
٦	البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٧	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ .
٨	بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
٩	تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
١٠	التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
١١	التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.
١٢	التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

١٣	تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى .
١٤	التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ .
١٥	تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
١٦	تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)،المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ .
١٧	تفسير القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ.
١٨	تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٩	تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
٢٠	التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.
٢١	تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦ م .
٢٢	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .
٢٣	التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، المؤلف: الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة (١٤٣٣هـ -٢٠١٢م).
٢٤	التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
٢٥	التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة ، ١٤١٣ هـ .
٢٦	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) .

٢٧	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: [أجزاء ١ – ٣: يناير ١٩٩٧ –جزء ٤: يوليو ١٩٩٧ – جزء ٥: يونيو ١٩٩٧ – أجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨ –أجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨ – جزء ١٥: مارس ١٩٩٨].
٢٨	التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة : الأولى، ١٤٢هـ .
٢٩	تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ .
٣٠	تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
٣١	تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٣٢	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .
٣٣	التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
٣٤	جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
٣٥	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٣٦	الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٣٧	الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) .
٣٨	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٣٩	الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر،

	بيروت .
٤٠	دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٤١	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٤٢	زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٤٣	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ .
٤٤	سلسلة تفسير القرآن الكريم (التفسير المنهجي)، لصلاح الخالدي وآخرون، إشراف الأستاذ: عمر خليل يوسف، المراجعة العلمية الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار المنهل، الطبعة: الأولى (٢٠٠٥).
٤٥	صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٦	غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٤٧	غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.
٤٨	فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا، بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٤٩	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.
٥٠	في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢ هـ.
٥١	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ .

٥٢	الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .
٥٣	لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥٤	اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م .
٥٥	لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.
٥٦	مجاز القرآن، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة – الطبعة: ١٣٨١ هـ.
٥٧	محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ .
٥٨	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
٥٩	مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م .
٦٠	مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
٦١	مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلداً (المتوفى: ١٣١٦هـ) ، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
٦٢	معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ .
٦٣	معانى القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .
٦٤	معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٦٥	معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
٦٦	معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى .
٦٧	مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي "خطيب الري" (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٦٨	المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان.
٦٩	المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٧٠	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
٧١	النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.
٧٢	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٧٣	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٧٤	الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
ثالثًا: كتب علوم القرآن	
١	الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٢	أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
٣	أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ.
٤	إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ .
٥	إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .
٦	البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م .
٧	البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
٨	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٩	البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .
١٠	التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ .
١١	تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٢	التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .
١٣	الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .
١٤	جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، الناشر: دار

	المأمون للتراث دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
٢٥	حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
١٦	الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .
١٧	الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م .
١٨	غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى : ٣٣٠هـ)، المحقق : محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر : دار قتيبة، سوريا، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .
١٩	فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)،المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٢٠	فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: د. حسن ضياء عتر، دار النشر: دار البشائر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٢١	القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.
٢٢	المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م .
٢٣	المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).
٢٤	مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٢٥	معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.
٢٦	المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ .
٢٧	الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى:

	٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .
٢٨	الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)،المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ .
٢٩	الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: ١١٧هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
٣٠	النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
٣١	الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٣٢	ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المتوفى: ٣٤٥هـ)، المحقق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
	رابعًا: كتب السنة وشروحاتها
١	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٢	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
٣	سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٤	سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
٥	سنن الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد

	المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
٦	صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة .
٧	صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي .
٨	صحيح سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٩	المجتبى من السنن " السنن الصغرى "، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، ١٩٨٦ .
١٠	مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١١	مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
١٢	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
١٣	الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
خامسًا: كتب الفقه وأصوله	
١	أصل صفة صلاة النبي ﷺ، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٢	أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، د. سميح عبد الوهاب الجندي، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣	مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، المحقق: محمد الطاهر الميساوي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع –الأردن، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٤	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي – الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

سادسًا: كتب اللغة والغريب والمعاجم	
١	إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٢	أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ)، المحقق: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.
٣	تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٤	تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٥	التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٦	التَّلْخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، عني بتَحقيقِه: د. عزة حسن، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م .
٧	تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٨	جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م .
٩	الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ .
١٠	شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١١	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٢	غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.
١٣	الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

١٤	القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
١٥	كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٦	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧	لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت –، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
١٨	المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
١٩	مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٠	المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
٢١	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
٢٢	المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٣	معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
٢٤	المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٢٥	معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٦	موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
سابعًا: كتب الأدب والبلاغة	
١	البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار

	القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٢	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. +××××
	ثامنًا: كتب السير والتراجم والطبقات
١	أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢	الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٣	تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
٤	تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦، ١٩٨٦.
٥	تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .
٦	تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
٧	جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٣/١٤٠٣.
٨	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٩	سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
١٠	طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦م.
١١	طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
١٢	مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)،حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٣	ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
١٤	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس - الناشر: دار صادر، بيروت.
تاسعًا: كتب أخرى	
١	الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.
٢	الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ .

خامسًا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
آية قرآنية	ب
الإهداء	ت
شكر وتقدير	ث
مقدمة	ح
أولاً: أهمية الموضوع	ح
ثانيا: أسباب اختيار الموضوع	خ
ثالثا: الدراسات السابقة	خ
رابعا: منهج البحث	خ
خامسا: خطة البحث	د
الفصل التمهيدي	
المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف	
المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبيان متطلباتها	٣
المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف لغة واصطلاحا، وبيان أهميتها	٨
المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف	١٢
المطلب الرابع: أشهر المصنفات في مقاصد السور والآيات	١٣
المبحث الثاني: التعريف بسور العنكبوت والروم ولقمان	
المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت	١٥
المطلب الثاني: التعريف بسورة الروم	٢٦
المطلب الثالث: التعريف بسورة لقمان	٣٦
الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة العنكبوت من آية (٤٦ – ٦٩)**	
المبحث الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب، ومطالبهم التعجيزية.	
المطلب الأول: توجيهات في طريقة مجادلة أهل الكتاب	٤٧
المطلب الثاني: دلالة أمية النبي ﷺ في كون هذا القرآن من عند الله	٥٠
المطلب الثالث: رغبة الكفار عما جاء به النبي ﷺ	٥٣
المطلب الرابع: شهادة الله ﷻ على نبوة محمد ﷺ	٥٥

المطلب الخامس: مطالب أهل الكتاب التعجيزية	٥٧
المبحث الثاني: أمر المؤمنين بالهجرة وثواب الصابرين	
المطلب الأول: أمر المؤمنين بالهجرة لإقامة الشعائر الدينية	٦٢
المطلب الثاني: ثواب الصابرين المتوكلين	٦٥
المطلب الثالث: الله يرزق جميع المخلوقات	٦٨
المبحث الثالث: اعتراف المشركين بقدرة الله	
المطلب الأول: اعتراف المشركين بأن الله هو الخالق	٧١
المطلب الثاني: اعتراف المشركين بالإله المحيي	٧٣
المبحث الرابع: حقيقة الدنيا وطبيعة الكفار فيها	
المطلب الأول: حقيقة الدنيا اللهو واللعب	٧٦
المطلب الثاني: طبيعة الكفار المتناقضة	٧٨
المطلب الثالث: طبيعة الكفار في مقابلة النعم	٨٠
المبحث الخامس: عقاب الكافرين وجزاء المحسنين	
المطلب الأول: عقاب الكافرين	٨٤
المطلب الثاني: جزاء المحسنين	٨٦
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الروم من الآية (١ – ٦٠)** **أثر العقيدة في نهوض الأمم وانحدارها**	
المبحث الأول: سنة الله في المجتمعات	
المطلب الأول: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم	٩١
المطلب الثاني: الوعد بالنصر والتمكين	٩٥
المطلب الثالث: دعوة للتفكر في الخلق	٩٧
المطلب الرابع: أخذ العبر والعظات من هلاك الأمم السابقة	١٠٠
المطلب الخامس: الهلاك عاقبة التكذيب والاستهزاء بآيات الله	١٠٢
المبحث الثاني: كمال قدرة الله وأحوال الناس يوم القيامة	
المطلب الأول: قدرة الله على الخلق والإعادة	١٠٦
المطلب الثاني: هلاك المجرمين يوم القيامة	١٠٨
المطلب الثالث: التمايز بين أهل الكفر والإيمان يوم القيامة	١١٠

المطلب الرابع: المؤمنون في الجنة يمتعون، والكافرون في النار يعذبون	١١٢
المطلب الخامس: التنزيه والتحميد لله	١١٤
المطلب السادس: قدرة الله على إحياء الموتى والأرض	١١٨
المبحث الثالث: دلالة خلق الإنسان والكون على وجود الله قدرته	
المطلب الأول: خلق الإنسان آية من آيات الله	١٢٢
المطلب الثاني: دلالة خلق الكون واختلاف الأنفس	١٢٥
المطلب الثالث: دلالة التدبير والتصرف في الكون	١٢٩
المطلب الرابع: دلالة خضوع الكون لإرادة الله، وقدرته على البعث	١٣٣
المطلب الخامس: ضرب المثل لتقرير الوحدانية	١٣٧
المطلب السادس: دلالة الفطرة.	١٤٠
المطلب السابع: مظاهر افتراق المشركين في دينهم	١٤٤
المبحث الرابع: إرشادات وتوجيهات في النظام الاقتصادي	
المطلب الأول: طبيعة المشركين في السراء والضراء	١٤٩
المطلب الثاني: طبيعة الإنسان في الرخاء والشدة	١٥٢
المطلب الثالث: الحث على أداء الحقوق والنهي عن الربا	١٥٥
المطلب الرابع: إفراد الله بالخلق والرزق	١٥٨
المطلب الخامس: سبب ظهور الفساد الاقتصادي، وعاقبة المفسدين	١٦٠
المبحث الخامس: من دلائل التوحيد ونتائج الأعمال	
المطلب الأول: الاستقامة سبيل النجاة يوم القيامة	١٦٤
المطلب الثاني: عاقبة الكفر وجزاء المؤمنين	١٦٦
المطلب الثالث: من دلائل وحدانية الله إرسال الرياح	١٦٨
المطلب الرابع: نتيجة التكذيب بآيات الله	١٧٠
المطلب الخامس: من دلائل وحدانية الله إنزال المطر	١٧٢
المطلب السادس: من دلائل وحدانية الله إحياء الموتى	١٧٥
المطلب السابع: التوفيق للهداية بيد الله وحده	١٧٨
المطلب الثامن: أطوار خلق الإنسان	١٨١
المبحث السادس: نهاية المجرمين وصبر المؤمنين	
المطلب الأول: أحوال الناس يوم القيامة	١٨٥
المطلب الثاني: موقف الكفار من الآيات	١٨٨

المطلب الثالث: حض النبي ﷺ على الصبر	١٩١
الفصل الثالث **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة لقمان من الآية(١ – ٢١)** **تربية الأبناء**	
المبحث الأول: خصائص القرآن و صفات المحسنين	
المطلب الأول: خصائص القرآن	١٩٦
المطلب الثاني: صفات المحسنين وثمارها الطيبة	١٩٨
المبحث الثاني: الجزاء من جنس العمل	
المطلب الأول: إعراض الكافرين عن القرآن وجزاؤهم	٢٠٢
المطلب الثاني: جزاء المؤمنين جنات النعيم	٢٠٦
المطلب الثالث: الاعجاز في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله تعالى	٢٠٩
المبحث الثالث: قصة لقمان ووصاياه لابنه	
المطلب الأول: امتنان الله على لقمان بإيتاء الحكمة	٢١٣
المطلب الثاني: الوصية بالتوحيد والتحذير من الشرك	٢١٥
المطلب الثالث: الوصية بالوالدين	٢١٨
المطلب الرابع: كمال علم الله سبحانه وتعالى	٢٢١
المطلب الخامس: الوصية بالصبر	٢٢٤
المطلب السادس: الوصية بحسن الأخلاق وآداب معاملة الناس	٢٢٧
المبحث الرابع: دلائل التوحيد والتحذير من دعوة الشيطان	
المطلب الأول: مشاهد دلائل التوحيد في الكون	٢٣٢
المطلب الثاني: التحذير من دعوة الشيطان	٢٣٤
الخاتمة	
أولاً: أهم النتائج.	٢٣٧
ثانياً: أهم التوصيات.	٢٤٠
الفهارس	
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	٢٤٢
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية	٢٥٠
ثالثًا: فهرس الأعلام	٢٥١

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع	٢٥٢
خامسًا: فهرس الموضوعات	٢٦٦
الملخص باللغة العربية	٢٧١
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٧٢

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم

[من سورة العنكبوت(٤٦) إلى سورة لقمان(٢١)]

لقد تناول الباحث في هذه الدراسة مقاصد وأهداف الحزب الواحد والأربعين من القرآن الكريم، المشتمل على ثلاث سور وهي العنكبوت من الآية (٤٦)، وسورة الروم، وسورة لقمان إلى الآية (٢١)، وقد احتوت هذه الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، الدراسة السابقة، منهج البحث، خطة البحث.

ثانياً: التمهيد: وقد اشتمل على مبحثين تم التعريف فيهما على الدراسة التحليلية، والمقاصد والأهداف، والتعريف بسور العنكبوت والروم ولقمان.

ثالثاً: الفصل الأول: واشتمل على الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة العنكبوت من آية (٤٦ – ٦٩)، وتقسيمه إلى خمسة مباحث.

رابعاً: الفصل الثاني: واشتمل على الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الروم من الآية (١ – ٦٠)، وتقسيمه إلى ستة مباحث.

خامساً: الفصل الثالث: واشتمل على الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة لقمان من الآية(١ – ٢١)، وتقسيمه إلى أربعة مباحث.

أخيراً: الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج، والتوصيات.

Abstract

The analytical study

the purposes and objectives of the one-party session of the Holy Qur'an

[From Surat Alankabut (46) to Luqman (21)]

I've dealt with the researcher in this study purposes and objectives of the one-party session of the Koran, containing the three Surat Alankabut of verse (46), and Ar-Rum, and Luqman to verse (21), has this message contains an introduction, and preseve, and three chapters, and a conclusion as follows:

First: Introduction and include the importance of the subject, and the reasons for choosing .the topic, the previous study, the research methodology, the research plan

Second: The two sections have been included on the definition of the analytical study on the two, and goals and objectives, and the definition of Surat Alankabut and rum and .Loqman

Third: Chapter One: The study included an analysis of the purposes and goals of Alankabut .Sura verse (46-69), and divided into five sections

Fourth: Chapter II: and included analytical study of the purposes and objectives of Ar-Rum .verse (1-60), and divided into six sections

Fifth: Chapter III: The study included an analysis of the purposes and objectives of Luqman .verse (1-21), and divide it into four sections

finally: Conclusion: most important finding, and recommendations.